رابطة الجامعات الإسلامية

الجامعة الإسلامية

(٤٠)

إشراف

الدكتور/ جعفر عبد السلام
الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية

١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه الكرام ومن والاه وتبعه بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد،،

فيطيب للأمانة العامة لرابطة الجامعات الإسلامية أن تقدم العدد الأربعين من مجلة "**الجامعة الإسلامية**"، الذى يضم باقة متميزة من الأبحاث والدراسات والتقارير العلمية المختلفة، التى تعالج القضايا الآنية للعالم الإسلامى.

ويضم هذا العدد بين دفتيه عدة دراسات، منها: **الحقوق الاجتماعية للمرأة بين الشريعة والواقع** للأستاذ الدكتور سعيد حارب، ودراسة أخرى بعنوان: "**الإسلام والتجديد فى عهد النبوة والخلفاء الراشدين**" للدكتور مهدى فضل الله، ثم دراسة عن "**القيم الإنسانية فى الإسلام**" للدكتور عبد الله بن على بصفر. أما الدكتورة بثينة أبو المجد فقد تناولت موضوع "**صورة الإسلام والعرب فى الأدب الغربى**".

ثم يأتى بعد ذلك الجانب الخاص بالمقالات، حيث يبدأ بمقال للمفكر الدكتور طه جابر العلوانى بعنوان "**مدخل إلى فقه الأقليات**"، ثم بمقال آخر للدكتور محمد عبد الصمد مهنا حول "**أزمة الخطاب الإسلامى فى علاقة الشرق بالغرب**"، كذلك مقال ثالث عن "**احترام التنوع الحضارى والثقافى بين البشر**" للدكتور بدر الحسن القاسمى.

أما ملف العدد فقد خصصناه هذه المرة لموضوع مهم وهو "**الإسلام والغرب.. نحو إقامة جسور للحوار وإزالة الحواجز**"، وبه دراستان: الأولى بعنوان "**ثقافة الحوار والتعايش السلمى المشترك بين النصارى والمسلمين**" للدكتور جوليو تشيلونه الأستاذ بالجامعة البابوية بروما، والذى ترجمه الدكتور عبد الفتاح حسن مدرس الأدب الإيطالى

بجامعة عين شمس وعضو مجلس الشعب المصرى. وكذلك دراسة أخرى بعنوان "**قضايا ومشكلات داخل المجتمعات الإسلامية فى الغرب**" للدكتور جعفر عبد السلام.

أما الباب الذى تخصصه المجلة عن "**حقائق الإسلام وأباطيل خصومه**"، فيقدم دراسة فى كتاب جورج بوش الجد "**محمد مؤسس الدين الإسلامى**"، حيث تجلو الدراسة ما ران من الأخطاء فى هذا الكتاب الذى يقدم فكراً مغلوطًا عن الإسلام والمسلمين.

وتتوالى أقسام المجلة حيث نطالع دراسة للدكتور محمود داود فى كتاب "**محمد ﷺ أعظم عظماء العالم**"، ودراسة أخرى للأستاذ وليد عبد الماجد كساب بعنوان "**قراءة فى استراتيجية التقريب بين المذاهب الإسلامية**"، وفضلاً عن ذلك، فهناك تعريف بجامعة دمشق، وجامعة القاهرة، وبعض الوثائق التى اعتادت المجلة تقديمها فى كل عدد.

أما القسم الإفرنجى، فيقدم دراسة للدكتورة ندى الدويج حول أحداث الحادى عشر من سبتمبر الدامية، بعنوان:

The Terrorism Activities of September 11th 2001
as A Transboundary Pollution

والرابطة إذ تقدم هذا العدد لكل الباحثين والمهتمين بقضايا العالم الإسلامى، فإنها تضع نصب أعينها أن يتم تطوير المجلة بما يواكب متطلبات الحياة اليومية، فى محاولة منها لإضاءة شمعة بدلاً من أن تلعن الظلام؛ ولذلك فإن العدد القادم -بمشيئة الله تعالى- سوف يشهد تطويراً كبيراً يرضى عنه القراء على اختلاف مشاربهم وثقافاتهم.

والله من وراء القصد وهو يهدى السبيل..

أ.د/ جعفر عبد السلام

الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية

القسم الأول
الدراســـات

الحقوق الاجتماعية للمرأة بين الشريعة والواقع

د/ سعيد عبدالله حارب (*)

مقدمة

مازالت المرأة تشكل حضوراً دائماً في القضايا الاجتماعية المعاصرة، فعلى الرغم من مرور قرون على جدلية الصراع حول المرأة ودورها ومكانتها في المجتمع إلا أن هذه القضية لم تحسم بعد، وستبقى حاضرة أمام كل الأجيال، بل إن قضية المرأة خرجت من إطارها الجغرافي المحلى لتصبح قضية عالمية تتداولها المحافل والمؤتمرات الدولية وتصدر بشأنها القرارات التى أصبحت نافذة التطبيق في كثير من الأحيان، كما أن قضية المرأة خرجت من بُعدها الاجتماعى والثقافي لتدخل دوامة الصراع السياسي ولعل ما يُطرح من مشروعات دولية تحت مسميات مختلفة كحقوق المرأة وتمكين المرأة ومشاركة المرأة يشير إلى أن هذه القضية قد أخذت بعداً سياسياً دولياً لايمكن تجاهله أو تجاوزه فقد أصبح الأمر واقعاً لابد من التعامل معه بوضوح وشفافيه، فالحديث عن المرأة مازال في مجتمعاتنا من مسائل «التردد» أو « التوقف» كما يمكن تسميتها إذا يتردد كثيرا من الباحثين والمهتمين بالشأن الاجتماعى في طرح قضايا المرأة خوفاً من قوى معارضة ترى الحديث عن المرأة مدخلاً لكثير من المشكلات المجتمعية، ولذا فهي تفضل إغلاق هذا الباب - على مافيه - خوفاً من المجهول الذى لايمكن مواجهته!! وقد نسيت هذه القوى أن هذا المجهول الذى تخافه سيأتى إليها إن لم تذهب إليه!! إذ تحركت كثير من المياه الراكدة تحت أقدامها ولم نعد قادرين على تجاهل مايحدث فى العالم من حولنا بشأن المرأة وأن ماكنا «نتمترس» خلفه من أسباب الحماية قد تحطم بفعل عوامل النحت الاجتماعى المرتبطة بسنة التغيير والتطور، وهنا تأتي صعوبة إتمام المعادلة بين مانحمله من قيم تنطلق من شريعتنا الإسلامية الغراء وبين واقع يلقي علينا بكلكله!! قد تبدو الإجابة

(*) مستشار مدير جامعة الامارات

سهلة وبسيطة وهى: إن تمسكنا بشريعتنا يوفر لنا الحماية اللازمة أمام «عواتي» الزمن وذلك حق لاشك فيه ولكن كيف نستطيع مع واقع يتغير كل يوم بعيداً عن ضوابط الشريعة وهنا يأتى السؤال الآخر: ماهى هذه الضوابط؟ هل هى من الأحكام القطعية الثابتة التى لا يمكن تجاوزها أم هي من الآراء والاجتهادات الزمانية والمكانية؟ التى يمكن أن نستخدم أدواتها في إعادة الاجتهاد حول كثير من القضايا التى نحياها، ومن بينها قضية المرأة، والتى نستطيع من خلال هذا الاجتهاد أن نوفق بين شريعتنا الإسلامية وبين واقعنا الذى نعيشه.

إن بعضنا يصعب عليه ذلك لأنه يرى أن ذلك تنازل عن الحق وعن ما عاشت عليه الأمة خلال عصورها الماضية، وليس الأمر كذلك، إذ إن فقهاءنا السابقين كانوا معاصرين لزمنهم حين اجتهدوا لقضايا الأمة وأوجدوا الحلول لمشكلاتها ولم يتجاوزوا بذلك قواعد الإسلام، ونحن اليوم مدعوون إلى الاجتهاد في كافة القضايا حتى نستطيع أن نواجه مشكلاتنا- وبغير ذلك«سيجتهد» غيرنا لنا بما لا نرغب، ويفرضه علينا بأسماء مختلفة، وفي هذه الورقة محاولة لطرح قضايا المرأة من خلال محوري البحث وهما مكانتها في الشريعة الإسلامية وواقعها المعاصر، وهي محاولة لاتخلو من الحاجة للتصويب والمناقشة.

أولاً: مكانة المرأة فى الاسلام

جاء الإسلام رسالة عامة لكافة البشر ولكافة الأجناس فلم يفرق بينهم بلون أو جنس أو عرق أو غير ذلك، فكانت دعوة النبى ﷺ تشمل الرجال والنساء ومثلما اهتم الإسلام بالرجل اهتم كذلك بالمرأة فلم يفرقها عن الرجل في شئ سوى ماجاءت به النصوص الشرعية من اختلاف محدود في التكاليف أو المسؤولية، كعدم تكليف المرأة بالجهاد وعدم مسؤوليتها الإنفاق على البيت أو بعض المسؤوليات الأخرى، أما في غير ذلك فإن المرأة أخذت مكانها فى الإسلام إلى جانب الرجل، مساويةً له في الحقوق والواجبات، ومن يبحث في كتب الفقه أو التراث الإسلامى لايجد فصلاً بين أحكام الرجل أو أحكام المرأة- إلا ما اختلفت فيه المرأة لأسباب

خلقية (بيولوجية) كأحكام الحيض والنفاس والرضاعة - وعلى قدر المسؤولية المتساوية كان التكليف مساوياً كذلك، يقول تعالى:﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾[1]، ويقول تعالى :﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [2] يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (إنما النساء شقائق الرجال)[3]

وتؤكدالآيات على المساواة بين الرجل والمرأة فقد قال تعالى ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [4]، وتؤكد هذه الآيات وغيرها على استقلالية المرأة عن الرجل فهي ليست تابعة له في شخصيتها أو فكرها أو دينها، وإنما هي مساوية له، جاءها التكليف مستقلة عنه فهي أهل لهذا التكليف وأهل للقيام بأداء واجبها، وهذا الاستقلال لايعني الانفصال عن الرجل أو الاستغناء عنه كما تصورها الأفكار الأخرى، أو كما تطبقها بعض المجتمعات إذا تجعل من استقلال المرأة بشخصيتها عن الرجل استقلال في كل شئ فتستغني عن الرجل بما لها أو بعلمها أو بعملها وتكتفي بذلك زاعمة أن هذا يحقق شخصيتها وذاتها، ومثل ذلك مايزعمه بعض الرجال كذلك باستغنائهم عن النساء، أو بنظرتهم الدونية للمرأة، إذ لاينظر هؤلاء إلى المرأة كنظر السيد لخادمه أو المتبوع لتابعه فيتعاملون مع المرأة بإذلال واحتقار ويحرمون المرأة من حقوقها الشرعية، فهم بين إفراط وتفريط.

ثانياً: المرأة قديما

لم تحظ المرأة قديما بالتقدير والاحترام اللائق بها، بل نكاد نقول إن المرأة لم تجد

---

(١) سورة آل عمران آيه ١٩٥

(٢) سورة التوبه آيه ٧١

(٣) سنن أبي داوود ، جـ٢، ص ٤٦

(٤) سورة الأحزاب آيه ٣٥

إنسانيتها وكـرامتها إلا مع ظهور الإسلام، أما قبل ذلك فـقد مر تاريخ المرأة- إذ جاء التعبير - بصورة متقلبة رفعتها أحياناً إلى مراتب دون العليا، وهوت بها أحياناً أخرى إلى مراتب حيوانية، كما لدى بعض الشعوب القديمة.

١- المرأة عند الفراعنة :

يعتبر الفراعنة من الشعوب القـديمة القليلة التى حظيت فيها المرأة بمنزلة مرموقة، فقد حـصلت المرأة عندهم على بعض الحقوق، واختيـار الزوج والانفصال عنه، لكن مكانة المرأة ارتفـعت حين جعل المصريون القـدامى من بعض النساء آلهـة تُعبـد مثل الرجـال، وكـان لهـا دور سيـاسي بارز فى الحـضـارة المصـرية القـديمة، وتعـد الملكة «حتـشبسوت» أشـهر ملكات مصـر في التاريخ القديم إذ حكمت مـصر في أواسط الألف الثـانية قـبل الميلاد، وكـانت مثـالاً للحكمـة في السيـاسة، يقـول وليام لانجـر :«كانت حـتشـبسوت هى الحـاكم الحقـيقى منذ عام ١٥٢٠(ق.م) حـتى وفاتهـا عام ١٤٨٠(ق.م) وهى أخت ليست شقيقة لتحتمس الثانى، أولاً ثم لتحمـس الثالث»[١] «وإذا كانت هذه المنزلة الرفيعة التى وصلت إليـها المرأة فـي عهد الفراعنة في الجانب السيـاسـى فإنهـا فى الجانـب الإجـتمـاعى تدنت إلى أسفل المراتب، إذا كـان الرجل يتزوج بأختـه، فقد جاء فى الأسطورة الشهيـرة لـ «إيزيس» أنها كانت أخت «أوزير» وزوجته فى نفس الوقت[٢]

ويرى بعض كُتّاب التـاريخ أن زواج الرجل من أخته جاء حـرصاً من المصريين القدمـاء على نقاوة الدم والمحـافظة على نسلهم من الاخـتلاط بغـيرهم، وكـان تعدد الزوجات سائداً بين الفراعنة إذا يصل أحيـاناً إلى ست زوجات إضافة إلى الخليلات اللائى لم تكن لهـن حقـوق الزوجـات، وقـد أدى إلى كـثـرة الأولاد، فقـد ذكـرت الروايات أن «رمسيس الثاني» كان لديه مائه وستين ولداً، وفي العهود المتأخرة لعصر الفراعنـة تدنت مكانة المرأة، فقـد حُرمت من أهليتـها ومن التـصرف في أمـوالها، إذ

(١) تاريخ العالم : ويليام لانجر ، جـ ٢ ، ص ٤٨

(٢) انظر : قصة الحضارة - ديورانت، ص ١٥٩

أصبح الأب ثم الزوج أوصياء عليها لاتتصرف إلا بإذنهما، وكان بعض الفراعنة يعتقد أن المرأة طريق للغواية ووسيلة للشيطان.

٢- المرأة عند اليونان :

تُعتبر الحضارة اليونانية من أبرز الحضارات الإنسانية القديمة التى خلفت آثاراً واضحة في الأدب والفن والثقافة، وكانت الأساس الذى بنت عليه أوروبا نهضتها الحديثة، وعلى الرغم من ذلك لم يكن للمرأة دور واضح في صنع هذه الحضارة التى يمكن اعتبارها حضارة خاصة بالرجال، فقد كانت الحضارة اليونانية القديمة حتى فى أوج ازدهارها (العصر الذهبي في أثينا ٤٨-٣٩٩(ق.م) لا تقيم للمرأة وزناً، فقد كانت المرأة تباع وتشترى فى الأسواق وتسلب حريتها وإرادتها وحُرمت من التعليم والمشاركة في الحياة، ولم يكن يُنظر إليها إلا باعتبارها وسيلة «للمتعة» بل هي رجس من عمل الشيطان، وكان للرجل أن يتخذ مايشاء من النساء غير زوجته، وفي ذلك يقول دستين: «إننا نتخذ العاهرات للذة، والأزواج ليلدن لنا الأبناء الشرعيين، ويعتنين ببيوتنا عناية تنطوي على الأمانة والإخلاص»[١]

وكان من أثر هذه الرؤية للمرأة في الحضارة اليونانية أن فُرضت عليه العزلة، فاختفت من الحياة الفلسفية والفكرية التى تميزت بها هذه الحضارة واختفت من المشاركة في الحياة، بل إن دورها كزوجة تراجع لوظيفة الإنجاب فقط وتقدمت عليها البغايا اللائى اشتهرن بحضورهن مجالس الثقافة والفلسفة أمثال (أسباسيا) التى ذكرها الفيلسوف سقراط، فكانت حياة الفجر مقدمة على الحياة الاجتماعية للمرأة، يقول الدكتور مصطفى السباعى:«وفي أوج حضارة اليونان تبدلت المرأة واختلط بالرجال في الأندية والمجتمعات، فشاعت الفاحشة حتى أصبح الزنى أمراً غير منكر وحتى غدت دور البغايا مراكز للسياسة والأدب، ثم اتخذوا التماثيل العارية باسم الأدب والفن، ثم اعترفت ديانتهم بالعلاقة الآثمة بين الرجل والمرأة، فمن آلهتهم «أفروديت» التى خانت ثلاثة آلهة وهى زوجة إله واحد وكان من أخدانها رجل من

(١) المصدر السابق ، ص ١١٤

عامة البشر فولدت «كيوبيد» إله الحب عندهم! ثم لم يشبع غرائزهم ذلك حتى انتشر عندهم الاتصال الشاذ بين الرجل والرجل، وأقاموا لذلك تمثال «هرموديس وأرستوجتين» وهما في علاقة آثمة، وكان ذلك خاتمة المطاف في حضارتهم فانهارت وزالوا»[1]

٣- المرأة عند الرومان :

لم يكن شأن المرأة عند الرومان أفضل من اليونانيين، فقد حُرمت المرأة لديهم، من كافة حقوقها وجُعلت تابعة للرجل، وكانت النظرة إليها أقل مستوى من الرجل، واعتقد الرومان أن المرأة كائن لا نفس له، فهي جسد فقط!! وهى وسيلة للغواية واللهو يستخدمها الشيطان لإفساد الرجال، كما كان يَحرُم على المرأة الظهور في أماكن كثيرة كالمحاكم وغيرها، ولم يكن للزواج شأنٌ يذكر فقد استبدل عامة الرومان ذلك بإشاعة الزنا والفاحشة فتراجع دور الزواج والأسرة وانتشر التفتت الأسري وغابت سلطة الأب والزوج، وكان من حق الأب أن ينكر نسب ابنه إليه، ويُدخل في نسبه من يشاء، وهو مالك أموال الأسرة يتصرف فيها كيف يشاء فالمرأة - عندهم - فاقدة الأهلية كما أنها تحْرَم من ممارسة الشعائر الدينية، كما تحرم من حقوقها السياسية، بل حتى من حقوقها الشخصية، فقد كانت تنسب إلى الزوج، وتفقد اسم عائلتها، واسم أبيها، كما هو عليه المجتمعات الغربية اليوم، ولعل السبب في رؤية الرومان للمرأة يعود لحضارتهم المادية الصرفة التى جعلت الإنسان في الحياة محصوراً فى تحصيل المتع والملذات، ولذا كانت المرأة صورة من هذه الرؤية، فتراجع دور العقل والتفكير والمنطق ليحل محله الوصف الحسى المادى للأشياء.

وإذ كانت الحضارة الرومانية القديمة قد نظرت إلى المرأة بهذه النظرة فإن الحضارة الغربية المعاصرة التى بنت أسسها على الحضارتين اليونانية والرومانية لم تختلف في نظرتها للمرأة كثيراً فهي وإن أعطتها الحقوق المادية والسياسية إلا أنها سلبت منها مكنونها الإنسانى فما زالت رؤية الرومان القدماء للمرأة على أنها مصدر

(١) المرأة بين الفقه والقانون : د/ مصطفى السباعي ، ص ١٤

للشهوة والمتع هى السائدة إلى يومنا حيث تبرز المرأة - فى الغرب- باعتبارها وسيلة للمتعة فهي وسيلة الدعاية والإعلان، وهى المروج للبضائع والسلع، وهى وسيلة جذب الناس لمشاهدة البرامج والأفلام والروايات التى يستغلها أصحاب المصالح في تحقيق المكاسب المادية، إننا حين ننظر إلى واقع المرأة المعاصرة يجب أن نغفل هذه الصورة من رؤيتنا فما حققته المرأة من مكاسب يجب أن لايكون على حساب إنسانيتها وشخصيتها وكرامتها.

٤- المرأة عند الهنود :

موقع المرأة في الحضارة الهندية القديمة هو موقع دوني جعلوا له فلسفة واعتبروه ديناً من خلال الأساطير التى ابتدعوها، فقد جاء فى كتبهم المقدسة «عندما خلق (مانو) النساء فرض عليهن حب الفراش والمقاعد وحب الزينة والشهوات الدنسة، والتجرد من الشرف وحسن السلوك، فالنساء دنسات كالباطل نفسه، وهذه قاعدة ثابتة، وطبيعة المرأة أن تغوى الرجل في الحياة الدنيا، ولهذا لاترى الحكماء فى صحبة النساء إلا شديد الحيطة والحذر والمرأة غير صالحة للاستقلال بنفسها»[١]. «بل فرض على المرأة أن تحرق جثته إذا مات زوجها»[٢] وفرض على المرأة أن لاتخاطب زوجها إلا بكلمة مولاى أو سيدى أو إلهى!! كما مُنعت من السير أمامه أو بجانبه بل فرض عليها أن تمشى خلفه.

وبهذه الرؤية لم يكن للمرأة مكانة حتى حين تكون زوجة، بل إن الزواج لم يكن طريقة واحدة فقد أباح (مانو) ثمانية أنواع من الزواج من بينها الزواج بالاغتصاب والزواج بالشراء!! وقد حُرمت المرأة من حق الملكية، وحق التعليم لأنهم كانوا يعتقدون أن المرأة إذا تعلمت فإن ذلك علامة لفساد المملكة!![٣]

إن أهم مايميز رؤية الهنود القدماء للمرأة هو الاعتقاد بأن رؤيتهم للمرأة تنبع

---

(١) حقوق المرأة في الشريعة الإسلامية : إبراهيم عبدالهادي النجار، ص ١٣

(٢) قصة الحضارة : ديورانت ، جـ ٣ ، ص ١٧١

(٣) نفس المصدر

من معتقد ديني، إذ أن معظم أحكامهم حول المرأة استمدت أصولها من نصوص دينية ومن أقوال آلهتهم « المزعومة» وحكمائهم الدينيين، مما جعلها تتمكن في حياتهم بل إن بعض آثار تلك المرحلة مازالت ممتدة إلى الحياة في المجتمعات الهندوسية المعاصرة.

٥- المرأة عند الفرس:

لم يكن حال المرأة عند الفرس قديماً يختلف عن حالها عند بقية الشعوب، فقد تعرضت المرأة إلى القهر والظلم، فقد أباحت المعتقدات الفارسية القديمة بيع المرأة كما جعلت سلطة الرجل مطلقة، فله حق تقييد حريتها بل الحكم عليها بالموت لأن الفرس - قديماً - كانوا ينظرون إلى المرأة نظرة متدنية، وقد شاع بينهم زواج المحارم إذ يحق لديهم زواج الأب من ابنته أو أمه، وكان الابن يرث أمه بعد موت أبيه لتصبح زوجة له، وقد تضمنت تعاليم (مزدك ٤٨٧م) الدعوة إلى شيوع المال والنساء ونادى بأن الله خالق الناس متساويين وجعل المال والنساء حقاً للجميع فهم فيهم شركاء، فشاع الفساد حتى أصبح الرجل لايعرف ولده ولا المولود يعرف والده.

ولم يكن للمرأة عند الفرس - قديماً - أهلية في التملك أو غير ذلك من الحقوق الدينية أو المدنية، لكن هذا الأمر لم يكن شأن جميع النساء إذ كانت هناك طبقة خاصة من المجتمع هي الطبقة العليا التي فرض على نسائها الحجاب والعزلة ولم يكن يسمح لهن بالاختلاط ببقية النساء من عامة الشعب[١]

٦- المرأة العربية في الجاهلية :

على الرغم من أن المرأة كانت حاضرة في الحياة العربية بصورة واضحة إلا أن هذا الحضور لايشير إلى المكانة التي عاشتها المرأة العربية في الجاهلية، إذا اقتصر حضورها على ميدان الشعر - فكانت مصدر إلهام للشعراء وسبباً للحرب- إذا سبيت المرأة، وبرزت في التاريخ العربي القديم نساء كان لهن أثر في الحياة العربية، إلا أن ذلك بقي على نطاق فردي محدوده أما بصفة عامة فقد عانت المرأة من الظلم

(١) انظر قصة الحضارة : ديورانت ، جـ ٣ ، ص ٢٣٠

والاضطهاد وهضم حقوقها، فلم يكن لها حق الإرث بل كانت تورث كما يورث المال، وكان الولد الأكبر يتزوج بزوجة أبيه إذا مات، وعلى الرغم من أن المرأة العربية قديماً حظيت بحماية الرجل ودفاعه عن شرفها، والتأثر ممن يتعرض ذلك إلا أن هذا الاهتمام من الرجل نابع من ذاتية إذ كان يعتبر التعرض للمرأة تعرضاً لمكانته وشرفه أما المرأة ذاتها فلم تكن لها عنده منزلة كبيرة فقد كان العرب لايحبون أن تولد لهم بنات، وقد أخبر القرآن الكريم عن ذلك بقول تعالى :﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾[1]، ولذا شاع عند كثير من قبائل العرب وأد البنات حتى لايكن مصدراً للعار- كما كانوا يعتقدون - وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله تعالى :﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [2] ولم تكن الحياة الزوجية بأفضل من حياة المرأة. فقد شاع بين العرب قديماً تعدد الزوجات بلا حدود وشاع بينهم زواج الاستبضاع أو نكاح الرهط، وكانت المرأة كالأسيرة عند زوجها يطلقها متى شاء ويمسكها متى شاء بلا ضابط أو نظام أو شرع، ولذا فإن المرأة فى الجاهلية كانت تعيش حالة من الاضهاد ولم يبرز فى تاريخ المرأة العربية قديماً إلا بعض النسوة اللائى كان لهن من المكانة الاجتماعية ما مكنهن من كسر قيود المجتمع، حتى جاءها الإسلام وأنقذها مما كانت فيه.

حقوق المرأة فى الإسلام

أولا : الحقوق الاجتماعية

١- التعليم :

إن من نافلة القول أن الإسلام قد أعطى المرأة حق التعليم واعتبر ذلك واجباً عليها لأنها إذا تعلمت فقهت دينها وواجبها تجاه ربها وقامت بما يجب عليها، كما أنها إذا تعلمت استطاعت أن تتعرف على الحياة من حولها، وأن تتعامل معها وفق شرع ربها ووفق مانحتاجه من مستجدات ومتغيرات، وقد توالت الأدلة الشرعية على

(١) سورة النحل آيه ٥٨

(٢) سورة التكوير آيه ٨ - ٩

حق المرأة فى التعليم، فعن أبى سعيد الخدري قال: (جاءت امرأة إلى الرسول ﷺ فقالت يارسول الله، ذهب الله بحديثك- وفى رواية، غلبنا عليك الرجال- فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله، فقال : اجتمعن في يوم كذا وكذا في مكان كذا وكذا، فاجتمعن فأتاهن رسول الله ﷺ فعلمهن ما علمه الله، ثم قال، ما منكن امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة إلا كان لها حجاباً من النار، فقالت امرأة منهن يارسول الله واثنين؟ قال : فأعادتها مرتين ثم قال : واثنين واثنين واثنين)[1]

وهذا الحديث فيه دليل على حرص المرأة المسلمة على العلم، وحرص النبى ﷺ على أن يخص النساء بحنقهن في التعليم، على الرغم من أن الدلائل قامت على أهمية العلم للرجل والمرأة لكن هذا التخصيص فيه إشارة إلى الذين يقصرون حق التعليم على الرجال دون النساء لما فى ذلك من أهمية، وهو إشارة كذلك إلى مايعتقد بعض المسلمين قديماً وحديثاً بعدم أهلية المرأة لهذا الحق، لكنه عليه الصلاة والسلام أراد أن يعلمهن أن للمرأة هذا الحق فى تخصيصها بالعلم على الرغم من مشاركتها للرجال فى ذلك إذ كان النساء يحضرن فى المسجد لسماع خطبة الرسول ﷺ تقول خولة بنت قيس: كنت أسمع خطبة الرسول ﷺ يوم الجمعة وأنا فى مؤخرة النساء وأسمع قراءته - ق والقرآن المجيد - على المنبر وأنا فى مؤخرة المسجد [2]

ومن يقرأ فيما كتبه العلماء والمؤلفون خلال مسيرة التاريخ الإسلامى يجد نماذج فاضلة من النساء اللائى برزن فى شتى المعارف والعلوم.

٢- العمل :

المرأة عنصر فاعل فى بناء المجتمعات والإسهام فى كافة برامج التنمية والتطوير ولم يعد الحديث عن عمل يدور حول السؤال القديم .. هل تعمل المرأة أولاتعمل؟ فذلك سؤال تجاوز الزمن كما تجاوز الواقع، وقد أعطى الإسلام للمرأة حق العمل بما

---

(١) رواه البخارى ومسلم

(٢) طبقات ابن سعد ، جـ ٨ ، ص ٢٩٦

يناسب تكوينها وشخصيتها، ولم يحدد لها طبيعة هذا العمل أو نوعه وإنما وضع ضوابط لعمل المرأة، وقد جعل عمل المرأة حقاً لها وليس واجباً عليها، أى أن المرأة إذا اختارت أن تتفرغ لبيتها ولتربية أبنائها، فالإسلام لايلزمها بالعمل خارج المنزل ولايبيح لزوجها أو أبيها إلزامها بذلك، بل ترك لها حرية الاختيار، إذا رأت أن الأولى لها أن تتفرغ لرسالتها التربوية، ولايعيب المرأة ذلك بل هو واجبها الأول كما أنها إذا اختارت العمل خارج البيت كان لها ذلك كان وفق الضوابط الشرعية ولم يخل برسالتها، فليس فى الإسلام معركة بين المرأة العاملة والمرأة غير العاملة كما يصورها البعض حين يصف المرأة غير العاملة بالتخلف والعزلة فهذه المعركة المفتعلة لا وجود لها فى الإسلام مثلها مثل تلك المعركة الأخرى التى تقلل من شأن المرأة العاملة وتصفها بالتحرر أو التحلل لأنها تركت بيتها .. فتلك أيضاً معركة مفتعله يطلقها ذوو النظرات الضيقة، فالإسلام يعطى المرأة هذا الحق دون إخلال بدورها، وتشير الأدلة الشرعية على ذلك فقد روى جابر بن عبدالله أن النبى ﷺ دخل على أم مبشر الأنصارية فى نخل لها، فقال لها النبى :(من غرس هذا النخل أمسلم أم كافر؟فقالت بل مسلم، فقال : لايغرس مسلم غرساً ولايزرع زرعاً فيأكل منه إنسان أو دابة ولاشئ إلا كانت له صدقة)[1] ،فقد كانت هذه الصحابية تمارس عمل الزراعة وقد أثنى النبى على فعلها وأكده، وعن سعد بن معاذ أن جارية لكعب بن مالك كانت ترعى الغنم، غنّما بسلّع- أى جبل سلع بالمدينة - فأصيبت شاه منها فأدركتها فذبحتها بحجر فسئل النبى ﷺ فقال : كلوها [2]

وعن سعد بن سهل رضى الله عنه قال :(جاءت امرأة ببردة قال : أتدرون ما البردة؟ فقيل له: نعم إنها الشمله - ملابس يغطى بها الجسم - منسوجة في حاشيتها، قالت يارسول الله إنى نسجت هذه بيدى، أكسوكها، فأخذها النبى صلى الله عليه وسلم محتاجاً لها فخرج إلينا وإنا إزاره)[3]

(١) رواه مسلم : كتاب المساقاة ، باب فضل الغرس والزرع، جـ ٥ ، ص ٣٥٨

(٢) رواه البخارى : كتاب الذبائح والصيد ، باب ذبيحة المرأة ، جـ ١٢ ، ص ٥١

(٣) رواه البخارى : كتاب البيوع ، باب النساج المرأة ، جـ ٥ ، ص ٢٢٢

وروى الحافظ بن حجر، أن ابن اسحاق ذكر أن رفيدة الأسلمية، كانت تداوي الجراح، ولما أصيب سعد (رضى الله عنه) يوم الخندق، قال النبى عليه الصلاة والسلام :(اجعلوه فى خيمتها لأدعوه من قريب)[1]

فهذه أربعة نماذج من الأعمال التى كانت سائدة فى ذلك الوقت ومارستها المرأة المسلمة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم مما يدل على مشروعية عمل المرأة.

٣- الحياة الاجتماعية :

المرأة ليست كائناً معزولاً عن المجتمع وليست أقل رتبة من الرجل في القيام بدورها الاجتماعى بل إن كثيراً من جوانب العمل الاجتماعى لايمكن أن تتم إلا بمشاركة المرأة، ولذا فإن الدعوة إلى عزل المرأة عن القيام بدورها الاجتماعى، إنما هى دعوة لتعطيل طاقة فاعلة فى المجتمع وحرمانه من دورها ورسالتها الاجتماعية، ولقد حرص الإسلام على مشاركة المرأة فى الحياة الاجتماعية وفق الضوابط الشرعية بعدم ارتكاب المحرمات كالتبرج والاختلاط بالرجال لغير حاجة من علم أو عمل أو علاج أو غير ذلك مما شرعه الإسلام. فإذا كانت مشاركة المرأة ضمن الضوابط الشرعية، فإن الإسلام يؤيدها بل يطلبها، وقد شاركت المرأة فى الحياة الإسلامية بصورها المختلفة، فعن أبى بكر الصديق رضي الله عنه قال : فقدمنا المدينة ليلاً - يوم الهجرة - فتنازعوا أيهم ينزل رسول الله ﷺ، فقال: أنزل على بنى النجار أخوال عبد المطلب أكرمهم بذلك، فصعد الرجال والنساء فوق البيوت وتفرق الغلمان والخدم فى الطريق ينادون: يامحمد رسول الله ، يا محمد رسول الله)[2]

وقد قامت الأدلة على مشاركة المرأة المسلمة فى الحياة الاجتماعية وقيامها بدورها فى مجتمعها بطبقة منهج الإسلام فى المسؤولية الاجتماعية التى لم تقتصر على الرجل فقط، وإنما شملت الجنسين، وذلك ضمن الضوابط الشرعية التى تحكم هذه المشاركة ومن أبرزها أن يكون فى اللقاء بين الرجل والمرأة جدية والتزام لقوله

(١) رواه البخارى : كتاب المغازى ، باب مرجع النبى ﷺ من الأحزاب، جـ٨ ، ص ٤١٦

(٢) رواه مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ، باب فى حديث الهجرة ، جـ ٨ ، ص ٣٣٧

تعالى :﴿وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾ [1] ، فالآية تشير أن يكون الحديث فى حدود المعروف ولايتضمن ذلك منكرة ولهواً أو غير ذلك، وكذلك غض البصر لقول تعالى ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [2] والغض من البصر يعنى منع الاسترسال فى النظر، مخالفة الفتنة، واجتناب الخلوه، لما فى ذلك من فتح باب للفتنة لقول النبى ﷺ (لايخلون رجل بامرأة إلا مع ذى محرم)[3]

لكن إذا تعدد الرجال أو النساء زال المنع لأن الخلوة إنما تكون بين رجل وامرأة أما كثرة العدد فلا خلوة بينهم، ولقول الرسول ﷺ (لايخلون رجل بعد يومى هذا على مغيبة إلا ومعه رجل أو اثنان) وقال النووي، ولأن النساء المجتمعات لايتمكن فى الغالب الرجل من مفسدة ببعضهن فى حضرتهن[4]، ومن ذلك اجتناب مواطن الفتنة والريبة، فالمرأة والرجل كلاهما أهل للشرف والعفة فى الحياة الإسلامية، ولذا فإن من آداب مشاركتها فى الحياة الاجتماعية أن يجتنبا مواطن الفتنة أو الريبة حتى لايكون ذلك باباً للشيطان أو مدخلاً للفساد لأن مواطن الفتنة بينة ومهيئة لذلك قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [5] وقوله ﷺ(دع مايريبك إلا مالا يريبك)[6]

ومن ذلك أيضاً أن تلبس المرأة المسلمة ملابس محتشمة، وأن تتبرج تبرجاً ظاهراً، فالإسلام لم يحدد لباساً للمرأة وإن حدد ضوابط لذلك كأن يكون اللباس ساتراً ولايكشف من جسد المرأة إلا ما أباحه الله سبحانه وتعالى، كالوجه والكفين، وأن لايكون اللباس ضيقاً يصف الجسد، وماعدا ذلك فللمرأة أن تلبى ماتشاء، إذا توفرت فيه هذه الضوابط، ولذا فإن المرأة المسلمة إذا أرادت المشاركة فى الحياة

---

(١) سورة الأحزاب آيه ٣٢

(٢) سورة النور آيه ٣٠

(٣) رواه البخارى : كتاب النكاح - جـ ١١ ، ص ٢٢٦

(٤) انظر كتاب المجموع : شرح المهذب، جـ٤ ص ١٧٦

(٥) سورة الأنعام آيه ١٥١

(٦) صحيح الجامع الصغير، ٣٣٧٢

الاجتماعية العامة فعليها أن تلتزم بالزي المحتشم لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ (١)

وقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (٢)

ثانياً: الحقوق المالية

للمرأة فى الإسلام كافة الحقوق المالية فليس هناك فرق بين الرجل والمرأة فى مصادر كسب المال ولا فى طرق إنفاقه بل يتساويان فى ذلك ضمن الضوابط الشرعية، لذلك كأن يكون مصدره حلالاً وإنفاقه فى أمر مشروع وأن لايكون إسرافاً أو تبذيراً أو غير ذلك، بل تميز الإسلام عن الشرائع الوضعية فى حقوق المرأة المالية بإعطائها استقلالاً فى ذمتها المالية فجعل لها ذمة مالية مستقلة عن زوجها فلها حق مباشرة أعمالها المالية ومباشرة كافة العقود والتصرفات، وجعلها صاحبة الحق المطلق فى مالها فليس لأحد من الرجال أن يتدخل أو يمنعها أو يحجر عليها هذا التصرف إلا بحكم شرعى، كما أن لها حق التصرف الحالى المشروع بكافة صوره كالبيع والشراء وممارسة التجارة والإجارة والمضاربة والشراكة وكافة المعاملات المالية، فقد ورد أن زينب بنت جحش رضى اللّه عنها، كانت تعمل فى دباغة الجلود وحياكتها قبل زواجها من النبى ﷺ وبعد زواجها منه، وكانت تتصرف فى نتاج عمله من أموال كيف تشاء)(٣) وإذا كان للمرأة المسلمة حق التملك والذمة المالية بصفة عامة، فإن لها كذلك حق التصرف المالى مثلها مثل الرجل دون فرق بينهما، وتنطبق عليها كافة ضوابط الإنفاق مثل عدم الإسراف والتبذير لقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ (٤) بل حث الإسلام المرأة كما حث

---

(١) سورة الأحزاب آيه ٣٣

(٢) سورة الأحزاب آيه ٥٩

(٣) حقوق المرأة فى الشريعة الإسلامية : د/ إبراهيم النجار، ص ٢٤٧

(٤) سورة الفرقان آيه ٦٧

الرجل على الإنفاق في مواطن الخير والمصلحة فقال تعالى﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾[1]، ولذا فإن تصرف المرأة مالياً يكون مشروعاً إذا كان وفق تلك الضوابط فمن حق المرأة أن تتصرف بأموالها على سبيل المعاملات المالية السابقة أو على سبيل التبرع والتصرف وقد أثنى الله على المسلمين بذلك بقوله تعالى :﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾[2]

فلم تفرق الآية بين الرجال والنساء في كل هذه المواقف ومنها التصدق، وتشير هنا إلى مسألة هامة من مسائل حقوق المرأة المالية ألا وهي قضية الدخل الخاص بالمرأة من العمل أو الميراث أو الوقف أو غير ذلك من مصادرها الخاصة إذ ينشأ كثير من النزاع فيمن هو صاحب الحق في هذا الدخل وخاصة لدى الأسر التي تعمل فيها امرأة زوجة أو أماً أو بنتاً، وما ذلك إلا بسبب نقل نماذج من الصور لدى المجتمعات الغربية إذ تلزم المرأة لديهم بالمشاركة في الإنفاق على البيت، وأحياناً تكون ملزمة وحدها بذلك الإنفاق بسبب انفصال الزوجين أو طلاقهما وغير ذلك من الأسباب، أما في الإسلام فالمرأة غير مكلفة شرعاً بالإنفاق على بيتها أو أسرتها، لأن الرجل هو المكلف بذلك الإنفاق بما في ذلك نفقة الزوجة، لكننا نؤكد على أن بناء الأسرة المسلمة قائمة على المودة والرحمة لا على المصالح المادية، فمع حق المرأة المسلمة في دخلها ومالها الشخصي، إلا أن الأولى لها أن تسهم مع أبيها أو زوجها وأسرتها في شئ من الإنفاق خاصة إذا كانت أسرتها بحاجة لذلك إذا لاينبغي داخل المجتمع الإسلامي والأسرة المسلمة أن يتمتع أحدهما بالمال بينما الآخرون بحاجة إليه، فعن

(١) سورة البقرة آيه ٢٦٧

(٢) سورة الأحزاب آيه ٣٥

أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال :(جاءت زينب امرأة عبدالله بن مسعود، وقالت: يانبى الله إنك أمرت بالصدقة كان عندى حلى فأردت أن أتصدق به، فزعم ابن مسعود أنه وولده أحق من تصدقت عليه، فقال النبى عليه الصلاة والسلام: صدق ابن مسعود: زوجك وولدك أحق من تصدقت عليه)[1]

فالنبى ﷺ لم يمنع زينب من التصدق لكنه أشار إلى أن أسرتها أولى بتلك الصدقة، وهذا يشير إلى أن المرأة المسلمة هى جزء من النسيج الاجتماعى وعليها أن تتحمل جزءاً من الواجب تجاه تنمية وتوفير احتياجه ومن بين الاحتياجات المادية وتحكم هذا المبحث بقضية تشغل كثيراً من الناس بشأن الحقوق المالية للمرأة ألا وهى قضية الميراث، فقد أعطى الإسلام للمرأة حق الميراث من زوجها، وجعل للذكر مثل حظ الأنثيين، فنظر بعضهم إلى تلك القضية بمنظار التشويه متأثراً بآراء المستشرقين أحياناً والمغرضين أحياناً أخرى، متأثرين بالرؤية الغربية التى تلزم المرأة بالمشاركة فى الإنفاق على الأسرة، ولذا فإنهم يرون أنها يجب أن تتساوى فى الحصول على الميراث، عملاً بأن المرأة لديهم كثيراً ما تحرم من الميراث إذا لم تنص وصية الميت على ذلك!! أما الإسلام فقد عالج المسألة معالجة شرعية وعقلية فقد كلف الرجل بالإنفاق على الأسرة بينما احتفظت المرأة بحقها بماله عدا أن هذا الحكم أمر مشروع من الله سبحانه وتعالى علينا قبوله والرضى به، ومن يبحث فى تفاصيل أحكام الميراث، يجد أن بعض الحالات تأخذ المرأة فيها النوع دائماً على الحاجة، وقد أدرك المنصفون من علماء الغرب حقيقة ذلك. يقول «جوستاف لوبون» صاحب كتاب «الدعوة إلى الإسلام»: (مبادى الميراث التى ينص عليها القرآن على جانب عظيم من العدل والإنصاف .. ويظهر لى من مقابلتى بينهما وبين الحقوق الفرنسية والإنجليزية أن الشريعة الإسلامية منحت الزوجات حقوقاً فى الميراث لاتجد مثلها فى قوانيننا)[2]

---

(١) رواه البخارى.

(٢) حقوق المرأة فى الشريعة الإسلامية ، ص ٢٥٤

ثانياً: واقع المرأة المسلمة

١- المرأة والتعليم:

شكلت المرأة المسلمة حضوراً متزايداً على الساحة العامة إذ أصبحت مجالاً لكثير من الأحاديث والكتابات والمناقشات التى تناولت قضية المرأة، تلك القضية القديمة المتجددة، واتجهت معظم المعالجات والتحليلات إلى أن المرأة مضطهدة ومقهورة ومظلومة، وأنها لم تأخذ حقوقها من الرجل!، إلى غير ذلك من الأطروحات التى تردد فى المناسبات الاحتفالية التى سريعاً ما تنتهى وتبقى قضية المرأة حاضرة، وقد انشغل المسلمون بقضية المرأة وكأنها قضية لاحل لها، إذ ان الحديث حول المرأة وحقوقها ومدى حصولها على هذه الحقوق، ستبقى من القضايا الدائمة ولانعتقد أن هذا الحديث حول ذلك سيتوقف فى يوم من الأيام. فحتى الدول التى حققت فيها المرأة نجاحات واضحة على مستوى الحياة العامة مازالت تناقش هذه القضية وإن اختلفت مفرداتها وتفاصيلها، وسيبقى هناك من يرفع لواء إعطاء المرأة حقوقها بينما يرفع الآخرون دعوات أخرى تقول إن المرأة قد نالت حقوقها كاملة أو حققت إنجازات كبيرة «متأثرين» تارة بالقيم والتقاليد الإجتماعية، ومستندين تارة أخرى إلى النصوص الدينية، بينما يطرح المقابلون لهم واقع المرأة ومانعيشه فى صورة قياسية «منمذجة» بالنموذج الغربى الذى يتصورونه النموذج الأمثل لما يمكن أن تحققه المرأة على أية بقعة من بقاع العالم، ولذا فإن هذه الجدلية ستظل مطروحة على بساط البحث مادام هناك امرأة أو رجل أو رجل وامرأة، وما يهمنا أن نناقش حالة المرأة المسلمة التى هى ميدان البحث فى عالمنا ومجتمعاتنا، فهل حققت المرأة المسلمة شيئاً يذكر فى مجتمعاتها، وهل هناك من يحول دون تحقيق ذلك؟ إن التسرع بإطلاق الأحكام والإجابة يضعنا فى أحد القوالب السابقة - الهجوم أو الدفاع فى قضايا المرأة - لكننا سنناقش القضية من خلال الأرقام التى تعد أكثر دلالة وأوضح مؤشراً على ما حققته أو يمكن أن تحققه المرأة وسنعمد لمقارنتها - بشقيقها - الرجل، ولعل أهم المؤشرات التى يتم الاستناد إليها لقياس تقدم أو تخلف أى مجتمع هو

التعليم، وهـذا ماسارت عليـه التقارير والدراسـات الدولية، وما اعـتمـدته المنظمات الباحثة فى هذا الميدان، فماذا حققت المرأة المسلمة من التعليم؟[1]

الأرقام تقـول إن المعيـار العالى لمعـرفة القراءة والكتـابة بين البالغين مـن النساء والرجال قـد بلغ ١ , ٧١٪، أما الرجال فـهو ٣ , ٨٤٪، وقد حـققت الدول الصناعـية المتقدمة أعلى المستويات إذ بلغت نسبـة النساء المتعلمات لديها ٦ , ٩٨٪، بينما بلغت نسـبة الرجـال المتعـلمين ٩ , ٩٨٪ أى بفارق ٣ , ٠٪، وحـققت الـدول النامـية نسبـة لابأس بها إذ أن نسبة اللائى يحسن القـراءة والكتابة ٩ , ٦٢٪ بينما بلغت النسبة بين الرجـال ٨٠٪ أى بفارق ١ , ١٧٪ لصـالح الرجـال، أما الأقل نمواً فـقـد تدنت نسبـة النساء القـادرات على القراءة والكتابة إلى ١ , ٣٨٪، أما الرجـال فقد بلغت نسبـتهم ٩ , ٥٨٪ أى بفارق ٧ , ٢٠٪ لصـالح الرجال، فماذا عن المرأة المسلمـة؟ إن القادرات على القـراءة والكتابة من النسـاء المسلمـات لم تتجـاوز ٤ , ٤٦٪، أما الرجـال فقـد وصلت نسبـتهم إلى ٦ , ٧٠٪ أى بفارق ٢ , ٢٤٪ لصالح الرجـال، وهو أعلى فارق بين الرجـال والنساء على مـسـتوى العـالم، لكننا يمكن أن نلحظ الفـارق فى جمـيع الأحوال على مـستـوى العالم كـان لصالح الرجل، ويمكننا بذلك أن نقـول إن تعليم المرأة أو على الأقل قدرتها على القراءة والكتابة مـازال فى منطقة «الظلم» بالنسبة لها وليست المرأة المسلمة بدعاً من ذلك إذا تسـاوت فى هذا «الظلم» مع غيرها، وإذا كان هذا حال المرأة المسلمة بصفة إجمالية فماذا عن مستوى بعض الدول - كنماذج - فى ذلك؟ إن الأرقام تشـير إلى أن أكثـر النساء المسلمات اللائى لهن قـدرة على القراءة والكتـابة هن النساء فى بروناي (دار الـسلام) إذا تبلغ نسـبتـهن ٤ , ٩١٪ وهى نسبـة عالية إذا ماقورنت بالنسبة الإسلامية الإجمـالية أو حتى النسبة العالمية، ولذا فإن نسبة الأمـيات فى بروناى - غـير القـادرات - على الـقراءة والكتـابة لاتتـجـاوز ٦ , ٨٪ ولاتختلف هذه النسـبة كثيـراً عما عليه الـرجال إذا تبلغ نسبة الرجـال القادرين على القراءة والكتابة فى بروناي ٣ , ٩٦٪ أى أن نسـبـة الأمية بينهم لاتتجاوز ٧ , ٣٪ وهى نسبة ممتازة إذا ما قورنت بما هى عليه فى بقية دول العالم أو الدول الإسلامية أما ثانى

(١) تم استخراج الأرقام من تقرير البرامج الإنمائى للأمم المتحدة ٢٠٠٤م

النساء المسلمات قدرة على القراءة والكتابة فهى النساء الأردنيات إذا تبلغ نسبتهن ٨٥,٨٪ أى أن الأميات بينهن لايتجاوزن ١٤,٢٪، بينما تبلغ نسبة الرجال القادرين على القراءة و الكتابة فى الأردن ٩٥,٥٪، أى أن الفارق بين النساء والرجال ٩,٧٪ لصالح الرجال، وتأتى ماليزيا فى المرتبة الثالثة حيث تبلغ نسبة المتعلمات فيها ٨٥,٤٪ أى نسبة الأميات الماليزيات تبلغ ١٤,٦٪، بينما تبلغ النسبة بين الرجال الماليزيين ٨٪ فقط، أى أن نسبة الرجال القادرين على القراءة والكتابة فى ماليزيا تبلغ ٩٢٪ وهى نسبة عالية وفقا للمعايير العالمية، وتأتى البحرين فى المرتبة الرابعة من حيث قدرة النساء فيها على القراءة والكتابة إذا بلغت نسبتهن ٨٤,١٪ أى أن الأميات البحرينيات يبلغن ١٥,٩٪ لكن الرجال البحرينيين يتفوقون على النساء فى ذلك إذا بلغت نسبتهم ٩١,٥٪ أى بفارق ٧,٤٪ لصالح الرجال الذين لاتتجاوز الأمية بينهم ٨,٥٪، أما النساء القطريات فيأتين فى المرتبة الخامسة إذا تبلغ نسبتهن ٨٢,٣٪ أى أن الأميات بينهن لا يتجاوزن ١٦,٦٪ أما الرجال القادرون على القراءة والكتابة فى قطر فتبلغ نسبتهم ٨٤,٩٪ أى أن نسبة الأمية بينهم ١٥,١٪ فقط بفارق يبلغ ٢,٦٪ لصالح الرجال، وكانت المرتبة السادسة من نصيب لبنان إذ أن نسبة النساء اللبنانيات القادرات على القراءة والكتابة تبلغ ٧٨,٥٪ أى أن الأميات بينهن بلغت ٢١,٥٪، لكن الرجال اللبنانيين تبلغ نسبة القادرين منهم على القراءة والكتابة ٩١,٢٪ أى بفارق ١٢,٨٪ لصالح الرجال، ولذا تنخفض نسبة الأمية بين الرجال فى لبنان إلى أدنى المستويات إذا لاتتجاوز ٨,٨٪ مما يضعهم فى المستويات المتقدمة تعليمياً، أما الكويتيات فيأتين فى المرتبة السابعة بين النساء المسلمات القادرات على القراءة والكتابة إذ تبلغ نسبتهن ٨١٪ أى أن الأميات بينهن تبلغ نسبتهن ١٩٪ لكن الرجال يسجلون تقدماً ملحوظاً على النساء فى الكويت إذا تبلغ نسبة القادرين منهم على القراءة ٨٤,٧٪ بفارق ٣,٧٪ لصالح الرجال وهى نسبة جيدة مقارنة بالفارق الكبير فى التعليم بين الرجال والنساء على المستوى العالمى وعلى مستوى الدول الإسلامية، وتأتى النساء الإماراتيات فى المرتبة الثامنة من حيث المعرفة بالقراءة والكتابة إذ أن نسبة القادرات منهن على ذلك تبلغ ٨٠,٧٪ وهى

تتفوق على الرجال بنسبة ١,٥٪ أى أن نسبة الرجال القادرين على القراءة والكتابة فى الإمارات تبلغ ٧,٨٠٪ وهى تتفوق على الرجال بنسبة ١,٥٪ أى أن نسبة الرجال القادرين على القراءة والكتابة فى الإمارات تبلغ ٦,٧٥٪، ونعتبر النساء الإماراتيات الوحيدات فى الدول الإسلامية اللآئى يتفوقن على الرجال فى مجال القراءة والكتابة، ولذا ترتفع نسبة الأمية بين الرجال الإماراتيين عن النساء، إذا تبلغ نسبتهم ٤,٢٤٪، أما نسبة الأمية بين النساء الإماراتيات فتبلغ ٣,١٩٪ وإذا كانت الصورة فى هذه البلدان تبدو جيدة، فإن سبب ذلك عائد إلى الوضع الاقتصادى لهذه الدول، إذ تأتى معظمها فى مقدمة الدول الغنية بالنفط ، باستثناء الأردن ولبنان، مما يشير إلى ارتباط الأوضاع التعليمية بالإمكانيات المادية بصورة مباشرة.

ومقابل هذه النتائج نجد صورة أخرى تعبر عن الأوضاع السيئة التى تعيشها المرأة المسلمة فى بعض البلدان، إذ تكاد تأتى معظم الدول الإسلامية فى آخر قوائم التعليم على المستوى العالمي عدا أن تكون أوضاع المرأة فيها أوضاعاً سيئة، ففي بلد كالنيجر لاتستطيع سوى ٣,٩٪ من النساء القراءة والكتابة أى أن نسبة الأميات بينهن تبلغ ٩,٩٠٪، ولاتقل أوضاع الرجل سواءاً إذا أن القادين بينهم على القراءة والكتابة لاتتجاوز ١,٢٥٪، أى نسبة الأمية بينهم ٩,٧٤٪، ولنا أن نتصور حال برامج التنمية الاجتماعية والصحية وغيرها فى ظل هذه الأوضاع التعليمية.

أما فى السنغال فإن نسبة القادرين على القراءة والكتابة لاتتجاوز ٧,٢٩٪ أى أن نسبة الأمية بين النساء تصل إلى ٣,٧٠٪، بينما تصل نسبة الأمية بين الرجال السنغاليين إلى ٥١٪ فنسبة القادرين على القراءة والكتابة لاتتجاوز ٤٩٪ أى مايقرب من نصف عدد الرجال.

وفى اليمن تبلغ نسبة الأميات من النساء ٥,٧١٪أى أن القادرات على القراءة والكتابة لاتتجاوز ٥,٢٨٪، ومثل هذه النسبة في باكستان كذلك، إلا أن وضع الرجال في اليمن أفضل حالاً إذ تبلغ نسبة القادرين على القراءة والكتابة ٥,٦٩٪ أى أن نسبة الأمية بينهم ٥,٣٠٪، أما فى باكستان فإن نسبة الأمية بين الرجال تتجاوز

نصفهم إذ تبلغ ٤ ,٥٣٪ أى أن نسبة القادرين على القراءة والكتابة لاتتجاوز ٦ ,٤٦٪ وقريباً من هذا فى بنغلاديش إذ تبلغ نسبة الرجال القادرين على القراءة والكتابة ٣ ,٥٠٪ أى نسبة الأمية بينهم ٧ ,٤٩٪ وليست النساء البنغلاديشيات أفضل حالاً إذ تصل نسبة القادرات على القراءة والكتابة ٤ ,٣١٪ فقط، أى أن نسبة الأمية بينهن تبلغ ٦ ,٦٨٪.

وفى المغرب تبلغ نسبة القادرات على القراءة والكتابة ٣ ,٣٨٪ فقط، أى أن نسبة الأمية بين المغربيات تبلغ ٧ ,٦١٪ أما الرجال فهم أفضل حالاً من النساء، إذا أن القادرين على القراءة والكتابة من بينهم تبلغ ٣ ,٦٣٪ ، أى أن نسبة الأمية بين الرجال المغاربة تبلغ ٧ ,٣٦٪

إن هذه النماذج من بعض الدول الإسلامية تعطى مؤشراً مهماً وهو أن حال المرأة المسلمة في مجال التعليم مازال متأخراً عن مثيلاتهم فى دول العالم الأخرى، بل مازال متأخراً عن المتوسط العالمي في مجال التعليم، على الرغم من كفالة الإسلام لهذا الحق وحثه على إعطاء الفرصة للمرأة حتى تأخذ نصيبها من التعليم، إلا أن الأوضاع الاقتصادية والقيم والعادات المتخلفة التى تحرم المرأة من هذا الحق والنظرة القاصرة لدور المرأة فى المجتمع والحياة أسهم فى هذا الوضع الذى يخالف مادعت إليه الشريعة الإسلامية الغراء .

٢- المرأة والعمل:

مازالت الرؤية لعمل المرأة ومشاركتها فى الحياة العامة من القضايا التى تستثير الباحثين والدارسين، بل تستثير التقارير الأخبارية والتعليقات الاجتماعية من خلال وسائل الإعلام، فبين محدد لدور المرأة من الصورة السابقة، مستندين على موقف الشريعة الإسلامية التى أعطت للمرأة حقوقاً متساوية مع الرجل فى كافة شؤون الحياة إلا ماقامت الشريعة على التفريق بينهما لأساب محدودة وفي جوانب خاصة بالرجل أو المرأة، كما يستند هؤلاء على الواقع الذى تعيشه المرأة المعاصرة بما فيها المرأة المسلمة إذ أن المرأة حصلت على مستويات متقدمة من التعليم والتدريب تؤهلها

إلى القيامة بدورها العملي بما يسهم فى تنمية المجتمع ويتوافق مع احتياجاته ومتطلباته خاصة وأن المرأة مارست هذا الدور قديماً، إذ يرى هذا الفريق أن المرأة مارست العمل منذ القدم، ولم يتراجع دورها التنموي فى المجتمعات إلا فى العقود المتأخرة، وربما أسهمت الوفرة المادية في ذلك، وكنموذج على ذلك المرأة فى «الخليج »فقد كانت المرأة الريفية فى الخليج تقوم بحرث الأرض، وجمع الثمر وتربية الدجاج والحيوانات، كما باعت الخضراوات والبيض، وصنعت سلالاً من القش، وقامت المرأة البدوية برعي الأغنام، وصنع الأغذية كاللبن المجفف وزيوت الطهي، كما صنعت السجاد والخيام والصناديق لنقل حاجاتها التى قايضتها فى السوق .

أما زوجات صائدى اللؤلؤ فتحملن مسؤولية إدارة أمور الأسرة نظراً لقضاء أزواجهن أوقاتا طويلة فى البحر.

وتشير إحدى الباحثات الى دور المرأة فى العمل باعتبارها قوة منتجة وتأخذ نموذجاً لذلك حالة المرأة الريفية فى دولة الإمارات العربية المتحدة فتقول «على الدوام كان للمرأة فى الإمارات بشكل عام دور ريادي فى مايتعلق بحركة الإنتاج واستمرارية الاستقرار الاجتماعى فهى مساند قوى فى المناطق الزراعية تعمل على تحقيق أكبر مستوى من الإنتاج فى المزارع التى تملكها عائلتها عن طريق المشاركة اليومية فى أعمال الزراعة، فمثلاً تستطيع القيام بأعمال السقاية وتنظيف الحشائش وجنى المواسم وتجهيزها بحيث تكون صالحة للأكل طوال العام، مثل صناعة الدبس والتمور، وإنتاج الحب أى القمح «والخن» - نوع من الحبوب تتم صناعة الخبز منه - وتجفيف ثمار الليمون الصغير (اللومي) وإنتاج الأعلاف الموسمية لمساعدة الماشية التى تربيها فى الشهور الجافة من السنة وتجهيز الثمار الناضجة للبيع. وفى المناطق البحرية تتحول المرأة الى عضو هام فى جماعة الحفاظ على الثروة السمكية والبيئة البحرية وزوجات الصيادين لديهن خبرة كافية لمساندة رجال البحر وتسهيل مهامهم، فهى إلى جانب خبرتها في صناعة الأسماك الملحة وهذه بالمناسبة أمنت مورد رزق جيد لمئات العائلات على امتداد القرون الماضية ومهمة تمليح الأسماك وإعدادها للبيع كانت من نصيب المرأة في القرى .

إن عمل المرأة مازال إحدى الإشكاليات الاجتماعية التى تلعب فيها القيم دوراً واسعاً مما يجعلها محط دراسة الباحثين والمهتمين إذ «تكاد لاتخلو دراسة حول أوضاع العلم في الخليج من الإشارة إلى مجموعات القيم التي تفرض على المرأة الاشتغال بمهن معينة، خصوصاً التدريس، الذى تلحق به الإناث اللواتي يصرفن النظر عن تخصصاتهن العلمية والأكاديمية، حتى إن مراحل تعليمية فى أكثر من قطر عربي خليجى كادت أن تعتمد على الإناث وحدهن، وإذا كان بعض الأقطار الخليجية قد وسع هوامش عمل المرأة، فإن ذلك كمى وليس كيفيا، وأفضى هذا الوضع إلى تضخم وظيفي من الإناث فى مجالات العمل التى لايوجد فيها اختلاط أو تعامل مباشر مع الذكور، وإلى نقص في مجالات أخرى تستجلب إليها العمالة الوافدة لتفي بحاجات المجتمع في هذه القطاعات، وقد أكدت دراسات تاريخية حول أوضاع العمل في الخليج أن مشاركة المرأة، قبل الحقبة النفطية، في كثير من المهن والأعمال كانت كبيرة، فقد كان النساء يعملن في بيع السمك والدجاج والماء، ويقمن بالأعمال المنزلية اليومية وصباغة الأقمشة والزراعة وبعض الصناعات الحرفية غير أن الوفرة المالية بعثت قيماً وأكدت أخرى، كان من شأنها تحجيم عمل المرأة وإذا كانت هذه الظاهرة تبدو أكثر وضوحاً فى الخليج، فهى متفاوته فى الكم في غالبية الأقطار الإسلامية، وإن كان هذا التفاوت لايرتبط بالقيم الاجتماعية على النحو الذى هو عليه في الخليج، حيث توجد عوامل بناذية أخرى ذات صلة بانحصار الإنتاج ومحدودية فرص العمل، التى يفوز بها الرجال، نتيجة للفرص التى أتيحت له تاريخياً في التعليم والعمل، خصوصاً فى الشرائح الوسطى وما يعلوها، ولعل من بين مايدلل على انخفاض مشاركة المرأة عموماً، وفي المهن الإنتاجية خصوصاً، أن نسب مشاركتها في الإمارات والكويت، على سبيل المثال في أعمال النقل والمواصلات والتشييد والبناء، تراوحت بين ٣,٠ و ٣,٠٤ بالمائة.

إن عدم وجود المرأة فى مواقع عمل تسمح لها بممارسة دورها مع محافظتها على هويتها العربية الإسلامية والتزامها القيمى يحرم المجتمع من هذا الدور، هذا إلى جانب الهدر في الإمكانيات المادية والبشرية إذ أن الواقع يشير إلى تزايد فى أعداد

الخريجات من الجامعات ومؤسسات التعليم فى العالم الإسلامي، وقد أنفقت الدول ملايين الدراهم والدنانير على تعليم هؤلاء الفتيات وعدم إفساح المجال لهن في العمل يهدر هذه المبالغ، ولايكفى القول أن التعليم بذاته مطلب، فلا شك أنه مطلب حيوي للإنسان في هذا العصر، لكن التعليم إذا لم يتحول إلى عمل فإنه يصبح «مخزونا» لاينتفع به، ثم إن المعارضين لدور المرأة فى الحياة يذهبون بعيداً حين يفترض - البعض منهم - أن خروج المرأة ومشاركتها في الحياة سيؤدى إلى «انحراف» المرأة، وهذا عدا أنه تصور يتعارض مع المفهوم الشرعي الإسلامي الذي يفترض في المرأة المسلمة العفة والحصانة شأنها شأن الرجل، إلا أنه يصور المجتمع المسلم بصورة الوحش الكاسر تجاه المرأة «الضعيفة» أمام رغباتها وسلوكها، وكأن العلاقة بين المجتمع أو بصورة أخرى بين المرأة والرجل هي علاقة «شهوة» فقط، وهو تصور يسئ إلى المجتمع بأكمله مثلما يسئ إلى المرأة، خاصة وأن التاريخ الإسلامى حفل بصور ناصعة من مشاركة المرأة المسلمة في الحياة ولم يشر أحد إلى أن ذلك مدعاة انحراف أو إساءة مع وجود النصوص التى تحذر من ذلك والتي يجب أن تفهم فهماً شاملاً فى ظل القواعد العامة للإسلام التي تمنع التقاء الرجل بالمرأة لغير حاجة أو بصورة تفتح أبواب الانحراف والفساد، أو في أجواء تهيئ الوقوع في ذلك، لكن إذا تحقق للمرأة تربيتها الإسلامية التى تمنعها من الوقوع في الزلل وتهيأت لها الظروف المناسبة للمشاركة كان الحديث عن انحرافها يعد تعريضاً بالمرأة المسلمة وتقليل من شخصيتها ومثل هذا القول ينطبق على الرجل أيضاً فوجود الإنسان في بيئة (موبوءة) بالفساد والانحراف مدعاة كذلك للسقوط.

إن قصر التصور على المرأة وحدها نابع من رؤية اجتماعية بيئية محدودة وليس من نظرة شرعية حددت الظروف والشروط والمواصفات للمرأة والرجل ليكون لكل واحد منهما دوره في المشاركة والعمل من أجل البناء والتنمية في المجتمع.

ويقابل هذا التصور كذلك تلك النظرة التي ترى في المرأة - غير العاملة - تخلفاً وتأخراً، خاصة إذا كان لتلك المرأة دور تمارسة في الحياة فقد ترى إحداهن أن

التفرغ لتربية أبنائها تربية سليمة أولى من مشاركتها في العمل - الوظيفي - أو أن يكون لها دور اجتماعي من خلال المؤسسات الاجتماعية أوسع من مجرد الوظيفة المحدودة فينظر إليه أنها ليست - مشاركة - أو أنها غير مواكبة لحركة المجتمع، أو غير ذلك من النعوت التي يصفها بها بعض الكتاب والباحثين - من المبالغين - في دفع المرأة للحياة العامة حتى ولو لم يكن هناك مبرر لهذا الدفع، وإذ كنا نعيب على أولئك الرافضين لمشاركة المرأة فإننا نعيب على هؤلاء كذلك لقد استمعت إلى إحدى المتحدثات التي تصف المرأة غير العاملة بأنها امرأة (متخلفة) وكأن مقياس التخلف والوعي هو وظيفة المرأة أو عملها المحدود، وكان رد إحدى المشاركات عليها أنها تفضل أن تكون متفرغة لتربية أبنائها (الخمسة) ليكونوا عناصر فاعلة في المجتمع على أن تخرج للعمل وتترك مسؤولية هؤلاء (الخمسة) على امرأة أخرى هي المربية أو الخادمة.

إن المبالغة في كلا الأمرين أضاعت حقيقة دور المرأة في الحياة، وكأن المرأة مخلوق آخر يراد له أن يأتي من يحدد له هذا الدور ونسي كلا الطرفين أن الحياة تقوم على طرفيها المرأة والرجل، ولاقيمة للحياة بدون إحداهما، وكما أن للرجل دوره فإن للمرأة دورها، ولايقلل أحدهما من الآخر.

٣- المرأة والسياسة:

إذا كانت المرأة المسلمة قد دخلت القرن الحادي والعشرين ولم تحقق تقدماً واضحاً في ميدان التعليم الذى يُعد الأساس في عملية البناء والتنمية لأي مجتمع فماذا يمكن أن نتصور إنجازها في ميدان السياسة والمشاركة؟ إن المرأة المسلمة لاتختلف كثيراً عن معظم دول الشرق إذ مازالت مشاركتها محدودة أو رمزية في الأقطار التى سمحت لها بهذه المشاركة عدا أن هناك أقطاراً عدة من بينها بعض الأقطار الإسلامية لم تسمح للمرأة بالمشاركة السياسية، ولعل التجارب التى مرت بها بعض تلك الدول في السنوات الأخيرة تشير إلى أن المرأة المسلمة لم تصل إلى القبول بمشاركتها السياسية عدا عن وجودها في المؤسسات السياسية، ومازالت بعض

المجتمعات منقسمة على نفسها بين قبول هذه المشاركة ورفضها لأسباب كثيرة، لكن المرأة حتى في بعض الدول التى سُمح لها بالمشاركة السياسية لم تستطع أن تحقق موقعاً يُذكر فلم تستطع أن تصل امرأة واحدة إلى مقاعد البرلمان أو الوزارة أو المؤسسات السياسية الأخرى في بعض الدول الإسلامية التي أعطتها هذا الحق مما يعني عدم تقبل بعض المجتمعات الإسلامية لفكرة مشاركة المرأة إما لأسباب يعزوها البعض إلى الدين أو التقاليد أو للمرأة ذاتها حيث يشكك البعض في قدرتها على هذه المشاركة أو عدم صلاحيتها للقيام بهذا الدور «الذكوري»، ولهذا فإننا نجد أن دور المرأة في العمل السياسي الموسسي مازال ضئيلاً منذ أن سُمح للمرأة بالتصويت في أول بلد إسلامى وهو تركيا عام ١٩٣٠م، ثم سمح لها بالترشيح عام ١٩٣٤م، وعلى الرغم من مرور مايقرب من ستة وسبعون عاماً على ذلك، إلا أن المرأة التركية لم تحقق حضوراً في البرلمان حيث لم تتجاو ز ٤ , ٤٪ من أعضاء البرلمان في آخر انتخابات، أما الدولة الإسلامية الثانية التى أعطت المرأة حقوقاً سياسية فهي المالديف وقد تم ذلك عام ١٩٣٢م إلا أن أول امرأة وصلت للبرلمان كان عام ١٩٧٩م أي بعد سبعة وعشرين عاماً !! من إقرار الحقوق السياسية للمرأة في المالديف، ثم جاءت أندونيسيا عام ١٩٤٥م لتعطي المرأة حقوقها السياسية ، ولم تمض فترة طويلة حتى وصلت أول امرأة أندونيسية إلى البرلمان وذلك عام ١٩٥٠م، وفي عام ١٩٤٦م حصلت المرأة في جيبوتي على حق المشاركة السياسية فتم الاعتراف لها بحق التصويت دون الترشيح الذي جاء متأخراً عام ١٩٨٦م، أى أنها احتاجت إلى أربعين عاماً لتكمل مشاركتها السياسية، ومع ذلك فإن المجتمع في جيبوتي له رأي آخر إذ لم يستطيع منذ تلك الفترة أن يقبل وجود امرأة واحدة في البرلمان!! مما يشير إلى أن مشاركة المرأة السياسية لاتتوقف على صدور القرارات والأنظمة فقط وإنما هي ظروف وقناعات لدى المجتمع الذى يقرر قبول المرأة من عدمه، ولم يكن شأن المرأة الباكستانية مختلفاً كثيراً فعلى الرغم من تأخرها عن الجيبوتية سنة واحدة للحصول على حق التصويت والترشيح أى عام ١٩٤٧م إلا أنها انتظرت طويلاً كذلك لتوصيل أول امرأة الى البرلمان حيث كان ذلك عام ١٩٧٣م، أي أنها صبرت!! سبعاً

وعشرين سنة للحصول على ما اكتسبته في مجال المشاركة السياسية لكنها استطاعت بعد ذلك أن تحقق حضوراً وصل إلى ٦ , ٢١٪ من مقاعد البرلمان في آخر انتخابات نيابية، وجاءت النيجر بعد ذلك أي عام ١٩٤٨م لتقر بالحقوق السياسية للمرأة، لكن أول امرأة وصلت للبرلمان في النيجر كان عام ١٩٨٩م، ومع ذلك فإن حضورها لم يتجاوز ٢ , ١٪ من عدد أعضاء البرلمان في آخر انتخابات، وتعد سوريا من الدول التي أعطت المرأة حقها للمشاركة السياسية في مرحلة مبكرة إذا سمحت لها بالتصويت عام ١٩٤٩م تم بالترشيح عام ١٩٥٣م، لكنها انتظرت عشرين سنة لتوصل أو امرأة إلى البرلمان أي عام ١٩٧٣م واستطاعت المرأة السورية أن تحصل على ١٢٪ من مقاعد البرلمان في آخر انتخابات نيابية ، أما مصر فقد أعطت المرأة حقها السياسي مبكراً عام ١٩٥٦م، وتعد مشاركتها أسرع مشاركة للمرأة إذا لم تنتظر طويلاً كشقيقاتها بل استطاعت أن تصل للبرلمان بعد سنة واحدة فقط أى عام ١٩٥٧م لكن تلك المشاركة لم تحقق نسبة كبيرة إذ لم تتجاوز هذه ٢ , ٤٪!! من أعضاء البرلمان في آخر انتخابات، ثم توالت بعد ذلك الدول الإسلامية في إعطاء المرأة حقوقها السياسية في الترشيح والتصويت وكان آخرها الكويت حيث أقرت الحقوق السياسية للمرأة عام ٢٠٠٥م ومن ثم شاركت المرأة الكويتية في الانتخابات في ١٩ يونيو ٢٠٠٦م، وهي أول مشاركة لها، لكن الملاحظ أن بعض الدول الإسلامية لم تقر الحقوق السياسية للمرأة عدا عن الحقوق السياسية للرجل، حيث تنعدم فيها القوانين المنظمة للحقوق السياسية مما يحرم الجميع من ممارسة هذا الحق، وأذا كانت بعض الدول تنظر بإمكانية إعطاء الرجل الحقوق السياسية إلا أن نظرتها للمرأة مازالت متأخرة عن الرجل في ممارسة الحقوق السياسية.

وهذا يشير إلى أهمية التوعية بهذا الحق ومعالجة موضوع مشاركة المرأة في ضوء المؤثرات الإجتماعية السائدة بين المسلمين، خاصة المؤثر الديني إذ يرتكز بعض المانعين لمشاركة المرأة على فهمهم لبعض النصوص دينية، كما أن المعوقات الاجتماعية والتصور لمشاركة المرأة المسلمة في الحياة السياسية - وفقاً للنموذج السائد في الغرب - جعل المجتمعات الإسلامية تتردد في قبول هذه المشاركة نظراً

لاختلاف المجتمعات وتقاليدها الاجتماعية ولطبيعة دور المرأة التربوي والأسري في المجتمعات الإسلامية .

الخاتمة والتوصيات

١- إن عدم الوعي بالحقوق التى أقرتها الشريعة الإسلامية للمرأة حرمها من كثير من الأدوار التى يمكن أن تقوم بها، ولذا لابد من توعية شاملة بهذه الحقوق والتعريف بها، خاصة في الجوانب التي لم تحظ باهتمام كبير كحقوقها المالية والسياسية .

٢- أدى الخلط بين ما أقرته الشريعة الإسلامية من حقوق للمرأة، وبين العادات والتقاليد السائدة في المجتمعات الإسلامية، إلى طغيان هذه العادات والتقاليد على تلك الحقوق، ولذا لابد من الفصل بين الأمرين والتأكيد على العادات والتقاليد الإجتماعية التي تتوافق مع الشريعة الإسلامية، وبيان مايخالفها.

٣- لاتأخذ حقوق المرأة في الشريعة الإسلامية حقها من البحث والدراسة في المؤسسات المختصة، كما أن غياب هذه الحقوق من مناهج التعليم أدى إلى الجهل بها، ولذا لابد من تضمين مناهج التعليم - وخاصة في التعليم العالي - محتوى يهتم بحقوق المرأة، حتى يستطيع الطلبة معرفة ذلك وتطبيقه في حياتهم.

٤- بعض القوانين المتعلقة بحقوق المرأة في بعض البلاد الإسلامية وضعت وفق رؤية غربية، أو وفق قيم اجتماعية محلية، ولذا لابد من وضع قوانين جديدة أو تعديل القوانين القائمة حالياً بما يتوافق مع الشريعة الإسلامية.

٥- إن وجود منظومة علمية إسلامية متكاملة بحقوق المرأة في الشريعة الإسلامية ييسر معرفة هذه الحقوق، كما ييسر تطبيقها، ولذا يمكن أن تتولى إحدى مؤسسات البحث العلمى أو الجامعات أو المراكز المتخصصة وضع هذه المنظومة العلمية وترجمتها إلى لغات متعددة حتى يتيسر للباحثين والمختصين الاستفادة منها.

٦- لاتوجد مساواة بين الرجل والمرأة في المجتمعات الإسلامية من حيث الحقوق التي أقرتها الشريعة الإسلامية كحق التعليم وحق العمل وحق التملك وحق المشاركة السياسية، ولذا لابد من العمل على إصلاح هذا الخلل من خلال التوعية وتشريع القوانين التي تحقق هذه المساواة.

٧- هناك محاولات لصياغة واقع المرأة المسلمة وفقاً للقيم والرؤية السائدة في المجتمعات الغربية، باسم التحرر أو التقدم أو المشاركة العامة في الحياة، ولذا فإن إبراز دور المرأة المسلمة في مجتمعها والأدوار التي تقوم بها وفق الرؤية الإسلامية، يعتبر رداً على تلك الدعوات، وتأكيداً على هذا الدور.

٨- إن عزل المرأة المسلمة عن مجتمعاتها ومحاولة قصر دورها على بعض الشؤون المحدودة يعتبر تقليلاً من مكانة المرأة وتعطيلاً لدورها الذي أقرته الشريعة الإسلامية، ولذا لابد من مشاركة المرأة المسلمة في الشأن العام وفقاً للضوابط التي أقرتها الشريعة الإسلامية.

الإسلام والتجديد
في
عهد النبوة والخلفاء الراشدين

د/ مهدي فضل الله(*)

تمهيد

الإسلام عقيدة وشريعة ونظام عام. عقيدة تقوم على التوحيد الخالص وتتجسد بالإيمان بالله الواحد ونبيه ورسله وملائكته واليوم الآخر. موحاة من الله سبحانه وتعالى، خالق الأكوان والإنسان، إلى الناس كافة، عن طريق نبيه محمد خاتم الرسل والأنبياء، تملأ كيان كل معتنق لها عن حرية واقتناع وتحرره من عبادة المال والأصنام والأشخاص. وقبول الظلم والطغيان والاستغلال والاستعباد.

وشريعة تتمثل بوجوب تأدية فرائض الله من صلاة وصيام وزكاة وحج وجهاد، وتتأتى من حركة الإيمان بالعقيدة في القلوب والعقول والتي تدفع كل مؤمن بها للعمل وفق مبادئ الإسلام وتعاليمه عن طواعية واختيار، كما جاء في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾(١)

ونظام يعتمد في وجوده على الإيمان بالعقيدة، والسلوك وفق مقتضى الشريعة، ولكنه في معناه أوسع من العقيدة، لأنه ليس صلاة وصوماً وزكاة وحجاً فقط، وإنما هو

(*) مفكر لبناني.

(١) سورة البقرة آية ١٧٧

المنهاج العام الذى ينظم حياة الإنسان فى جميع مناحي الحياة. سواء منها السياسية أو الاقتصادية أو القضائية أو الاجتماعية أو الأخلاقية على أكمل وجه. ويقوم على أساس الشورى التى جاء ذكرها فى سورة تسمى باسمها، ونزلت فى معرض ذكر أوصاف المسلمين بأنهم الذين يجتنبون الكبائر ويؤدون الصلاة والزكاة، ويعتمدون الشورى ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[1]

كما جاء ذكرها بصيغة الأمر، وقد نزلت يوم أحد عندما أشار بعض الصحابة على النبى ﷺ بالخروج من المدينة لملاقاة المشركين، خلافاً لرأيه، لتفوق قريش العددى، ونزوله عند رأيهم، فكانت النتيجة هزيمة المسلمين فى المعركة، وجرح النبى نفسه، بسبب عدم تنفيذ أوامره كاملة فى المعركة، ومن قبل فريق الرماة ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[2]

وإعلاء النظام الإسلامى وإقامة المجتمع الإسلامى، هو غاية الإسلام فى نهاية المطاف، لتحقيق خلافة الإنسان فى الأرض وصوغ حياته وفق مبادئه التى تلائم جميع الأوضاع، بصرف النظر عن اختلاف المكان والزمان والإنسان. والذى يؤمن بالعقيدة، ويعمل بمقتضى الشريعة، لايمكنه إلا العمل من أجل إقامة النظام والمجتمع الإسلامى في الأرض، من أجل مرضاة اللّه وخير الإنسان كافة، مهما كلفه ذلك من جهد وتضحيات حتى ولو كان فى ذلك حتفه.

ولذا عندما آمن الأعراب من أهل الجاهلية بعقيدة اللّه: الإسلام وشريعته فغيروا ما بنفوسهم وقلوبهم وعقولهم، وانقلبوا على ماهم عليه من أوضاع لإعلاء كلمة اللّه فى دنيا العرب، وإقامة المجتمع الإسلامى الأول ودولة النبوة العادلة الرشيدة المثالية، فتم لهم ذلك فى وقت قصير لايتعدى العقدين من السنين. وطهروا جزيرة

(١) سورة الشورى آيه ٣٧ - ٣٨

(٢) سورة آل عمران آيه ١٥٩

العرب من الجاهلية التى كانت تحكمها ديانة الشرك الوثنى والأصنام، وتسودها كل الموبقات .

وهكذا، فالإسلام والتجديد القلبي والنفسي والعقلي والعملى، صنوان متلازمان وأنّى وجد الإسلام الفعلي والمؤمنون به فعلياً قلباً ولساناً، قولاً وعملاً، يقوم التجديد الحقيقى فى القلوب والنفوس والعقول. ويبدأ العمل من أجل التجديد فى الحياة الاجتماعية باستمرار، وفاقاً لشرع اللّه عن طريق إعمال العقل فى شريعته والاجتهاد. لتحقيق خلافة الإنسان فى الأرض على أحسن صورة كما يريد اللّه ﴿إنى جاعل فى الأرض خليفة﴾[1] ويبقى للإنسان أينما كان. ومهما بلغ من الرقي العلمى والتقدم الحضارى. أن ينظر في مبادئ الشريعة الغراء وكلياتها العامة. التى تحمل في طياتها قابلية الاستجابة لمتطلبات واحتياجات كل عنصر. وتقبل تغير الأحكام بتغير المكان والزمان والإنسان، ويتدبر الحلول المناسبة لكل مشاكله، والأجوبة المناسبة على كل أسئلته، ومن الطبيعى أن لايكون كل إنسان قادراً على تدبر معاني دين اللّه الكامنة فى نصوصه وفهمها فهماً عقلياً جديداً بحسب المكان والزمان. إلا من شغل نفسه بذلك، وتفرغ لمعرفة ذلك، كما يقول اللّه تعالى فى كتابه الكريم ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[2]

كما يقول تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[3]

وفى هذا الصدد، يروى عن النبى محمد ﷺ قوله :(إن اللّه يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة عام من يجدد لها دينها) ومعناه : أن اللّه تعالى يقيض للمسلمين كل قرن من الزمن، مجتهداً ربانياً مميزاً، يقدم لهم فهماً عقلياً جديداً لحقيقة الدين،

(١) سورة البقرة

(٢) سورة التوبة آيه ١٢٢

(٣) سورة آل عمران آيه ٧

يتماشى ومبادئه وكلياته العامة، ويتناسب مع حاجات عصرهم وارتقائهم فى مضمار العلوم والحضارة .

دولة النبوة والتجديد (١ - ١١هـ / ٥٧٠ - ٦٣٢م)

إن أول تجديد للحياة العربية التى كانت عشية قيام الإسلام، كان فى عهد الرسول محمد ﷺ ونشأة المجتمع الإسلامى الأول فى المدينة ثم فى مكة والجوار. فقد أبدل النبى محمد رابطة الدم والعصبية القبلية برابطة العقيدة التى توجد بين جميع المؤمنين بها بصرف النظر عن أصلهم وجنسهم ولونهم ودينهم وقربهم بعضهم من بعض، وجعلهم أمة واحدة كما نصت على ذلك الصحيفة -«صحيفة المدينة» - التى كانت بمثابة الدستور الإسلامى الأول الذى نظم العلاقة بين المسلمين. بعضهم مع بعض، وبينهم واليهود الذين جعلهم مواطنين وأمة فى المجتمع الإسلامى الوليد وجزءاً منه ماداموا ملتزمين بالعقد معهم، لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين وأزال ديانة الشرك الوثنى وعبادة الأصنام، ومنع الطواف كما كان عرياً ، رجالاً ونساء، حول الكعبة، وحرّم زواج الرجل من امرأة أبيه، والجمع بين الأختين، والجمع بين أربع زوجات فى وقت واحد، ووأد المولودات خشية الإملاق والسبي، وحرمان المرأة والأولاد الصغار من الميراث، وأوجد السبل لتحرير الأرقاء؛ فإذا حنث المسلم بيمينه وجب عليه عتق رقبة. وإذا أفطر عمداً في رمضان وجب عليه عتق رقبه، وإذا قتل مؤمناً خطأ وجب عليه عتق رقبه. وإذا حرم امرأته على نفسه وجب عليه قبل معاودتها عتق رقبة، وإذا لطم رقيقه وجب عليه عتقه. وإذا أراد الرقيق افتداء حريته بالمال على أن يتركه سيده يعمل من أجل كسب المال لذلك، وجب على سيده القبول، وجعل من الصدقات مصرفاً لشراء الرقيق وإعتاقهم، وألزم بين المال بإعانة الفقراء والمحتاجين والإنفاق على العاجزين، ومساعدة المدينين العاجزين عن إيفاء ديونهم، وحرم الربا والسرقة والزنى والإفساد فى الأرض ... الخ. وقرر المساواة التامة بين جميع المسلمين فى الحقوق والواجبات. حتى إنه لم يتردد فى تزويج ابنة عمته، زينب بنت عبدالله بن جحش، من مولاه السابق، زيد بن الحارثة، فى وقت

كان العرب فيه لا يسمحون بزواج الحرائر من الموالى على الإطلاق، وحث على العلم، قائلا: (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، من سار فى طلب العلم كان مجاهداً فى سبيل اللّه، ومن مات وهو مسافر يطلب العلم كان شهيداً) فطلب العلم عند اللّه أفضل من الصلاة والصوم والحج، عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد، الحكمة ضالة المؤمن عليه أن يطلبها ولو من كافر .

ومن أحكام الرسول ﷺ فى دولته، النهى عن إقامة حد السرقة على السارق في أرض العدو قائلاً:(لاتقطع الأيدى في الغزو) ولعل ذلك لما قد يترتب عن ذلك من ضرر للمسلمين المحاربين بانحياز المقطوع الى العدو غضباً.

ونزعه صفة الإيمان الحقيقى عن المسلم الذى يبيت شبعان وجاره جائع وهو يعلم ذلك (ما آمن بى من بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم) وعدم تكليف الفقير الذى واقع امرأته فى شهر رمضان، والذى لايستطيع الصيام، ويفتقد إلى الطعام، مالايطبق، أى من الكفارة، فقد جاء فى كتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد[1] ، نقلاً عن أبى هريرة (جاء رجل إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فقال : هلكت يا رسول اللّه، قال : وما أهلكك؟قال : وقعت على امرأتى فى رمضان، قال : هل تجد ماتعتق به رقبة؟ قال: لا ، قال : فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا ، قال : فهل تجد ما تطعم به ستين مسكيناً؟ قال: لا، ثم جلس، فأتى النبى صلى اللّه عليه وسلم بفرق فيه تمر،فقال: تصدق بهذا، فقال: أعلى أفقر منى؟فما بين لابنيها بيت أحوج إليه منا، فضحك النبى صلى اللّه عليه وسلم حتى بدت أنيابه ثم قال: اذهب فاطعمه أهلك) ولعل حكم الرسول ﷺ هذا عائد إلى أن اللّه العادل لا يكلف نفساً إلا وسعها، كما فى قوله تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ... رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ... رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا ... ﴾[2]

(١) دار المعرفة ، ١٩٨٨، مج١ ، ص ٣٠١ - ٣٠٢) لأبى الوليد بن رشد

(٢) سورة البقرة آيه ٢٨٦

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾[1]
﴿وَلا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾[2]

ونهيه الآباء عن تزويج بناتهم من غير رضاهم قائلاً: (لاتنكح البكر حتى تستأذن ولا الثيب حتى تستأمر) ولذا ترك للمرأة التى جاءته تشكو تزويج أبيها لها من دون رضاها، الحرية بالإبقاء على زواجها أو عدم الإبقاء .

وحجبه الولاية عن كل طالب لها، ساع إليها قائلا:(لن نستعمل على عملنا من أراده) ومحاسبته وعزله رسله عند انحرافهم فى مهماتهم. فقد جاء فى صحيح مسلم والبخارى عند أبى حميد الساعدي، أن رسول اللّه ﷺ بعث ابن اللتبية الأزدي لجباية صدقات بني سليم، فلما جاء بها قال هذا مالكم وهذا هدية أى هدية له من بنى سليم- فقال له الرسول ﷺ (فهلا جلست فى بيت أبيك حتى تأتيك هديتك إذا كنت صادقاً)

والذى يمكن قوله هو أن دولة النبوة قامت على أسس إنسانية، منها: الحرية، والعدالة، والمساواة، والشورى، لم تكن تعرفها الجزيرة العربية، ولا دول الجوار، وعلى رأسها دولة الفرس الأكاسرة ودولة الروم القياصرة، فقد كان لكل إنسان حرية اعتناق الدين الجديد الإسلام: أو البقاء على دينه وممارسة شعائره وعاداته من مأكل ومشرب وزواج، ولو كان مخالفاً للإسلام، من دون أى إكراه مادي أو معنوي، تمشياً مع قول اللّه تعالى﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[3] وغيرها من الآيات الكثيرة الواردة فى القرآن الكريم، ولذا، فإن الرسول لم يمنع رؤساء نجران من النصارى الذين جاؤوه وهو فى المسجد، من تأدية صلاتهم فى المسجد عندما حان موعد صلاتهم، ويروى ابن جرير الطبري فى تاريخه، نقلا عن ابن عباس، أن رجلاً من بني سالم بن عوف يسمى : الحصين، أسلم، ولم يسلم ولداه، اللذان آثر البقاء على ديانتهم النصرانية، سأل الرسول فيما إذا كان عليه أن يكره ولديه على اعتناق الإسلام فأجابه الرسول

(١) سورة الأعراف آيه ٤٢
(٢) سورة المؤمنون آيه ٦٢
(٣) سورة البقرة آيه ٢٥٦

:﴿لا إكراه فى الدين﴾ ولم تتمثل الحرية الفردية فى دولة النبوة بالحرية الدينية فقط، وإنما تمثلت أيضاً بالحرية السياسية، التى أعطت الحق لكل مسلم، فى إبداء رأيه، ولو كان معارضاً لرأى النبى نفسه، كما تمثلت خير تمثيل بالحرية الشخصية، وبخاصة فى حرية المرأة بقبول أو عدم قبول الزواج ممن يوافق عليه ولي أمرها: وفى هذا الصدد، يروى أن امرأة جاءت النبى تشكو تزويج أبيها لها من أبن أخيه من دون رضاها، فجعل النبى الأمر لها فى بقاء زواجها أو عدمه فقالت :(لقد أجزت ما صنع أبى، ولكنى أردت أن أعلم النساء أن ليس للآباء شئ فى أمر زواجهن) وكان العدل من أهم الأسس التى أقام النبى دولته عليها، استناداً إلى قول اللّه تعالى﴿ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾[1] وقد جاء فى الحديث القدسى: (ياعبادى ! إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا) وعند النبى محمد ﷺ وهو رئيس دولة المسلمين، أنه عندما جاءه أسامة بن زيد يشفع لفاطمة بنت الأسود، لعدم إقامة حدّ السرقة عليها، جمع الناس، فحمد اللّه وأثنى عليه، ثم خطب فيهم قائلاً :(أيها الناس، إنما هلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وأيم اللّه لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)

وكانت المساواة التامة بين جميع المسلمين، بصرف النظر عن جنسهم ولونهم ومركزهم ونسبهم، مما دعا إليه الإسلام، وقامت عليه دولة النبوة،إستناداً إلى قول اللّه تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[2] وعن الرسول ﷺ قوله (الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى)و (لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه) ولذا قبل سادة قريش من المسلمين عن طيب خاطر وقبل قيام دولة النبوة فى المدينة مؤاخاة الرسول بينهم وبين مواليهم فى مكة، وقبلها المهاجرون والأنصار فى المدينة، حيث قاسم الأنصار إخواتهم المهاجرين بيوتهم وطعامهم، وآثروهم علي

(١) سورة الشورى آيه ١٥

(٢) سورة الحجرات آيه ١٣

أنفسهم كما جاء فى الآية ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1]

وكانت الشورى من المبادئ الأساسية التى دعا الإسلام إليها، وقد جاء الأمر بها فى الآية التى تصف العلاقة بين المؤمنين ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[2]؛ كما جاء كذلك فى الآية ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾[3].

ولذلك كان النبى يعمد إلى مشاورة أصحابه من المهاجرين والأنصار فى كل الأمور الهامة، كالغزوات والصلح وكان يأخذ رأيهم ولو كان رأيه خلاف ذلك، كما فعل فى غزوة أحد، والصلح مع غطفان فى غزوة الخندق.

وهذه الأسس وغيرها هى التى جعلت من المجتمع الإسلامى الوليد مجتمعاً جديداً فريداً فى عصره، مجتمعاً متماسكاً مثالياً فى التراحم والتعاضد والتكافل والتعاطف والأثرة والمحبة والزهد .. وجعلت الصلة مابين أفراده المؤمنين صلة الأخوة، بعضهم أولياء بعض، بدون تمييز في الجنس أو اللون أو النسب، كما يقول الله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[4]؛ والآية﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[5]. وقد بلغت القدرة الحربية الإسلامية في عهد النبوة من القوة بحيث إن النبى قبيل وفاته، كان قد جهز جيشاً كبيراً بقيادة أسامة بن زيد، ضم كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار، كأبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب وأبى عبيدة بن الجراح وسعد بن أبى وقاص وقتادة بن النعمان وغيرهم، لغزو أطراف بلاد الشام الجنوبية التى كانت تحت سيطرة الروم، وهكذا، كانت دولة النبوة أول تغيير جذري أحدثة

---

(١) سورة الحشر آيه ٩

(٢) سورة الشورى آيه ٣٨

(٣) سورة آل عمران آيه ١٥٩

(٤) سورة الحجرات آيه ١٠

(٥) سورة الأنفال آيه ٧٢

الإسلام في قلوب ونفوس وعقول وحياة العرب في الجزيرة العربية كلها، وحولهم من قبائل متنازعة متحاربة إلى أمة واحدة متماسكة ومجتمع واحد، وغيّر حياتهم من حال إلى حال في جميع شؤون أحوالهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والحربية، حتى أصبحوا قادرين في فترة وجيزة جداً من عمرهم في الإسلام، على تهديد أكبر قوتين ودولتين في ذلك الحين، دولة القياصرة ودولة الأكاسرة؛ وكانوا خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله.

وبما أن نظام الحكم في الإسلام لايعني صورة معينة من الحكم، وإنما هو يتسع لعشرات الصور من ألوان الحكم الذي يتفق والحاجات المستجدة والمتطورة للإنسان في كل مكان وزمان، فإن صورة الدولة في عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق. لم تكن هي الصورة نفسها التي عرفت زمن الرسول محمد ﷺ وصورة الدولة في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، لم تكن هي صورة الدولة الإسلامية التي عرفت زمن الخليفة الأول وهلمجرا ... فقد تغيرت صورة الدولة الإسلامية على مر الزمن. لتساير أوضاع وحاجات المجتمع الإسلامي المتجددة، مما يدلّل على مرونة نظام الحكم في الإسلام، ولذا ، يخطئ من يظن بأن الحكم الإسلامي معناه، الرجوع إلى حياة المجتمع الإسلامي الأول زمن الرسول ﷺ ومزاولة تلك الحياة البسيطة التي اقتضاها الواقع الاقتصادي آنذاك، وترك كل محاسن الحضارة الحالية من عمارة وصناعة وتجارة وعلم وفن ... الخ فالاستمتاع بالحياة في الحدود التي لاتصل إلى حد الإسراف يحض الإسلام عليه؛ والله تعالى يقول في محكم كتابه الحكيم﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[1]

(١) سورة الأعراف آيه ٣١ - ٣٢

دولة الخليفة الأول أبي بكر الصديق والتجديد (١١-١٣هـ / ٦٣٢-٦٤٤)

بعد وفاة الرسول ﷺ وانقطاع الوحي، تولى أبوبكر الصديق رئاسه الدولة الإسلامية بعد التشاور بين المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة ومبايعة المسلمين له. وقد خطب في الناس إثر توليه الخلافة قائلا: (أما بعد، أيها الناس! فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، إنما أنا مثلكم، وإني لا أدري لعلكم ستكلفونني ما كان رسول الله ﷺ يطيق، إن الله اصطفى محمداً على العالمين، وعصمه من الآفات، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانه، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أرجع عليه حقه إن شاء الله، والقوي منكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لايدع أحد منكم الجهاد في سبيل الله، فإنه لايدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل، ولاتشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم .. قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله) وبذلك أبان الخليفة الأول صورة جديدة مقبولة من صور الحكم في الإسلام وعلاقة الحاكم بالمحكومين بعد وفاة الرسول ﷺ وانقطاع الوحي فالرسول معصوم من الآفات بإرادة الله، وهو خليفة الرسول، غير معصوم، وهو سيطيع الله في أوامره ونواهيه وأحكامه؛ وكذلك سيطيع الرسول في أوامره ونواهيه وأحكامه؛ وسيحل العدل والمساواة بين جميع الناس. ولكنه يمكن أن يخطئ أو يصيب، وعلى الأمة محاسبته في حال الخطأ، لأنه لا ميزة له على غيره من الأمة.

وقد سار أبوبكر الصديق في تسيير شؤون الحكم وترتيب شؤون الدولة الإسلامية على غرار دولة الرسول ﷺ وتوسعت في عهده الدولة الإسلامية من خلال الفتوحات الباهرة في الشام وفلسطين والعراق على حساب الدولة البيزنطية الرومية والدولة الفارسية، ولكن خلافته شهدت أحداثاً جساماً لم تكن تخطر على بال المسلمين، وواجه وقائع لم تطرأ على عهد الرسول ﷺ، فكان لابد من إعمال العقل والاجتهاد لمعرفة أحكام الشريعة في الحوادث والوقائع المستجدة .

ولعل أول حدث من الأحداث الجسام جابه أبابكر وهدد المسلمين بالانقسام والإسلام بالدثار، هو ارتداد بعض العرب، كبني طي وغطفان وأسد وحنيفة وبكر عن الإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ، وامتناع آخرين، كبنى عبس وذبيان وبعض بنى تميم عن تأدية الزكاة فقط مع بقائهم على الإسلام، وجمع أبو بكر كبار الصحابة يستشيرهم فى ذلك، وكان رأى عمر بن الخطاب وغيره ألا يقاتلوا أقواماً يؤمنون بالله ورسوله، وأن الرسول قال:(أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوا، عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها) وكان رأى البعض الآخر، معارضاً لذلك، وكان من هؤلاء على بن أبى طالب الذى خاف على المسلمين من الشقاق وعلى الإسلام من راجعة، ومحق دين الله، ووقف أبو بكر إلى جانب من يرى وجوب قتال المرتدين المنافقين ومانعى الزكاة، قائلاً :«ألم يقل الرسول : إلا بحقها، فإن من حقها إيتاء الزكاة، والله لو منعونى عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه، والله لأقتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال» واستطاع أبوبكر بعزمه واصراره على رأيه أو اجتهاده من إخماد فتنة الردة بمدة وجيزة، وتوطيد دعائم الإسلام في كل أنحاء الجزيرة العربية من جديد، واندفع المسلمون بعد ذلك في فتوحاتهم التى هددت الدولتين الفارسية والرومية بالسقوط.

. ومن الأحداث الهامة التى شهدها المسلمون في عهد أبى بكر، اختلاف الخليفة أبى بكر مع وزيره ومستشاره عمر بن الخطاب وغيره من كبار الصحابة حول توزيع العطاء من بيت المال وقسمة الغنائم من الفتوحات، فقد ساوى أبوبكر فى العطاء بين المهاجرين والأنصار وقرابة الرسول، وعارضه فى ذلك عمر بن الخطاب وغيره من الصحابة، بحجة أن من ترك من المسلمين وطنه وعشيرته وأهله وأمواله، وهاجر إلى الرسول في المدينة، لايمكن أن يسوى بمن دخل في الإسلام كرهاً، وأصرّ أبو بكر على رأيه لاقتضاء الإسلام المساواة بين المؤمنين، ولأن الأنصار آووا الرسول ونصروه وقال فيهم: (لو سلك الناس واديا وسلكت الأنصار وادياً، لسلكت وادي الأنصار)

ومن اجتهادات أبى بكر أيضاً ، اختلافه مع عمر بن الخطاب وأبى قتادة

الأنصارى على إقامة الحدّ على خالد بن الوليد، فقد كان خالد بن الوليد يحارب بعض المرتدين عن أداء الزكاة للخليفة أبى بكر، ومنهم مالك بن نويرة التميمي الذى وقع فى الأسر، وقتله خالد أو أمر بقتله، وبنى بامرأته أم تميم ابنة المنهال مباشرة» وفى يوم مقتله«قبل انقضاء عدتها، وقد ألح أبوقتادة الأنصارى على أبى بكر لإقامة الحدّ على خالد؛ كما أشار عمر بن الخطاب عليه بوجوب عزل خالد فوراً من قيادة جيش المسلمين في اليرموك، وإقامة الحدّ عليه ، قائلاً:«عدو اللّه عدا على امرئ مسلم فقتله، ثم نزا على امرأته، إن خالداً قتل مسلماً فاقتله، إن فى سيف خالد رهقاً فإن لم يكن هذا حقا، حق عليه أن تقيده» ولم يستجب أبوبكر لإلحاح أبى قتادة الأنصارى ولا لمشورة عمر بن الخطاب، وذلك لأنه كان يرى مصلحة وفائدة للمسلمين في بقاء خالد على رأس الجيش في بلاد الشام، ولأن عزله فى أثناء الحرب فيه ضرر أكيد على معنويات الجند، وأنه قد تأول فى تصرفه وأخطأ، قائلا لعمر :«إليك عنى ياعمرا ما كنت لأشيم سيفاً سله اللّه على الكافرين تأول فأخطأ فارفع لسانك عن خالد».

ولعل أهم عمل قام به أبوبكر قبيل وفاته وعن إيمان منه وقناعة، هو عهده لعمر بن الخطاب بالخلافة من بعده، بعد استشارة بعض كبار الصحابة والناس على حدّ ما جاء فى تاريخ الطبرى[1]"«.. إنى قد استعملت عليكم عمر بن الخطاب، فإن برّ وعدل، فذلك علمي به، ورأيى فيه، وإن جار وبدل، فلا علم لي بالغيب، والخير أردت، ولكل امرئ ما اكتسب، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون»،

وهو عمل اجتهادى برأينا، مبنى على المصلحة، مصلحة المسلمين، حتى لا يختلفوا فيما.بينهم ونقسموا، ويكون انقسامهم مؤذياً جداً لهم بعد اتساع أرجاء الدولة الإسلامية ، وقد أجاب طلحة بن عبد اللّه والزبير بن العوام، اللذان جاءاه معترضين ومذكرين له بالآخرة:« أبربي تخوفونني! إذا لقيت اللّه ربى فساءلني، قلت : استخلفت على أهلك خير أهلك» .

ويمكن القول : إن عهد أبى بكر شهد وقائع مستجدة واجهت المسلمين لا حكم

(١) تاريخ الطبرى (٣/ ٤٢٨)

مباشراً فيها لا فى كتاب الله ولا فى السنة النبوية، وكان لأبى بكر، وهو الخليفة، اجتهاده الخاص فيها، والذى قد يتفق أو لا يتفق مع رأى بعض الصحابة، وكان يأخذ برأي الصحابة الذى يراه مناسباً.

دولة الخليفة عمر بن الخطاب والتجديد (١٣-٢٣هـ/ ٦٣٤-٦٤٤م)

تولى عمر بن الخطاب الخلافة بعهد من الخليفة أبى بكر ومبايعة الناس له. وعرف الإسلام أسلوباً جديداً من أساليب الحكم والشورى وتابع عمر بن الخطاب ما كان بدأه أبوبكر من فتوحات، فاحتلت جيوش المسلمين بلاد الشام كلها، وانتصرت على الجيش البيزنطي فى جنوب شرقى اليرموك، كما احتلت جيوش المسلمين في آلوقت نفسه بلاد العراق كلها التى كانت بأيدى الفرس، ودخلت بلاد فارس كلها واحتلتها، كما احتلت جيوش المسلمين مصر كلها بما فيها الإسكندرية التى كانت تحت سلطة البيزنطيين الروم، وأصبحت بلاد الشام والعراق وفلسطين ومصر وفارس تحت سيطرة الدولة الإسلامية التى عظمت مواردها وتنوع سكانها، ولم ير عمر بن الخطاب فى الإسلام مايمنع من تبني النظم الفارسية فى توسيع وتنظيم الدواوين التى كانت على عهد الرسول ﷺ والخليفه أبى بكر، فجعل ديوانا لبيت المال لإحصاء أموال الفئ والجزية والخراج والزكاة والخمس والصدقات، وجعل ديواناً للجند لإحصاء عددهم ومعرفة أسمائهم، وديواناً للمحاسبة لتنظيم الجداول بالنفقات الشهرية لأصحاب الحق، والأموال اللازمة لتزويد الجند بالسلاح والخيل، وديواناً للبريد للإتصال بالعمال على البلاد المفتوحة ومعرفة أحوالهم وأخبار الجند، وديواناً للقضاء لمعرفة مظالم الناس وشكاواهم، كما جعل فى كل من البلاد المفتوحة دواوين للإحصاء والمحاسبة والبريد والقضاء ... الخ. وأقام القلاع العسكرية والمعسكرات الدائمة التى تضم الجنود وما يحتاجونه من عتاد ومؤونة، واستحدث السجون.

أما فى حقل الاجتهاد الدينى أو التجديد في فهم الإسلام، فقد نسج عمر بن الخطاب على منوال أبى بكر الصديق في مواجهة الوقائع التى كانت تعرض

للمسلمين أو تعرض عليه، فقد كان ينظر إلى كتاب الله فى كل أمر يعرض عليه، فإن وجد فيه الحل أخذ به من دون تردد، وإن لم يجد ذلك، نظر إلى سنة الرسول ﷺ علّه يجد فيها حلاً ، فإن لم يجد اجتهد رأيه إذا لم يعوزه الاجتهاد إلى غيره، وكثيراً ما كان يلجأ إلى استشارة الصحابة يطلب رأيهم وحكمهم، ثم يحكم بما اتفقوا عليه.

وكان اجتهاده يقوم على أساس المصلحة العامة، مصلحة المسلمين، وهو أقرب شئ إلى مايعبر عنه اليوم بالاسترشاد بروح القانون، كما كان يقوم على القياس الذى يحمل واقعة لاحكم فيها، على واقعة أخرى منوص عليها، سواء فى القرآن أو السنة، لعلة المشابهة بينهما، وكان يوصى كل من يوليه القضاء بالنظر إلى كتاب الله فى كل مايعرض له، فإن وجد ضالته فى كتاب الله اكتفى به، وإن لم يجد، نظر فى السنة، فإن لم يجد فى السنة ضالته، اجتهد رأيه، ولعله كان أول من عمل على سدّ باب الذرائع المفضية إلى مفسدة، بتحريمه المتعة أثناء الحج، عندما رأى التمتع أثناء الحج، ومخافة أن يؤدى ذلك إلى انتهاك حرمات الإحرام: وفى ذلك يقول الشيخ محمد أبوزهرة فى موسوعة الفقه الإسلامى: «فالمتعة وهى مشروعة منعها عمر لما رآها ذريعة إلى فساد، وانتهاك حرمات الإحرام.. وقال : والله لأوشكتم لو خليت بينكم وبين المتعة أن تضاجعوهن تحت أراك عرفة ثم تروحون حجاجاً» (١)

ومن اجتهاداته، إسقاطه حدّ السرقة فى عام الرمادة للضرورة (قاعدة: الضرورات تبيح المحظورات)، وذلك بناء على أن السرقة كانت بغاية حفظ الحياة، وحفظ الحياة مقدم على حفظ المال، وإحالته حدّ السرقة من قبل الموالي الجياع على سادتهم الذين يضطرونهم إلى السرقة لإشباع بطونهم، فقد جئ له بفتيان من مزينة، سرقوا ناقة وذبحوها وأكلوا لحمها، واعترفوا بذلك، فنظر فى وجوههم، فرأى هزالاً بادياً ، فسأل عند سيدهم، فعرف أنه عبدالرحمن بن حاطب بن أبى بلتعة، فأرسل يستدعيه، وعندما حضر، أنبه تأنيباً شديداً، قائلا له« هممت أن أقطع أيدى هؤلاء لولا ما أعلمه من أنكم تدئبونهم وتجيعونهم حتى إن أحدهم لو أكل ما حرم الله عليه

(١) موسوعة الفقه الإسلامى(ص ٢٤٦ - ٢٤٧)

لحل له» ثم حكم عليه بأن يؤدى إلى صاحب الناقة وثمنها أربعمائة درهم، ضعفي ثمنها، وذلك جزاء له على الذنب الذى ألجأ عبيده إلى ارتكابه، ومنعه إقامة الحدّ على السارق من بيت المال، وإبدال عقوبته إلى التعزير، وذلك لأن للسارق من بيت المال نصيب في المال المسروق.[1]

وعدم تمييزه في الصدقات للفقراء والمساكين بين المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب؛ فقد رأى يوماً شيخاً ضريراً يطلب صدقة، فسأل عنه؛ فعلم أنه يهودي، فقال له:(ماذا دفعك إلى الاستجداء أيها الشيخ؟ فأجابه: الجزية والسن والحاجة، فأخذ عمر بيده إلى منزله، وأعطاه كفايته من الطعام، وأرسل من توه إلى خازن بيت المال، قائلاً له: انظر هذا وضرباءه ، فواللّه ما أنصفناه إن نحن أكلنا شبيبته ثم خذ لناه فى شيخوخته، إنما الصدقات للفقراء والمساكين. وهذا من مساكين أهل الكتاب، فاعطه مايكفيه مؤونة الاستجداء، وإيقاعه الطلاق الثلاث، أو البائن، بلفظ واحد : أنت طالق بالثلاث، أو إذا ما ردّد ثلاث مرات، لأنه رأى خفة من الناس فى إيقاع الطلاق ثم الرجوع عنه ثم الإيقاع ثم الرجوع، فأراد أن يخيفهم بذلك، مراعياً مصلحة الأسرة وكرامة المرأة، ولأن أبغض الحلال إلى اللّه الطلاق . ومنعه إباحة تزوج المسلمين من الكتابيات فى ظل الحرب، دفعاً لكل شبهة، ولما قد يترتب على ذلك من ضرر عام للمسلمين. ومنعه الصدقات عَن «المؤلفة قلوبهم» ، الذين شرّع اللّه لهمن سهماً فيها، والذين ذكرتهم الآية ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[2]، وذلك لأن وصف التأليف لايكون معتبراً إلا عند حاجة الإسلام إلى المؤلفة قلوبهم، اتقاء لشرهم، وبغاية تأليف قلوبهم: فإذا لم يكن الإسلام بحاجة إليهم، ارتفع الحكم بارتفاع الوصف أي التأليف، لأن اللّه تعالى لم يذكر أشخاصاً بأعيانهم وإنما ذكر وصفاً وهو التأليف. وبذلك فإن الخليفة عمراً لم يعطل النص، وإنما أوقف العمل به، بعدما فسره بربطه بالعلة أو السبب أو الحكمة

(١) معجم فقه ابن حزم الأندلسى ، ص ٣

(٢) سورة التوبة آيه ٦٠

التى اقتضته وهى المصلحة: فلما ارتفعت هذه المصلحة بعزة الإسلام وانتشاره، انعدمت الحاجة أو الضرورة إلى التأليف، وبالتالى الاستمرار في إجراء الحكم. ويمكن القول: إن هذا الإجتهاد البالغ الأهمية الذى ذهب إليه عمر بن الخطاب إنما هو اجتهاد مبني على الفهم الاجتماعى للنص ومقاصده، الذى يمكن أن يتبدل بتبدل الظروف والأحوال لمسايرة الأوضاع والمصلحة العامة؛ ومن هنا القاعدة الأصولية الشرعية:«لاتنكر تبدل الأحكام بتبدل الأزمان والأحوال» وقد رأى الإمام مالك فيما بعد في عهد أنه لا مؤلفة؛ لأن الإسلام منيع وقوى. وتمييزه فى قسمة الغنائم من الفتوحات بين المنقول وغير المنقول، وذلك اثر الاختلاف الشديد الذى دبّ بين الصحابة حول قسمة «أرض السواد» بالعراق أو عدم قسمتها. فقد قال جمهور الصحابة، ومنهم: عبدالرحمن بن عوف والزبير بن العوام وبلال بن أبى رباح الحبشى، بتقسيمها بين المجاهدين الذين فتحوها بعد رفع الخُمس منها لبيت المال، استناداً إلى الآية﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]، ورأى الآخرون ومنهم على بن أبى طالب وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله ومعاذ بن جبل. بتركها لأهلها على أن يدفعوا الخراج عنها، وبذلك يستفيد منها جميع المسلمين كافة على مر الزمن.

وكان رأى عمر من هذا الرأي، أى أن تترك أرض السواد التى تعد بملايين الأفدنة بيد أهلها، ويفرض الخراج عليها، للإنفاق منه على مصالح المسلمين ولاسيما على الذين يرابطون فيها لحمايتها، ولأن قسمتها على قلة من المسلمين تورث ملكية كبيرة لهم، واحتكاراً للأرض الزراعية، وهو مالايرضاه الله بقوله تعالى ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ..﴾[2] ولأن الرسول نفسه بعد فتح خيبر. صالح أهلها اليهود على أن تبقى أرضهم ونخيلهم بأيديهم مزارعة بالنصف

(١) سورة الأنفال آيه ٤١

(٢) سورة الحشر آيه ٧

يؤدونه من الزرع والثمر والحاصل كل عام؛ وكذلك لأن الأرض لاتغنم ولكن يستولى عليها. وإلا فإن العمال الذين يعملون فيها يكونون أرقاء، وهم لم يقاتلوا ولم يؤسروا. ومقاسمته ولاته كل زيادة كانت تطرأ على ثرواتهم بعد انتهاء ولايتهم. فقد كان«إذا بعث عاملاً كتب ماله» فإذا عاد، قارن بين ماله المقيد في السجل المحفوظ لديه وبين أمواله التى يحملها معه، فإذا وجد زيادة قاسمه إياها، ورد النصف من المقاسمة إلى بيت المال، وذلك لأن الزيادة في مال العامل أو الوالي لاتعنى إلا إساءة استعمال السلطة، وقد فعل ذلك مع سعد بن أبى وقاص عامله على الكوفه، وعمرو بن العاص عامله على مصر، وأبى هريرة عامله على البحرين، ويعلى بن منية عامله على اليمن، ونافع بين عمرو الخزاعى عامله على مكة[1] ومصادرته جميع المال الذى يجنيه العامل من وراء تجارة قام بها، وجعله كله فى بيت المال، لأن مهمة العامل رعاية مصالح الناس والانصراف كلياً إلى ذلك، والاتجار من قبله، إهمال لمصالح الناس وإساءة استخدام لمنصبه، وقد فعل ذلك مع عتبة بن أبى سفيان.

ومن اجتهادات عمر أيضاً ،اجتهاد راعى فيه مصلحة الناس وتراجع عنه فوراً عندما قام الدليل الشرعى عنده على عدم صحة اجتهاده. فقد اشتكى إليه الناس المغالاة في المهور، فنهى وهو يخطب على المنبر عن المغالاة فى المهور، وقضى بأن يكوُن مهر فاطمة بنت الرسول ﷺ وهو خمسمائة درهم، مثالاً يحتذى، فمن زاد على ذلك، ألقيت الزيادة في بيت المال، «فقالت له امرأة من صف النساء : ما ذاك لك، قال : لم؟ قالت : لأن الله تعالى يقول:﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً، أتأخذونه بهتاناً وإثما مبينا﴾[2] فقال: «امرأة أصابت وأخطأ عمر»[3]

---

(١) ابن الجوزي، سيرة عمر، ص ٨٩

(٢) سورة النساء آيه ٢٠

(٣) ابن الجوزي، سيرة عمر ص ١٠٩

ولعل أهم عمل سياسى قام به عمر وقصد من ورائه مصلحة الأمة والإسلام، والذى يمكن اعتباره عملاً اجتهادياً سياسياً بامتياز، أنه تناول صورة اختيار رئيس الدولة المسلمة، وقيام شكل جديد من أشكال الحكم في الإسلام، يختلف عن شكله أيام النبى ﷺ وأبو بكر، هو تعيينه - لما طُعن وأحسّ بدنو أجله، وأشار عليه بعض الناس باستخلاف ابنه عبدالله- ما يمكن تسميته بالهيئة الانتخابية لكى تختار من بين أعضائها الخليفة من بعده. وتقدمه للأمة لمبايعته، فقد دعا عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب وعبدالرحمن بن عوف والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص، فقال: «إنى نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم، ولايكون هذا الأمر إلا فيكم، وقد قبض رسول الله ﷺ وهو عنكم راض. إننى لا أخاف الناس عليكم إذا استقمتم، ولكننى أخاف عليكم اختلافكم فيما بينكم فيختلف الناس، فإذا مت فتشاوروا ثلاثة أيام، وليصل بالناس صهيب، ولا يأتين اليوم الرابع إلا وعليكم أمير منكم، ويحضر عبدالله بن عمر مشيراً ولاشئ له من الأمر، وطلحة بن عبيد الله شريككم في الأمر، فإن قدم في الأيام الثلاثة، فأحضروه أمركم، وإن مضت الأيام الثلاثة قبل قدومه فاقضوا أمركم، فإن رضي ثلاثة منكم رجلاً منهم، وثلاثة رجلاً منهم، فحكموا عبدالله بن عمر، فأي الفريقين حكم له، فليختاروا رجلاً منهم، فإن لم يرضوا بحكم عبدالله بن عمر، فكونوا مع الذين فيهم عبدالرحمن بن عوف» [1] ولم يعترض أحد من الصحابة على قرار عمر هذا بتعيين هؤلاء الستة وجعلهم هيئة انتخابية تختار أو ترشح خليفة للمسلمين، لأن هؤلاء الستة، المبشرين بالجنة من قبل الرسول ﷺ، كانوا فعلاً يمثلون أهل الحل والعقد من المسلمين، وآلت نتيجة المشاورة بين هؤلاء، إلى اختيار عثمان بن عفان، فتمت له البيعة من قبل المسلمين في المسجد عام ٢٣ هجرية.

دولة الخليفة عثمان بن عفان والتجديد: (٢٣ - ٣٥هـ/ ٦٤٤ - ٦٥٦)

كان أول عمل إدارى قام به عثمان هو أنه أقر الولاة الذين كانوا على عهد عمر

(١) تاريخ الطبري، ٤/ ٢٢٧

بن الخطاب على ولاياتهم، ماعدا المغيرة بن شعبة والي الكوفة، الذى تقاذفته ألسن أهل الكوفةبارتكاب المحرّم. وقد تابع تدعيم أواصر الدولة الإسلامية بفارس من جديد بعد انتقاض خراسان وطبرستان ونيسابور .. الخ. وعزا الروم في عقر دارهم، فوصلت جيوش المسلمين إلى عمورية وقبرص ورودس وأرمينيا، واحتلت جميع بلاد أفريقيا الشمالية، وقد امتلأ بيت المال في عهده بالأموال. فزاد فى عطاء كل واحد من الجند مائة درهم، كما زاد فى عطاء أصحاب الحق من بيت المال، وازدهرت التجارة فى عاصمة الدولة الإسلامية حتى أصبحت العاصمة السياسية والتجارية معاً للدولة، عم الغنى كثير من الناس.

ومن أعمال عثمان الجليلة والهامة : أنه جمع المسلمين كلهم على مصحف واحد وقراءة واحدة بخط زيد بن ثابت، وأرسل نسخاً منه إلى جميع ولاة الدولة الإسلامية في الكوفة والبصرة والشام واليمن ومصر .. لاعتماده والعمل به، وقام بإحراق كل المصاحف الأخرى التى كانت بحوزة بعض المسلمين، برضى كبار الصحابة .

وكان أول اجتهاد له فى دين اللّه بعد توليه الخلافة، هو عفوه عن عبيداللّه بن الخطاب الذى قتل جُفينة والهرمزان وابنة أبى لؤلؤة ثأراً لأبيه، دون التثبت من أمر مشاركتهم في قتله، وإطلاق سراحه بدل أن يطبق فى حقه حدّ اللّه، وهو ما أشار به كبار الصحابة، معللاً ما ذهب إليه، بأن القتلة لا ولي لهم، وبالتالى، فهو وليهم بحكم كونه خليفة المسلمين، وقد جعل قتلهم دية واحتملها في ماله.

ومن اجتهاداته التى ذهب فيها مذهباً مغايراً لما كان سائداً فى عهد الرسول ﷺ وأبى بكر وعمر، أنه سمح بالتقاط ضوال الإبل - أى صغار الإبل التائهة- وبيعها، فإن طالب صاحبها بها أعطى ثمنها، وذلك عندما رأى أن فساد الأخلاق قد بدأ يدب بين الناس وامتدت أيديهم إلى الحرام، واجتهاده بتفويض الناس حرية التصرف بإنفاق زكاة أموالهم بالطرق التى يرونها مناسبة، واجتهاده بالتوسعة على ذوى قرابته وأرحامه وإعطائهم الأموال وإقطاعهم الأرضين مستند إلى الآية ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ

وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنكُمْ وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[1]، وذلك خلافاً لسيرة أبى بكر وعمر فى ذوى القرابة والأرحام[2].

ولم تعجب أعمال عثمان ولاسيما محاباته لأقاربه في العطاء، وتعيين كثير من العمال من بينهم، بعض كبار الصحابة وعلى رأسهم : عبدالله بن مسعود الهذيلى، وأبى ذر الغفارى، وعمار بن ياسر، وكثير من الناس وبخاصة فى الكوفة والبصرة واليمن ومصر ... الخ ، فقامت ثورتهم على عثمان، وجاؤوا بالآلاف إلى المدينة يطالبونه بعزل جميع عماله، أو الاستقالة، فإن لم يفعل،فليس له عندهم إلا القتل، فأبى عليهم ما طلبوه منه، فأحكموا الحصار عليه في داره، ونفذوا تهديدهم بقتله.

ويروى الطبري فى تاريخه (٤/ ٤٢٧) أن أصحاب رسول الله، لما رأوا انتشار الفوضى فى المدينة واضطراب حال الأمة، جاؤوا علياً في بيته يطلبون منه القبول بالخلافة، وأصروا عليه قائلين:« والله مانحن بتاركيك حتى تقبل، فاشترط أن تكون مبايعته فى المسجد وبرضى المسلمين، فكان له ذلك ، وبايعه المهاجرون والأنصار ثم سائر الناس» ولاسيما الذين كانوا يحتلون المدينة.

دولة الخليفة على بن أبى طالب والتجديد (٣٥-٤٠هـ/ ٦٥٦-٦٦١م)

كان أول عمل قام به على هو عزله عمال عثمان المشكو منهم، وعدم قبول نصيحة المغيرة بن شعبة بالإبقاء عليهم، ولاسيما معاوية بن أبى سفيان والى الشام، حتى يبايعونه ويستتب له الأمر ، قائلاً « والله لا أداهن فى دينى أبداً، ولا أبقينهم ولو ساعة واحدة من نهار» ولم يقبل معاوية بعزله عن الشام، وبدأت الحروب بينه وبين علي، ولم تنته إلا باغتيال علي على يد عبدالرحمن بن ملجم الخارجي عام ٤٠هجرية، فكان اغتياله أكبر فاجعة حلت بالإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ، لأنها أنهت الخلافة الراشدة، ونقلت المسلمين من حال إلى حال. وقبيل وفاته، ترك الإمام

---

(١) سورة الأنفال آيه ٧٥

(٢) حسن إبراهيم حسن، زعماء الإسلام ،ص ٤٧-٤٩

على وصية لولديه الحسن والحسين جاء فيها :«أوصيكما بتقوى الله .. وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً ، الله الله في الأيتام فلا تغبوا أفواههم ولايضيعوا بحضرتكم .. والله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم فى سبيل الله .. لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى عليكم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم ... انظروا إذا أنامت من ضربته هذه (ضربة ابن ملجم) فاضربوه ضربة بضربة، ولا يمثّل بالرجل..»

ومن اجتهاداته، حكمه بوجوب ضمان الصنّاع ما في أيديهم من أمانات، إلا إذا أقاموا البينة على أنهم لم يتعدوا عليها، خلافاً لما كان عليه الحكم حتى عهده. وذلك لما رأى أن الناس لايحتاطون فى حفظ الأمانات، وربما أدى ذلك إلى ضياع الأمانات وقيام المنازعات بين الناس. وحكمه بألا يأخذ أصحاب البيوت فى مكة أجراً من ساكنيها المعوزين. فقد بعث إلى عامله على مكة، قثم بن العباس، كتاباً جاء فيه: «ومر أهل مكة أن لايأخذوا من ساكن أجراً» وحكمه بعدم إقامة الحدّ على المرأة الزانية التى يشك فى عقلها، استناداً إلى قول الرسول ﷺ(رفع القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر، وعن المبتلى حتى يعقل) وحكمه بعدم إقامة الحدّ على المرأة المضطرة التى أجهدها العطش الشديد، فمرت على راع فاستسقته، فأبى ذلك إلا أن تمكنه من نفسها، ففعلت، لأن الضرورات تبيح المحظورات. وحكمه بعدم إقامة الحد على المرأة الزانية التى يُظن حملها حتى تضع حملها، لأن إقامة الحدّ عليها سيؤدى إلى قتل نفس بريئه فى بطنها من غير ذنب. وحكمه بأن المرأة الحامل يمكن أن تضع لستة أشهر من حملها، وفقاً للآية ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا﴾[1] ووفقاً للآية﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾[2] وحكمه بقتل الجميع بالواحد إذا كانوا مشاركين فى قتله. وحكمه على شارب الخمر بعقوبه القاذف، وضربه ثمانين جلدة، لأن شارب الخمر إذا شرب سكر، وإذا سكر افترى، وعقوبة الافتراء ثمانون جلدة، وقد جاء فى

(١) سورة الأحقاف آيه ١٥

(٢) سورة البقرة آيه ٢٣٣

موسوعة الفقه الإسلامى للشيخ محمد أبو زهرة، أن علياً أقام اجتهاده على القياس من جهة والمصلحة من جهة ثانية :« فقد أخذ بالقياس فى حد الشرب وقاسه على حدّ القذف. وقال : من شرب هذى ، ومن هذى افترى، وحدّ الافتراء ثمانون. أخذ بالمصلحة فى تضمين الصناع وقال : لايصلح الناس إلا ذاك»[1]

والذى لاشك فيه، أن كتابه إلى واليه على مصر. مالك بن الأشتر النخعى (١٩ صفحة) الذى يرسم فيه صورة الحاكم العادل وصفاته ومهامه والعلاقة التى يجب أن تقوم بين الحاكم والناس على اختلاف فئاتهم وأجناسهم وديانتهم. وهو من أجلّ ماكتب في الفقه السياسى الإسلامى بصورة عامة، حتى اليوم[2]

وأخيراً، يمكن القول، إن الخلفاء الراشدين كانوا يعملون عقولهم في الأمور التى يواجهونها عند عدم وجود النص ويصدرون أحكامهم فيها وإذا كنا لانعرف الأدلة الشرعية التى استندوا إليها فى اجتهادهم ولاسيما فى اجتهادهم المتعلق أحياناً بتأويل النص وعدم الأخذ بظاهره، فإننا في المقابل يمكن أن نجد فى اجتهادهم مايوحى بأنهم اعتمدوا القياس الذى يلحق مالا نص فيه على ما فيه نص؛ والمصلحة التى تعنى أن أحكام الشريعة قائمة على تحقيق الخير للناس ودفع البلاء أو الأذى عنهم؛ ومقاصد الشريعة التي تعنى الحكمة أو الغاية المقصودة من أحكام الشارع المقدس: وسدّ الذرائع المفضية إلى مفسدة التى تعنى الملازمة المنطقية بين المفسدة ومقدمتها أو نسبتها أو سببها وتحريم المقدمة المؤدية إليها. مع الإشارة إلى أن قواعد الاجتهاد وأصوله لم تقنن بصورة علمية وتأخذ اسم: علم أصول الفقه، إلا فى القرنين الثانى والثالث للهجرة على يد أصحاب المذاهب الإسلامية المعروفة : المذهب الحنفى نسبة إلى أبى حنيفة النعمان بن ثابت (٨٠ - ١٥٠هـ)، والمذهب المالكى نسبة إلى مالك بن أنس (٩٣ -١٧٩هـ)، والمذهب الشافعى نسبة إلى محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠ -٢٠٤هـ)، والمذهب الحنبلى نسبة إلى أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١هـ) والمذهب الجعفرى نسبة إلى جعفر بن محمد الصادق (٨٠ - ١٤٨هـ)

(١) موسوعة الفقه الاسلامى (١/ ١٠)

(٢) نهج البلاغة ، دار الكتاب اللبناني ص ٤٢٦ - ٤٤٥

وقد ترك أصحاب هذه المذاهب وتلاميذهم الفقهاء من بعدهم، تلاميذ هؤلاء الفقهاء، ثروة علمية أصولية وفقهية هائلة على شكل موسوعات لاتزال تزخر بها المكتبة العربية والإسلامية ويفخر بها الإسلام حتى اليوم، لأنها لم تترك جانباً من جوانب الحياة الإنسانية إلا وتناولته بالدرس العميق والاجتهاد المناسب، مما يفسر مرونة الشريعة الإسلامية وقابليتها للاجتهاد الذى يحقق مصالح الناس: وهذا ما جعلها تبقى حية في حياة المسلمين وحاكمة لهم، وإن بصور متفاوتة، على مدى أربعة عشر قرناً من الزمن، ولعل بعض النظريات الفقهية الإسلامية، كنظرية التعسف فى استعمال الحق، وغيرها، التى لم تعرفها القوانين الوضعيه إلا حديثاً ، ما يدلل على غنى الشريعة الإسلامية بفقهها المتنوع والمتميز، وقد يكون هذا مادفع المؤتمر الدولى للقانون المقارن الذى عقد سنة ١٩٣٧م بلاهاى في هولندا، إلى اعتبار « الشريعة الإسلامية مصدراً من مصادر التشريع العام» كما دفع بالعلامة الفرنسي في الفقه المقارن، إدوار لامبير، إلى القول :« إن فى الفقه الإسلامى كنزاً مخبوءاً ينتظر من يجلوه لعالمنا المعاصر، ليهتدي بهديه، ويسترشد بمنطقه في الحيرة المدلهمة التى أعجزت عالمناً الآن عن التمييز بين الحق والباطل، وبين الخير والشر، وصرفه عن التوفيق بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع»[1]

والجدير بالذكر، أنه إذا سلمنا بأن الإسلام الدينى مازال ماثلاً اليوم فى حياة الأمة العربية والإسلامية من خلال الإيمان بالعقيدة، والعمل بالعبادات وفق مقتضى الشريعة، وإن بدرجات متفاوته، فإننا لايمكننا أن نسلم بأن الإسلام كنظام عام. حاكم للحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقضائية، موجود اليوم فى حياة الأمة العربية والإسلامية - ماعدا المملكة العربية السعودية والجمهورية الإسلامية الإيرانية - ولعل هذا مايفسر أدواء العالم العربى والإسلامي في التخلف والضعف والانقسام والظلم والاستبداد والفقر، وإلى أن يأخذ العرب والمسلمون، وبخاصة العرب، بشرعة الإسلام كاملة في الحرية والعدالة والمساواة والشورى والجهاد والعلم

(١) محمد العربى، موسوعة الفقة الإسلامى، جـ١ ، المقدمة

والوحدة ... إلخ، التى تتجاوز ماقرره العالم الغربي المتقدم في هذه الأمور، سيبقون بمنأى عن التقدم الحقيقي والتحضر الصحيح والقوة الحقيقة والوحدة. وإذا كان الإسلام فى العصر الحديث شهد فقهاء عديدين، « كالشيخ محمد عبده والشيخ محمد رشيد رضا والشيخ محمود شلتوت والشيخ عبدالله العلايلى والسيد محمد باقر الصدر والشيخ محمد مهدى شمس الدين .. الخ، حاولوا التجديد فى فقه الإسلام من خلال النظر فى بعض مواضيع الشريعة التى تهم حياة الناس، ولم يقصروا فى ذلك أبداً ، فإننا نأمل وبقوة من فقهاء اليوم فى مختلف أنحاء العالم العربى والإسلامي بإبداء النظر فى المواضيع الآنية المتعلقة بالتعصب الدينى المذهبى والمغالاة فى المذهب ، والإرهاب باسم الدين عن قناعة، وتكفير بعض المسلمين لكل مسلم لايدين بفقههم الدينى والسياسى، وتحليل دمه، ووحدة الأمة والتكفير، وحقوق الإنسان الأساسية، وبخاصة الحرية الشخصية والسياسية للمرأة، والانتخاب المباشر من قبل جميع الناس للحاكم لمدة محدودة فقط، وتداول السلطة، والفصل بين السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية، والأمية والعلم، والعدالة والبيئة، وإنجازات الطب المعاصر، وعلاقة المرأة المسلمة بالدولة العلمانية غير المسلمة التى تعيش فيها وتمنعها من ارتداء الحجاب فى مدارسها ومؤسساتها العامة ... الخ.

القيم الإنسانية في الإسلام

د/ عبدالله بن علي بصفر(*)

المراد بالقيم في موضوعنا الذى نتحدث فيه اليوم هو :(صفات، أو مُثل ،أو قواعد؛ تُقام عليها الحياة البشرية فتكون بها حياة إنسانية، وتُعايَرُ بها النظم والأفعال؛ لتُعرَفَ قيمتها الإنسانية من خلال مانتمثله منها)

وعرفها البعض بأنها :(مجموعة من القواعد التي تقوم عليها الحياة الإنسانية وتختلف بها عن الحياة الحيوانية)

وهذه القيم يمكن تقسيمها إلى قسمين رئيسين :

١- **القيم الأساسية** : وهى القيم الإنسانية الفاضلة، التى لايختلف عليها أحد؛ كالصدق ، والأمانة ، واحترام الآخر ... إلخ .

٢- **القيم الثانوية** : وهى الأمور القيمية الخاصة بكل إنسان؛ فهى تختلف من شخص لآخر؛ فهذا يختار قيمة نشر العلم مثلاً كقيمة من القيم الأساسية عنده، وآخر يختار قيمة إغاثة المحتاج، وثالث يختار قيمة ثالثة وهكذا.

والذى يعنينا فى حديثنا اليوم هو القسم الأول؛ وهو القيم الإنسانية الأساسية .. لقد جرت عاد المفكرين المسلمين المهتمين بدراسة القيم أن يردُّها إلى ثلاثة أنواع:

١- **القيم العليا** : وهى القيم الكلية الكبرى التى تسمو بالإنسان إلى معالي الأمور، وترفع مستواه على سائر المخلوقات، ومن تلك القيم : الحق، والعبودية، والعدل، والإحسان، والحكمة، وتُعدُّ هذه القيمة من أرقى القيم الإسلامية وأسماها وأعلاها على الإطلاق، تكتسب هذه القيمة مكانتها العالية من خلالها مضامينها.

(*) مفكر إسلامى

٢- **القيم الحضارية:** وهى القيم المتعلقة والمرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالبناء الحضارى للأمة الإسلامية، متمثلة في التقدّم العقلي والمادى معاً، وهي ذات طابع اجتماعي عمراني، كالاستخلاف، والمسؤولية، والحرية، والمساواة، والعمل، والقوة، والأمن، والسلام، والجمال وغيرها .

٣- **القيم الخلقية :** وهى القيم المتعلقة بتكوين السلوك الخلقي الفاضل عند المسلم؛ ليصبح سجيةً وطبعاً يتخلق به ويتعامل به مع الآخرين لتكوين مجتمع إسلامي فاضل تسوده المحبة والوئام، كالبر، والأمانة، والصدق، والأخوة، والتعاون، والوفاء، والصبر، والشكر، والحياء، والنصح، والرحمة، والصبر، والحوار، واحترام الآخر) [١]

وسوف أتناول بعضَ هذه القيم الإنسانية الفاضلة، وأقف معها بشئ من البيان والإيضاح، وليس الغرضُ الحصرُ لهذه القيم، إذ هذا لايتيسر في مثل هذا المقام؛ وإنما الغرض التمثيل على مدى عناية الإسلام بتلك القيم الإنسانية الرفيعة التي تسمو بالإنسان إلى المعالي ... وهذه القيم التي سأُلقي الضوء عليها هي: (العدل والمساواة، والمسئولية،والبر، والصدق، والتعاون، والأمانة).

١- العدل والمساواة :

والعدلُ: الاستواء، وهو خلاف الجور، وهو الأمر المتوسط بين الإفراط والتفريط. والعدالة : الاستقامة على طريق الحق .

قال الماوردي :(إن مما تصلح به حال الدنيا قاعدة العدل الشامل، الذي يدعو إلى الألفة، ويبعث على طاعة ، وتعمر به البلاد، وتنمو به الأموال، ويكبر مع النسل، ويأمن به السلطان.

وليس شيءٌ أسرع في خراب الأرض، ولا أفسد لضمائر الخلق من الجَوْر؛ لأنه ليس يقف على حدٍّ، ولاينتهى إلى غاية، ولكل جزءٍ منه قسطٌ من الفساد حتى يَستكْملَ.

---

(١) القيم بين الإسلام والغرب د. مانع المانع ص ٢٤ مع تصرف وزيادة يسيرة.

ونُقل عن بعض البلغاء قوله :(إن العدل ميزان اللّه الذى وضعه للخلق، ونصبه للحق، فلا تُخالفه في ميزانه، ولاتُعارضه في سلطانه، واستعن علي العدل بخلتين: قلة الطمع، وكثرة الورد)[1]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه تعالى :(أمور الناس تستقيم في الدنيا مع العدل، أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق، ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولاتدوم مع الظلم والإسلام)[2]

والمراد بالمساواة : أن يكون للمرء مثل ما لأخية من الحقوق، وعليه مثل ماعليه من الواجبات دون زيادة أو نقصان .

ولايوجد فرق بين العدالة والمساواة .. إذا المساواة هي الغاية التي تسعى العدالة إلى تحقيقها، وهي الغاية المرجوة منها؛ والعدل من شأنه أن يُساوي بين أشياء غير متساوية؛ ولأجل هذا فإن كليهما - المساواة والعدالة- قد يستعمل استعمال الآخر تسامحاً، ولكنهما غالباً مايستعملان معاً .

وإذا كانت العدالة خُلقاً فإن المساواة قيمة حضارية عليا، وهدفٌ أسمى.

لقد تميَّز الإسلام بهذه القيمة الإنسانية الحضارية، والتي عجزت جميع النظم الحديثةوالمنظمات الدولية عن تحقيقها، وقد أعلنها النبى ﷺ وطبقها في واقع المسلمين، وبذلك يكون قد خرَّج للبشرية أعظم جيل عرفته الإنسانية على الإطلاق، فالمساواة قيمة عظيمة. ما أجملها؟! وما أعظمها ؟! وما أروعها؟! وإذا طبقت في واقع الناس فإنهم يشعرون بالأمن والطمأنينة والراحة والسعادة.

وقد أوجبَ الإسلام العدل والإنصاف لكل أحد، حتى ولو كان مخالفاً لنا في الدين أو العقيدة، كما أوجب العدل في كل شئ من الاقوال والأفعال، حذَّر من مغبة مخالفة ذلك.

---

(١) أدب الدنيا والدين صـ ١٤١، وانظر موسوعة (نضرة النعيم) جـ٧ ص ٢٧٩٣

(٢) الحسبة صـ ١٤٧

قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(١)

وقال سبحانه :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾(٢).

وقال جل وعلا : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(٣)

وقال تبارك وتعالى :﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾(٤).

وقال عز وجل :﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾(٥)

وقال تعالى :﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾(٦)

* وقال عز وعلا :﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾(٧)

---

(١) سورة النحل آيه ٩٠
(٢) سورة النساء آيه ١٣٥
(٣) سورة المائدة آيه ٨
(٤) سورة النساء آيه ٥٨
(٥) سورة آل عمران آيه ٦٤
(٦) سورة الحديد آيه ٢٥
(٧) سورة المائدة آيه ٨

* وقال سبحانه :﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾[1]

وتأمل معي ما حكاه الله عن أهل الكتاب بعد أن ذكر ظلمهم وتكذيبهم لأنبيائهم وكفرهم؛ تأمل كيف يثني على من يستحق الثناء منهم فيقول سبحانه:﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً﴾[2] ، ويقول جل وعلا :﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[3] وقال جل ذكره :﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾[4]

وللعدل والمساواة فوائد عديدة منها :

١ - تحقيق الاستقرار والطمأنينة في المجتمع المسلم بحيث يشعر كل فرد من أفراده أنه ليس أقل من غيره وأنه سيحصل على حقه في التعليم والوظائف العامة ونحوها.

٢ - القضاء على الفتن الطائفية، نظراً لشعور الذميين بأن لهم حق المواطنة على قدم المساواة مع المسلمين.

٣ - إشعار المرأة بقيمتها، إذا هي مساوية للرجل في الإنسانية وأصل المسؤولية والجزاء وحق العبادة وحصول الثواب، وأنها لاتشكل الجانب الأضعف.

٤ - القضاء على الغرور عند من يظنون أنفسهم فوق الناس، والقضاء على الوهن والضعف وخور العزيمة عند من يظنون أنفسهم دونهم.

---

(١) سورة الأنعام آيه ١٥٢

(٢) سورة آل عمران آيه ٧٥

(٣) سورة آل عمران آيه ١٩٩

(٤) سورة الممتحنة آيه ٨

٥- اطمئنان كل فرد على عدالة الحكم وأن السياسة التى تقوم على ذلك هي سياسة عادلة لاتفرق بين الناس تبعاً لأعراقهم ووضعهم الاجتماعى، أو مواقعهم من السلطة[١]

لقد جعل الإسلام عيار التفاضل بين الناس جميعاً هو التقوى وحدها :﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ فالناس في الإسلام سواسية كأسنان المشط؛ لافضل لعربى على أعجمى، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى ، وقد جاء الإسلام فسوّى بين بلال وعمر؛ وسوّى بين سلمان وأبي بكر؛ ولم ينظر الإسلام في هذه التسوية للجنس ولا للون ولا للعرق؛ وهكذا تميز هذا الإسلام العظيم على جميع النظم والأيدلوجيات والشرائع والأديان الوضعية بهذا المبدأ العظيم، وهذه القيمة الكبرى مما يجعل المسلم يفتخر بهذا الدين القويم.

ومن أبرز صور المساواة في الإسلام : المساواة في الكرامة الإنسانية فلا يؤذى أحدٌ بسبب لونه أو جنسه أو مذهبه أو عقيدته، فالإنسان في حدِّ ذاته كائنٌ ومخلوقٌ مكرَّمٌ، كرَّمه اللّه تبارك وتعالى؛ فلا يجوز أن يُعتدى عليه بأى نوعٍ من أنواع الاعداء، فالعدل والمساواة بين الناس حق لهم جميعاً ، والظلم مُحَرَّمٌ فيما بينهم، مهما كان لون أحدهم أو عرقه أودينه.

قال سبحانه :﴿لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[٢]قال المفسرون : كرَّمهم بالعقل، والنطق، وتسخير الأشياء، وتناول الطعام بالأيدى، وحملهم في البر والبحر على المراكب المختلفة.

وأقسم سبحانه على أنه خلق الإنسان في أحسن صورة وأجملها وأكملها فقال

(١) القيم بين الإسلام والغرب ص٣٧، وهو قد نقلها بتصرف عن موسوعة (نضرة النعيم) جـ٧ ص ٢٨١٨
(٢) سورة الإسراء آيه ٧٠

جل وعلا : ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ① وَطُورِ سِينِينَ ② وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ ③ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾(١)

وبيَّن سبحانه جل وعلا أن قتل النفس الإنسانية بغير حق في الإسلام كقتل الإنسانية جميعاً؛ وحماية نفس واحدة من القتل كإحياء الناس جميعاً، فقال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾(٢)

وفي الصحيحين عن جابر رضى الله عنه قال : مرَّ بنا جنازة، فقام لها النبى ﷺ وقمنا فقلنا : إنها جنازة يهودي، فقال :(إذ رأيتم الجنازة فقوموا)، وفيهما عن سهل بن حنيف أن النبى ﷺ مرت به جنازة فقام، فقيل له: إنها جنازة يهودي، فقال صلى الله عليه وسلم :(أليست نفساً)؟

وانظر معي إلى تلك الصورة الراقية الرائعة من عدالة الإسلام ومساواته فيعهد الصحابة الكرام رضوان الله عليهم :

قال أنس : كنا عند عمر بن الخطاب إذ جاء رجل من أهل مصر ، فقال: يا أمير المؤمنين، هذا مقام العائذ بك! قال: ومالك؟ قال :أجرى عمرو بن العاص بمصر الخيل،فأقبلت فرسي، فلما رآها الناس قام محمد بن عمرو، فقال: فرسي وربِّ الكعبة .

فلما دنا مني عرفته فقلت : فرسي ورب الكعبة .

فقام إليَّ يضربني بالسوط، ويقول : خذها وأنا ابن الأكرمين .

وبلغ ذلك عَمْراً أباه فخشي أن آتيك فحبسني في السجن فانفلت منه، وهذا حين أتيتك، فوالله مازاد عمر على أن قال له: اجلس. ثم كتب إلى عمر: (إذا جاءك كتابى هذا فأقبل، وأقبل معك بابنك محمد) وقال للمصري: أقم حتى يأتيك.

---

(١) سورة التين آيه ١ - ٤

(٢) سورة المائدة آيه ٣٢

فدعا عمر وابنه، فقال: أأحدثت حدثاً؟ أجنيت جناية؟ قال: لا. قال: فما بال عمر يكتب فيك؟

قال: فقدما على عمر. قال أنس: فوالله إنا عند عمر، إذا نحن بعمرو وقد أقبل في إزار ورداء، فجعل عمر يلتفت هل يرى ابنه، فإذا هو خلف أبيه.

فقال: أين المصري؟ فقال: ها أناذا. قال: دونك الدُرَّة فاضرب بها ابن الأكرمين. فضربه حتى أثخنه ونحن نشتهي أن يضربه، فلم ينزع حتى أحببنا أن ينزع من كثرة ما ضربه، وعمر يقول: اضرب ابن الأكرمين. ثم قال: اجلِها على صلعة عِمرو، فوالله ماضربك إلا بفضل سلطانه.

قال: يا أمير المؤمنين قد استوفيت واشتفيت، وقال: يا أمير المؤمنين قد ضربت من ضربني. قال: أما والله لو ضربته ما حُلنا بينك وبينه حتى تكون أنت الذي تدعه، أيا عمرو! متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟

فجعل يعتذر ويقول: إني لم أشعر بهذا.

ثم التفت عمر إلى المصري فقال: انصرف فإن رابك ريب فاكتب إليَّ[1]

٢- البِـــر:

ومن القيم الإنسانية الفاضلة التي بينها الإسلام ورغب فيها وحث عليها: البِرّ. وكلمة البر تطلق على عدة معاني.

منها: الصدق ... تقول: صدق فلان وبَرَّت يمينه أي صدقت، وأبرَّها: أمضاها على الصدق. ومنها التوسع في فعل الخير.

والبرُّ كلمة جامعة لكل معاني الخير، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في تعريفه البر: (إن لفظ البر إذا أطلق تناول جميع ما أمر الله به كما جاء في قوله: ﴿إن الأبرار لفي نعيم * وإن الفجار لفي جحيم﴾[2]، وقوله: ﴿ولكن البر من اتقى﴾[3] فالبر إذا أطلق كان مسماه مسمَّى التقوى، والتقوى: إذا أطلقت كان مُسمَّاها مسمَّى البر، ثم قد يجمع بينهما كما في قول تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾[4].

(١) أخبار عمر للشيخ الطنطاوي ص ١٤٥

وقد أمر الله تعالى بالبر، ورغَّبَ فيه، وامتدح أهله، ومن ذلك قوله تعالى:﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَتَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[1]

وقوله جل علا :﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[2]

ومن البر محبة الناس جميعاً، ومحبة الخير والصلاح والهداية لهم، وهذه سمة ظاهرة في هذا الدين، وأصل أصيل في أحكامه وتشريعاته، ولهذا جاءت كثيرٌ من نصوص الشريعة بمخاطبة الناس جميعاً على العموم، وتذكيرهم، ودعوتهم إلى الخير والهدى؛ ومن ذلك قوله تعالى :﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم﴾[3] ، وقوله جل وعلا :﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم﴾[4]، ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾[5]، وقوله سبحانه:﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم ولباس التقوى ذلك خير﴾[6]، وقوله عز وجل :﴿ يابنى آدم لايفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة﴾[7]، وقوله تبارك وتعالى :﴿ يابني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون﴾[8]

وللبرِّ فوائد جَمَّةٌ عديدة ، منها :

١ - طريق موصل إلى الجنة .

---

(١) سورة المائدة آيه ٢
(٢) سورة البقرة آيه ١٧٧
(٣) سورة البقرة آيه ٢١
(٤) سورة النساء آيه ١
(٥) سورة الحجرات آيه ١٣
(٦) سورة الأعراف آيه ٢٦
(٧) سورة الأعراف آيه ٢٧
(٨) سورة الأعراف آيه ٣٥

٢- زيادة في العمر وبركة في المال والنسل.

٣- نيل محبة الناس ومحبة الله عز وجل .

٤- البر يؤدى إلى الألفة وشيوع روح المحبة في المجتمع.

٥- الأبرار تعمر بهم الأرض وذلك بخلاف الفجار الذين يخربونها وهى عمارة

ويمكن تقسيم البر إلى قسمين رئيسين وهما :

الأول : الصلة : وهى (التبرع ببذل المال في جهات محمودة، لغير عوض مطلوب، وهذا يبعث عليها سماحة النفس وسخاؤها، ويمنع شحها وإبائها؛ قال الله تعالى :﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾[1]

الثانى : المعروف : ويتنوع إلى نوعين : قول، وعمل.

(فأما القول : فهو طيب الكلام وحسب البشر والتودد بجميل القول؛ وهذا يبعث عليه حسن الخلق، ورقة الطبع؛ ويجب أن يكون محدوداً كالسخاء، فإنه من أسرف فيه كان مَلَقاً مذموماً، وإن توسط واقتصد فيه كان معروفاً وبراً محموداً .

وأما العمل : فهو بذل الجاه، والمساعدة بالنفس، والمعونة في النائبة، وهذا يبعث عليه حب الخير للناس، وإيثار الصلاح لهم، وليس في هذه الأمور سرف، ولالغايتها حد، بخلاف النوع الأول؛ وإن كثرت فهي أفعال خير تعود بنفعين: نفع على فاعلها في اكتساب الأجر، وجميل الذكر، ونفع على المعان بها في التخفيف عنه والمساعدة له)[2].

٣- التعاون :

ومن القيم الإنسانية الفاضلة التى رغب الإسلام فيها: التعاون؛ والتعاون هو التضامن والتعاضد والترافد.

والتعاون المطلوب هو التعاون على البر والتقوي؛ بأن يظاهر المرءُ أخاه ويعينه على فعْل الخيرات، وعلى طاعة الله عز وجل، وجنبه معطيته.

(١) أدب الدنيا والدين للماوردى ص ٣٢٢،٣٢٣

والتعاون واجب ديني وضرورة اجتماعية اقتضت سنة الله أن لاتقام هذه الحياة إلا على المعاونة والمشاركة، واتخاذ الناس بعضهم لبعض سخرياً. فالتعاون حاجةٌ ضرورية لا يمكن أن يستغنى عنها الفرد، بل المجتمع لايمكن أن يتأسس بدونها، فإذا تم التعاون تمكَّن الإنسان من القيام بمهمة الاستخلاف وعمارة الأرض التى خلق من أجلها.

قال تعالى ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَتَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[1] وجعل النبى ﷺ إعانة ذا الحاجة صدقة، ففي الصحيحين عن أبي موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :(على كل مسلم صدقة) فقالوا : يانبى الله، فمن لم يجد؟ قال(يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق) قالوا: فإن لم يجد؟ قال(يعين ذا الحاجة الملهوف) قالوا: فإن لم يجد؟ قال : (فليعمل بالمعروف، وليُمسك عن الشرِّ فإنها له صدقة)

كما أمر صلى الله عليه وسلم بمعاونة المظلوم على استرداد حقه، والوقوف في وجه الظالم ومنعه عن ظلمه، ففي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :(انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) قال: يارسول الله، هذا ننصره مظلوماً، فكيف ننصره ظالماً؟ قال:(تأخذ فوق يديه).

وبيَّن صلى الله عليه وسلم أن أحب الأعمال ماكان فيها عوناً للمسلم وقضاء حاجة من حوائجه وإدخال سرور عليه، وأن أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: إنَّ رجلاً جاء إلى النبى ﷺ، فقال: يارسول الله، أى الناس أحب إلى الله تعالى؟ وأى الأعمال أحب إلى الله؟ فقال رسول الله ﷺ(أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله تعالى سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربةً، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخٍ في حاجة أحبُّ إليَّ من أن أعتكف في هذا المسجد) يعنى مسجد المدينة (شهراً، ومن كَفَّ غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه ولو شاء أن

(١) سورة المائدة آيه ٣

يمضيه أمضاه ملأ اللّه قلبه رجاءً يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يتهيأ له أثبت اللّه قدمه يوم تزول قدمُه)[1]

بل أمر صلى الله عليه وسلم بأن يتصدق المرءُ بما زاد عن حاجته على غيره ممن هو في حاجة إليها، ففي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضى اللّه عنه قال: بينما نحن فى سفر مع النبى ﷺ إذا جاء رجل على راحلة له، قال : فجعل يصرفُ بصره يميناً وشمالاً. فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: (من كان معهُ فضلُ ظهر فليعُدْ به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زَاد فليُعد به على من لا زاد له) فذكر من أصناف المال ما ذكر، حتى رأينا أنه لاحق لأحدٍ منا في فضل).

وللتعاون على الخير والصلاح والبر والتقوى فوائد كثيرة وعظيمة ، منها :

١- إمكان إنجاز الأعمال الكبيرة التى لايقدر عليها الأفراد .

٢- شعور الفرد بالقوة ونزع شعور العجز من نفسه، وقدرته على مواجهة الأخطار المحدقة به ممن حوله من الإنسان والحيوان .

٣- أساس التقدم والإنتاج والنجاح والتفوق.

٤- سبب من أسباب الألفة والمحبة بين الناس.

٥- يحقق سنة اللّه في خلقه ويحقق طبيعة الأشياء[2]

٤- الأمانة :

ومن القيم الإنسانية النبيلة الفاضلة؛ الأمانة :

قال ابن منظور : الأمان والأمانة بمعنى، والأمانة: ضد الخيانة .

وقال ابن الأثير : الأمنة جمع أمين، وهو الحافظ. وقوله عز وجل: ﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً﴾[23] قال أبو إسحاق : أراد ذا أمن، فهو آمنٌ وأمينٌ. ورجل أمن وأمين بمعنى واحد .

---

(١) الحديث أورده الألبانى في السلسلة الصحيحة ٢/ ٦٠٨، ٦٠٩

(٢) موسوعة نضرة النعيم جـ ٣ ص ١٠٢٧

وقال الكفوي : كلُّ ما افترض الله على العباد فهو أمانةٌ، كالصلاة والزكاة والصيام وأداء الدين، وأوكَدُها الودائع، وأوكد الودائع كتم الأسرار، وقال في موضع آخر: كل ما يؤتمن عليه من أموال وحُرَمٍ وأسرارٍ فهو أمانة.

مجالات الأمانة :

والمجالات التى تدخل فيها الأمانة كثيرة منها :

الدين، والأعراض، والأموال، والأجسام، والأرواح، والمعارف والعلوم، والولايةُ، والوصاية، والشهادة، والكتابة، ونقل الحديث والأسرار، والرسالات، والسمع والبصر وسائر الحواس، ولكل واحدة من التفصيل ماينا سبها.

ولايستقيم أمرُ مجتمع من المجتمعات إلا بالأمانة؛ ولذا جاء الشرع الحنيف بالأمر بالأمانة والترغيب في حفظها وأدائها، والتحذير من تضييعها أو التفريط فيها، ومن ذلك قوله تعالى :﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيراً﴾(١)

وقوله جل وعلا : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٢)

وقوله تعالى : ﴿إِنَّا عرضنا الامانة على السَّماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنَّه كان ظلوما جهولا * ليعذِّب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما﴾(٣)

وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال :(آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان)

وفيهما كذلك عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال :(أخبرني أبوسفيان

---

(١) سورة النساء آيه ٥٨

(٢) سورة الأنفال آيه ٢٧

(٣) سورة الأحزاب آيه ٧٢ - ٧٣

أن هرقل قال له : سألتك ماذا يأمركم؟ فزعمت أنه يأمر بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة. قال : وهذه صفة نبي)

وعند الترمذي وقال : حديث حسن، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ(أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولاتخن من خانك)

وللأمانة فوائد كثيرة منها :

١ - الأمانة من كمال الإيمان وحسن الإسلام.

٢- يقوم عليها أمر السموات والأرض .

٣- بالأمانة يُحفظُ الدينُ والأغراضُ والأموال والأجسام والأرواح والمعارف والعلوم والولاية والوصاية والشهادة والقضاء والكتابة ...

٤ - الأمين يحبه الله ويحبه الناس .

٥- المسئولية :

ومن القيم الإنسانية النبيلة : المسئولية :

قال الدكتور دراز (تعني المسئوليةُ كون الفرد مكلفاً بأن يقوم ببعض الأشياء ويقدم عنها حساباً إلى غيره، وينتج عن هذا التحديد أن فكرة المسئولية تشتمل على علاقة مزدوجة من ناحية الفرد المسئول بأعماله، وعلاقته بمن يحكمون على هذه الأعمال، والمسئولية قبل كل شئ هي استعداد فطرى؛ إنها هذه المقدرة على أن يلزم الإنسان نفسه أولاً، والقدرة على أن يفى بعد ذلك بالتزامه بواسطة جهوده الخاصة)[1]

وقيل : المسئولية حالةٌ يكون فيها الإنسان صالحاً للمؤاخذة على أعماله وملزماً بتبعاها المختلفة.

---

(١) دستور الأخلاق في القرآن ص ١٣٨

وقد قرَّر القرآن هذه المسئولية فى آيات كثيرة؛ منها قول تعالى :﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾(١)

وقوله جل وعلا : ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾(٢)

وقوله سبحانه : ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(٣)

أنواع المسئولية :

وللمسئولية أنواع متعددة أهمها :

١- المسئولية الدينية : وهي التزام المرء بأوامر الله ونواهيه، وقبوله في حال المخالفة لعقوبتها ومصدرها الدين.

٢- المسئولية الاجتماعية : وهى التزام المرء بقوانين المجتمع ونظمه وتقاليده.

٣- المسئولية الأخلاقية : وهى حالة تمنحُ المرء القدرة على تحمل تبعات أعماله وآثارها، ومصدرها الضمير؛ وكل مسئوليةٍ قبلناها، وارتضينا الالتزام بها فهي مسئولية أخلاقية.

- المسئولية الشخصية :

من المبادئ التى قررها الإسلام قصر المسئولية على المسئول وحده، قال تعالى :﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٤)

وقال جل وعلا :﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾(٥) وقوله تعالى :﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ﴾(٦)

---

(١) سورة المؤمنون آيه ١١٥
(٢) سورة القيامة آيه ٣٦
(٣) سورة الجاثية آيه ٢٩
(٤) سورة البقرة آيه ١٤١
(٥) سورة فاطر آيه ١٨
(٦) سورة الإسراء آيه ٣٣

فلا يؤخذ بريئ بجريمة مذنب، ولايشترك أهل المذنب فيما اقترفت يداه، أو نُسب إليه.

ولاتستقيم أمور الحياة، ولاتستقر شئون الأمة، ولاتُسعد في حياتها إلا إذا قام كل فرد من أفرادها حكّاماً ومحكومين، أفراداً وجماعات، رجالاً ونساءً؛ إلا إذا قام كلُ أحد بمسئولياته، وقد جاءت نصوص الشرع تبين هذا الأمر، وأن كل إنسان محاسبٌ وحده عما جناه وفعله، ومكلفٌ بأشياء ومسئول عن أمور يختص بها دون سواه.

قال جل وعلا :﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(١)

وقال سبحانه: ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً * وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً * وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾(٢)

وقال جل وعلا :﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً * مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾(٣)

وقال سبحانه :﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾(٤)

وقال تبارك وتعالى :﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾(٥)

---

(١) سورة الحجر آيه ٩٢ - ٩٣

(٢) سورة الإسراء آيه ٣٤ - ٣٦

(٣) سورة الإسراء آيه ١٣ - ١٥

(٤) سورة المؤمنون آيه ١١٥ - ١١٦

(٥) سورة المدثر آيه ٣٨ - ٤١

وفى الصحيحين عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :(كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الإمام راعٍ ومسئول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعيةٌ في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راعٍ فى مال سيده ومسئول عن رعيته) قال وحسبت أنه قد قال : (والرجل راعٍ في مال أبيه ومسئول عن رعيته، وكلكم راعٍ ومسئول عن رعيته).

وقال الدكتور على أبو العينين : (من المقومات الأساسية التى يقوم عليها المجتمع المسلم أنه مجتمع مسئول، كل فرد فيه مطالبٌ بالمشاركة في تيسير أمور مجتمعه، والمسلمون مسؤلون عن بعضهم، ومأمورون بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر)[1]

وللمسئولية فوائد منها :

١- تُشعر بوجوب أداء الأمانة أمام الله وأمام الناس .

٢- الإخلاص في العمل والثبات عليه .

٣- كسب ثقة الناس واعتزازهم بالشخص المسئول .

٤- يشعر الشخص المسئول بالسعادة تغمره كلما قام بتنفيذ عمل نافع.

٥- تجل بنيان الدولة قوياً غير قابل للتصدع عند التعرض للمحن والحروب.

٦- المسئولية تجعل للإنسان قيمة في مجتمعه.

٦- الصدق :

ومن القيم الإنسانية الفاضلة التى جاء الإسلام بالحث عليها والترغيب فيها؛ والصدق : قال الراغب : الصدقُ مطابقةُ القول الضميرَ، ولمخبر عنهُ معاً[2]

وقال الجرجاني : مطابقة الحكم للواقع، وهذا هو ضدُّ الكذب [3]

(١) التربية الإسلامية وتنمية المجتمع الإسلامى ص ٥٤

(٢) المفردات ص ٢٧٧

(٣) التعريفات ص ١٣٢

وقيل : الصدق استواء السر والعلانية، والظاهر والباطن؛ بألا تكذب أحوال العبد أعماله، ولا أعماله أحواله.

مجالات الصدق:

قال ابن القيم رحمه الله :(والصدق ثلاثة : قول وعمل وحال)

فالصدق في الأقوال : استواء اللسان على الأقوال كاستواء السنبلة على ساقها.

والصدق في الأعمال : استواء الأفعال على الأمر والمتابعة، كاستواء الرأس على الجسد .

والصدق في الأحوال : استواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص ، واستفراغ الوسع وبذل الطاقة؛ فبذلك يكون العبد من الذين جاءوا بالصدق، وبحسب كمال هذه الأمور فيه وقيامها به تكون صديقيته، كما فعل أبو بكر رضى الله عنه[1]

وقد أمر الله عباده بالصدق فقال سبحانه :﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[2]

وامتدح الله الصادقين بأحسن أعمالهم من الإيمن والإسلام والصدقة والصبر، وبأنهم من أهل الصدق .. قال سبحانه :﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىَ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىَ وَالْيَتَامَىَ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[3] وهذا صريحٌ فى أن الصدق بالأعمال الظاهرة والباطنة، وأن الصدق هو مقام الإسلام والإيمان .

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ٢٨١

(٢) سورة التوبة آيه ١١٩

(٣) سورة البقرة آيه ١٧٧

وقسّم الله جل وعلا الناس إلى صادق ومنافق، فقال سبحانه :﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾(١)

فما ثمَّ إلا صادقٌ أو منافق، وليس ثمَّة ثالث؛ فالإيمان أساسه الصدق، والنفاق أساسه الكذب؛ فلا يجتمع كذبٌ وإيمان إلا وأحدهما يحاربُ الآخر.

وأخبر الله تبارك وتعالى أنه لاينفع العبدَ ولا ينجيه يوم القيامة إلا صدقه، فقال تعالى:﴿هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي من تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(٢)

وقال جلّ وعلا :﴿وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ * لَهُم مَّا يَشَاءونَ عندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاء الْمُحْسِنِينَ * لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٣)

وفي الصحيحين عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : (إن الصدق يهدى إلى البر، وإن البر يهدى إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقاً، وإن الكذب يهدى الى الفجور، وإن الفجور يهدى إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً)

وعند الحاكم في المستدرك وقال : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي ، عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال :(اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة : اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا أؤتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصارك ، وكفوا أيديكم)

وعند الترمذي وقال : حسن صحيح ، عن رفاعة رضى الله عنه أنه خرج مع النبى ﷺ إلى المصلى فرأى الناس يتبايعون. فقال (يامعشر التجار)! فاستجابوا لرسول الله ﷺ ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه فقال :(إن التجار يبعثون يوم القيامة فُجَّاراً، إلا من اتقى الله وبَرَّ وصدق)

(١) سورة الأحزاب آيه ٧٣

(٢) سورة المائدة آيه ١١٩

(٣) سورة الزمر آيه ٣٣ - ٣٥

وعند الترمذى كذلك وقال : حسن صحيح، عن أبي محمد، الحسنِ بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما قال : حفظت من رسول الله ﷺ (دع مايريبك إلى مالا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة)

* وأنشد محمد الورَّاق :

اصدق حديثك إن فى الصـ ـدق الخلاص من الدنس

ودع الكـ ـذوب لشأنه خيرٌ من الكذب الخرس

* وقال منصور الفقيه :

الصدق أولى ما به دان امرؤٌ فاجعله دينا

ودع النفاق فما رأيـ ـت منافقاً إلا مهيناً

* وقال عبدالواحد بن زيد : (الصدق الوفاء لله بالعمل)

* وقال إبراهيم الخواص :(الصادق لاتراه إلا فى فرض يؤديه، أو فضل يعمل فيه)

* وقال الجنيد (حقيقة الصدق : أن تصدق فى موطن لاينجيك منه إلا الكذب)

* وقيل : (من طلب الله بالصدق أعطاه مرآة يبصر فيها الحق والباطل)

وقيل : (عليك بالصدق حيث تخاف أنه يضرك، فإنه ينفعك، ودع الكذب حيث ترى أنه ينفعك فإنه يضر بك)

وللصدق فوائد عديدة منها :

١- الصدق طريق الأبرار إلى الجنة .

٢- الصادقون يحبهم الناس ويثقون بهم ويأتمنونهم فى سائر معاملاتهم.

٣- الصدق يرفع الأعمال ويعلي شأنها.

٤- الصدق دليل القوة وسمة الثقة بالنفس.

٥- الصادق محشورٌ مع النبيين والشهداء والصالحين .

هذا الذي تقدَّم هو بعضُ القيم الإنسانية في الإسلام؛ والإسلام دعا إلى قيمٍ أخرى غيرها نبيلة وفاضلة، وهي كثيرةٌ جداً؛ وما هذا الذي ذكرتُ إلا أمثلة فحسب لتلك القيم النبيلة الرائعة.

إذ الحديث عن القيم الإنسانية كلها قد لايتيسر، ولكن المتيسر هو أن نعرض بعض جوانبها علي ضوء الشريعة المحمدية، حتى تستضئ البشرية بهذه الإشراقة الإنسانية .

ولعلنا نستغني عن كثير من المقدمات المنطقية حينا نعلم أن الذنب الذي جناه نبينا محمد ﷺ في نظر أعدائه – هو اعترافه بالمبادئ الإنسانية.

فاستخدام القوة – مثلاً – أمام القوى المقاتلة ليس مبدأ محمدياً ابتداءً، وإنما هو مبدأ إنساني، وحيث إن الإنسانية ممثلة بمحمد صلى الله عليه وسلم أصبح استخدام القوة مبدأ محمدياً .

والإسلام – الذى جاء به محمد ﷺ – لم يقابل بقواته أمماً تقابله بالورود والرياحين، وإنما يقابل جيوشاً مدججة بالسلاح، فما معنى امتلاك تلك الأمم للسلاح؟!

بل إن الإسلام منع من استخدام القوة أمام من لايملك القوة، كالأطفال، والنساء، والرهبان، ونحوهم، وهذا لأن الأصل فى الإسلام هو السلام، وأما استخدام القوة فعارض ينتهي بانتهاء سببه.

ثم إن استخدام القوة في الإسلام لايكون إلا أمام الجيوش المحاربة، وأما الأفراد فليس من دين الإسلام مقابلتهم بالسلاح، وإنما يُقابلون بالهدى والصلاح.

ولعلك تعجب حينما ترى أن الإسلام قد وهب للأفراد حرية الاختيار- على عكس معتقدات الأمم الأخرى- ومع ذلك ترى الشعوب على اختلافها تتسابق إلى الدخول فى دين الله أفواجاً، على عكس معتقدات الأمم الأخرى التى عجزت عن إدخال شعوبها فى معتقداتها بالحديد والنار.

وأعظم من هذا حينما تجد الشعوب المختلفة تتسابق في تقديم أبنائها الأعلام لخدمة الإسلام، وهذا لإيمانها بأنها تعيش فى ظل الإسلام على قاعدة : (لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى)، وتردّد صباح مساء قول ربها سبحانه :﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1]

ولغتها :

أبى الإسلامُ لا أبَ لي سواهُ إذا افتخروا بقيسٍ أو تميم

وإذا كانت هذه سياسة الإسلام أمام القوى الخارجية فإن الشريعة الإسلامية لم تهمل شؤونها الداخلية، ولأن المظاهر الإجرامية جزء من المجتمعات الإنسانية فقد وقف له الإسلام بالمرصاد؛ ليدرأ شرها عن البلاد والعباد، فأعطى كل جريمة ما يناسبها من العقوبات التى ربما تصل إلى القتل، وهذه العقوبات تقرّ بها جميع الأمم، ولكنها تختلف في تحديد أنواع الجرائم التى تستحق تلك العقوبات .

إذا كنا نريد برهاناً على صحة العقوبات الإسلامية وملاءمتها للحياة الإنسانية، فلسنا بحاجة إلى مقدمات منطقية، ولا نظريات فلسفية، وإنما يكفينا أن نلتفت إلى مجتمعات العالم أجمع؛ لنسألها :

أى المجتمعات نجحت في الحد من انتشار الجريمة ؟!

ولنترك الجواب للأرقام

ومن إنسانية الإسلام مراعاته لاختلاف القدرات العقلية لبنى الإنسان، فيهب للعقول مساحة واسعة لتلعب دورها في بناء الحضارة الإسلامية، بل حتى فى المسائل الشرعية يسمح بوجهات نظر مختلفة؛ اعترافاً بالطبيعة الإنسانية، وتيسيراً للأمة الإسلامية، (ولن يشادّ الدين أحدٌ إلا غلبه)

(١) سورة الحجرات آيه ١٣

ولكنه مع هذا لم يتجاهل التفريق بين المصالح العامة والمصالح الفردية؛ فيختار للرعاية نخبة من أولي الدّراية؛ ويَكِلُ إليهم النظر فى مصالح الولاية.

وأما المصالح الفردية فقد شرع لكل فرد أن ينظر في أموره الخاصة على حسب ما تقتضيه مصلحته.

تلك هي الحرية التى يتكلم عنها الإسلام، وليست سفسطات وفلسفات تُسوَّد بها الصفحات، وتمتلئ بها المجلات، وليست شعارات ولافتات تتشدق بها المرئيات والإذاعات، حتى إذا ماأتيت إلى الواقع لم تجد شيئاً ، وإنما تجد واقعاً لايحرر الإنسان من الطغيان والعصيان، وإنما يحرره من مبادئه الحسان.

وهو إن طالب بالحرية فإنما يطالب بحريته الشخصية، وتسخير الإنسان لمصالحه الذاتية، بل وشهواته البهيمية.

ولعلك لاتجد أحداً من بني الإنسان يطالب بحرية مطلقة، وإنما يقيدها كل أناس علي حسب ماتشتهيه أهواؤهم، وتمليه عليهم خيالاتهم، وأفضل حرية عرفها الإسلام هى تلك التى قامت على مبدأ العدل بين الناس أجمعين، على قاعدة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[1]. هذه بعض الجوانب الإنسانية التى يتمثلها الإسلام على قائده أفضل الصلاة والسلام.

وهى جوانب تشهد على صحة هذا الدين السماوي، وأن محمداً رسول من رب العالمين)[2]

هذه بعض القيم الإنسانية الفاضلة، التى جاء الإسلام بها، وحث عليها، ورغب فيها؛ والمسلمُ ينطلق من تلك القيم وغيرها في تعامله مع الآخرين مسلمين أو غير مسلمين؛ فهو ينطلق في تعامله مع الآخرين من قيم ثابتة؛ ومبادئ عادلة سامية،

(١) من مثال إنسانية محمد صلى الله عليه وسلم لحامد بن عبدالعزيز الحامد، من موقع مفكرة الإسلام
(٢) سورة الأنبياء آيه ١٠٧

وأخلاق فاضلة؛ وها أنا ذا ألخّص في نهاية هذا البحث الموجز بعض القيم والمبادئ والأسس التي ينطلق منها المسلم في تعامله مع الآخرين؛ فمن هذه القيم والمبادئ :

١- وحدة الجنس البشري، حيث تجمعهم أخوة النسب الإنساني الذى يرجعون به إلى أبيهم آدم عليه السلام ، قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً﴾(١)

٢- الكرامة الإنسانية التى يستحقها الإنسان لكونه آدمياً رجلاً كان أو امرأة، صغيراً كان أو كبيراً؛ قال سبحانه :﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾(٢) وبهذ الكرامة يُصان دم الإنسان وعرضه وماله ونسبه وحريته.

٣- تحريم قتل النفس الإنسانية بغير حق. وقتل نفس واحدة ظلماً عند الله كقتل الناس جميعاً، وحماية نفس واحدة من القتل كإحياء الناس جميعاً، وجاء في القرآن :﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾(٣)

٤- لايجوز إكراه أحد في دينه، قال الله تعالى :﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾(٤)، بل إن الإسلام نفسه لايصح مع الإكراه.

٥- إقامة العلاقات الإنسانية عى الأخلاق الكريمة -من العدل والإحسان والبر- أساس في رسالة الإسلام، بل وفي الرسالات السماوية الأخرى، يقول النبى محمد ﷺ (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)، ويقول الله تعالى:﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا

(١) سورة النساء آيه ١
(٢) سورة الإسراء آيه ٧٠
(٣) سورة المائدة آيه ٣٢
(٤) سورة البقرة آيه ٢٥٦

بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾[1]

٦- كل من فى الأرض من خيرات ظاهرة وباطنة إنما خلقت من أجل الإنسان، قال تبارك وتعالى :﴿هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً﴾[2] وهي إنما خلقت ليكون استثماره لها فى حدود الحق والعدل والخير والإصلاح.

٧- المسؤولية في الجنايات الخاصة فردية، فلا أحد يؤخذ بجريرة غيره، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[3]

٨- العدل بين الناس حق لهم والظلم محرم فيما بينهم مهما كانت أديانهم أو ألوانهم أو قومياتهم ، قال الله تعالى :﴿وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى﴾[4]

٩- الحوار والدعوة بالحسنى شعارُ المسلم الصادقة؛ قال تعالى :﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وجادلهم بالتى هى أحسن﴾[5]

---

(١) سورة الحديد آيه ٢٥

(٢) سورة الإسراء آيه ١٥

(٣) سورة الأنعام آيه ١٥٢

(٤) سورة النحل آيه ١٢٥

صورة الإسلام والعرب فى الأدب الغربى

أ.د/ بثينة أحمد أبو المجد(*)

إذا كان تعلم اللغة الإنجليزية يمكن الفرد العربى المسلم من التواصل مع العالم الذى فى معظمه يتحدث بها كلغة أصلية أو مكتسبة، فإن دراسة آدابها تمكنه من فهم الآخر ومعرفة أفكاره واستشعار نواياه، خاصة فيما يتعلق بممارسات وسياسة تلك القوة العظمى وحليفها اللصيق تجاه العالم العربى والإسلامى. فالأدب مرآة للمجتمع تعكس ما فيه من فكر وثقافة ومفاهيم ومعتقدات فضلاً عن أنه فى كثير من الأحيان يعبر عن سياسات ومواقف تتبناها أو تصبو إليها الحكومات التى ينتمى إليها.

وعلى ذلك يتناول هذا البحث أعمالاً من الأدب الإنجليزى والأمريكى يتضح من دراستها أن فكرة المسئولية التنويرية ونشر الحرية والديمقراطية التى يدعيها الغرب الآن تجاه المشرق العربى الإسلامى ما هى إلا فكرة استعمارية قديمة انعكست فى آدابهم، ونهج استخدم لتبرير احتلال أرض الغير ونهب ثرواتها. كما تكشف الدراسة عما يضمره الغرب من كراهية للإسلام والعرب، ومن نوايا خطيرة لإخضاع الدول العربية - خاصة دول النفط - لسيطرته، إذ ينظر إليها على أنها شعوب متخلفة لا تستحق هذه الثروة ولا تؤتمن على امتلاكها فضلاً عما تشكله من تحد اقتصادى وسياسى وفكرى يخشاه الغرب ويعمل على تقليصه والقضاء عليه ومن ثم تطويع تلك الدول لخدمة مصالحه.

لقد لعب الأدب الإنجليزى منذ الحروب الصليبية وحتى الزمن الحديث دوراً كبيراً فى تعزيز مواقف سياسية معينة يتبناها الغرب تجاه العالم العربى الإسلامى. فقد خدم ذلك الأدب الحملات الصليبية فى القرون الوسطى، ويتضح ذلك فى "حكايات كانتربرى" للكاتب الإنجليزى جيفرى تشوسر (١٣٤٠ م - ١٤٠٠ م)، إذا إن السمة المميزة لشخصية الفارس فى تلك الحكايات هى حماسته كمقاتل صليبى يحارب العدو المسلم ويقضى عليه.

(*) أستاذ الأدب الإنجليزي - رئيس قسم اللغة الإنجليزية - كلية الدراسات الإنسانية - جامعة الأزهر.

وفى عصر النهضة ازداد الصراع بين دول أوروبا المسيحية والإسلام إثر نمو القوة العثمانية التى وصلت فتوحاتها قلب أوروبا حتى حاصرت فيينا عام ١٥٢٩م، وظل إخفاق العثمانيين فى فتح تلك المدينة حدثاً مهماً احتفت به أوروبا وأبرزته فى تاريخها. ولم يكن الفتح العثمانى بمثابة تهديد لأوروبا فحسب بل لحوض المتوسط بأكمله، فقد سقطت رودس فى ١٥٢٢م -١٥٢٣م وقبرص فى ١٥٧١م، وتقدم العثمانيون نحو الدانوب. وأرعب هذا الزحف العثمانى دول أوروبا، حتى بريطانيا التى دوما اعتبرت البحر حصنا طبيعياً لها لم تخل من شعور بالخوف من هذا الزحف. وعلى أساس ذلك فقد كان شاغل الكثيرين من أدباء الغرب فى تلك الفترة زرع الكراهية تجاه "التركى" أو المسلم وتصويره على أنه غادر قاتل كافر لا دين ولا خلاق له. ويتضح ذلك بصفة خاصة فى أعمال الكاتبين البريطانيين وليام شكسبير وكريستوفر مارلو[١].

وبانتشار الإسلام وتغلغله داخل أوروبا شعرت تلك القارة أن هناك خطراً يتهددها، فقد أنزعج الغرب من تلك المفارقة بين مجتمع إسلامى متفوق بحضارته وعلومه وديانته المتفتحة وآخر أوروبى مسيحى طبقى كهنوتى يحكمه ويتحكم فيه رجال الكنيسة. فقد رفض الإسلام الكهانة بكل صورها، فلا وساطة بين الإنسان وربه ولا تميز إلا بالتقوى. لذلك اعتبرت أوروبا الإسلام خطراً يهدد كيانها الدينى والعقائدى ونذيراً بانهيار نظامها الاجتماعى والسياسى.

وقد أفرزت الكراهية للإسلام فى المجتمع الأوربى صورة غير صادقة ومبتذلة لهذا الدين الحنيف وأتباعه، صورة تكونت عن جهل بتعاليم الإسلام وسوء فهم لمبادئه، وقد أقر بذلك قلة من كتاب أوروبا المنصفين مثل نورمان دانيال الذى قال فى كتابه "الإسلام والغرب": "إن الغرب بنى صورته عن الإسلام على سوء فهم وكوّن عنه فكرة تختلف

(١) انظر:

Bothaina A. Abou El-Maged, "Image of Islam and Muslims in the Drama of William Shakespeare and Christopher Marlowe", *Fikr wa'Ibda'*, Vol. 20, September 2003, pp.27-52.

تماماً عما يعرفه المسلمون"[١]. وأوضح إدوارد سعيد فى كتابه"الاستشراق"كيف ساهم أدب الغرب فى تكوين وتعزيز العداء للإسلام عبر التاريخ[٢].

وفى نهاية القرن السابع عشر وطوال القرن الثامن عشر نجد اهتمام الغرب بالمنطقة العربية قد زاد لأهداف توسعية استعمارية، فقد قوى الغرب وتضاءلت قوة المسلمين. ومنذ ذلك الوقت بدأت تسيطر على أوروبا المسيحية فكرة الهيمنة على باقى شعوب الأرض. وكانت حملة نابليون بونابرت على مصر عام ١٧٨٩م، كما يذكر رولين أرمور فى كتابه"الإسلام، المسيحية والغرب"، بمثابة بداية الاستعمار الغربى لبلاد المسلمين[٣].ولقد لعبت ترجمة كتاب"ألف ليلة وليلة"إلى الإنجليزية دوراً كبيراً فى جذب كتاب الغرب نحو العالم العربى المسلم مما زاد من أدب الرحلات المتعلق بتلك المنطقة. ولم يكن هذا النوع من الأدب إلا مسخاً للحضارة الإسلامية والشخصية المسلمة وتأكيدا للمفارقة العنصرية بين العربى/ المسلم والأوروبى. فقد دأب أدباء الرحلات الأوروبيون، إما بسبب جهلهم بالواقع العربى المسلم أو تحاملهم عليه أو لأهداف سياسية أو دينية، على إطلاق تعميمات معظمها كاذبة عن هذا الواقع. ومثال على ذلك كتاب"هنرى موندريل"رحلة من حلب إلى القدس"(١٧٠٣م) الذى ينعت المسلمين بالنفاق والشهوانية والعجرفة. وفى كتاب"التاريخ الطبيعى لحلب"(١٧٥٦م) يصف أسكندر راسيل المسلمين قائلاً:"إنهم يتسمون بارتكاب الآثام والإجرام، كأن هذا نتاج أصيل لمؤسستهم الدينية"[٤]. ولم تقتصر تلك الصورة السلبية للعربى المسلم على أدب الرحلات بل ظهرت فى الفروع الأخرى للأدب الإنجليزى. فقد ركز الأديب الأمريكى بيتر ماروكى فى روايته"جاسوس جزائرى فى بنسلفانيا"(١٧٨٧م) على المفارقة بين مجتمع أمريكى مسيحى متنور يراعى حقوق الإنسان وآخر عربى إسلامى

(١) Norman Daniel: "Islam and The West", P.270.

(٢) انظر: Edward Said: "Orientalism", P.60-81.

(٣) R. Armour: "Islam Christianity and the West", P.128.

(٤) انظر: S. Chew: "The Crescent and the Rose", P.109.

متخلف مستبد، وتؤدى تلك المفارقة فى النهاية إلى أن يتحول بطل الرواية "محمد" إلى المسيحية ويعمل فى مجال حقوق الإنسان فى وطنه الجديد أمريكا.

وإذا انتقلنا إلى القرن التاسع عشر نرى اهتماما واضحاً فى الأدب الإنجليزى بالإسلام والشرق خاصة فى مجال الرواية والشعر. وقد سلك أدباء تلك الفترة مسلك أسلافهم فى التحامل على الإسلام والشخصية العربية أو المسلمة، فقد وصف ولتر سكوت المسلمين فى رواية "التعويذة" (١٨٢٥م) بأنهم أمة دموية "تنحدر من سلالة الشيطان الشرير"[١]. وظهرت تلك الصورة المشوهة للمسلم فى شعر الرومانسية، فقد صور الشاعر روبرت ساذى فى قصيدته "رودريك، آخر القوطيين" (١٨١٤م) المسلمين قوماً دمويين مرتكبين لكل الآثام وقتلة لا ضمير لهم. وتحمل قصيدة الشاعر الرومانسى ب. شيلى "هيلاس" (١٨٢٢م) اعتقاداً بل رغبة فى سقوط الإسلام فيقول:

مثلما طلع قمر محمد
فهو حتما سوف يغرب
ودوماً سيبقى الصليب،
مثل قمر خالد لا يغيب،
هادياً لكل جيل[٢]. (*)

وإذا انتقلنا إلى الأدب الإنجليزى الحديث، الذى تركز عليه هذه الدراسة، نجد أدباء الغرب قد اعتمدوا فى فهمهم للإسلام والمسلمين أو العرب على نفس المفاهيم المغلوطة والأنماط القديمة التى قدمت فى العصور السالفة. ففى كتاب "رحلات فى صحراء

(١) انظر: Walter Scott: "The Talisman", PP 20-38.

ولدراسة مستفيضة لتناول ولتر سكوت للإسلام والمسلمين في تلك الرواية، انظر:

Bothaina A. Abou El-Magd: "Sir Walter Scotte's The Talisman: A Re-reading from an Islamic Perspective", *Fikr Wa 'Ibda'*, Vol.20, September 2003, P.81-113.

(٢) Bryan P. Smith: "Islam in English Literature", P.202.

(*) قامت صاحبة البحث بترجمة الشعر والنصوص الإنجليزية التى اعتمدت عليها إلى العربية.

العرب"(١٩٣٦م) للكاتب تشارلز داوتى نرى المؤلف يقول إن"دين الإسلام يميت جزءاً من الفهم الإنسانى ويصيبه بحالة من الخدر"ثم يلصق بالنبى الكريم محمد صفة الجهل البربرى والقاتل الغادر المنغمس فى حياة مزواجة[١]. ويتناول كتاب"أعمدة الحكمة السبعة"(١٩٣٥م) للرحالة ت. ى لورانس- المعروف بلقب"لورانس العرب"- ثورة العرب ضد الأتراك فى عام ١٩١٨م، و الكتاب يتدارسه الأمريكيون والبريطانيون اليوم لعلهم يجدون طريقة للتعامل مع المقاومة العراقية[٢]. والدراسة الدقيقة لهذا الكتاب تبين أكاذيب وادعاءات واهية دسها الكاتب فى طيات كتابه لتشويه صورة العرب والمسلمين[٣]، فتعصبه ضد العرب واضح فى وصفه لهم قائلاً:

"إنهم إما أسود أو أبيض، ليس فقط فى الرؤية وإنما فى داخلهم، أسود أو أبيض ليس فقط فى الوضوح ولكن فى المعارضة. أن أفكارهم تعيش بطريقة اسهل بين التطرف... فهم يتصفون بضيق الأفق وجمود العقل...لا يظهرون أى اهتمام بإبداع ولا يبدو عليهم أى هندام سواء فى العقل أو الجسد. وهم لم يخترعوا أى نظام فلسفى أو حتى أسطورى (ميثولوجيا)" [٤].

ويصف اللورد كرومر فى كتابه"مصر الحديثة"(١٩٠٨م) العرب بأنهم"تماماً مثل طرقاتهم يفتقدون التناسق، كذابون، كسالى، محل ريبة وشك، يفتقدون الوضوح ونبل الأخلاق... فهم مختلفون تماماً عن الجنس الأنجلو- ساكسونى."[٥].

وما يثير دهشة كل عربى ومسلم هو بقاء تلك الصورة النمطية المبتذلة للإسلام والمسلمين حتى سرت فى الأدب الإنجليزى المعاصر. فنجد فى كتاب"بين المؤمنين : رحلة إسلامية"(١٩٨١م) للكاتب الإنجليزى ف. س. نايبول - الذى حاز على جائزة

(١) انظر: C.M. Doughy: "Travels in Arabia Deserta", Vol.11, P.405.

(٢) انظر جريدة الأهرام القاهرية ١١/ ٣/ ٢٠٠٤م، ص٦.

(٣) لكشف تلك الادعاءات والأكاذيب انظر: Issam Mousa: "An Arab View"

(٤) Introduction to C. M. Doughty, Travels in Arabia Deserta, Vol.1, P.22.

(٥) Edward Said: "Orientalism", P.38-39

نوبل للأدب فى أعقاب أحداث سبتمبر ٢٠٠١- يسعى الكاتب لتشويه صورة الإسلام والمسلمين، فهم فى رأيه أمة ذات ثقافة قرون وسطى استيقظت فوجدت نفطاً وأموالا ولم تجلب ديانتهم للعالم سوى نظاماً سياسياً يسوده الفوضى والعنف، فهى ديانة لم تقدم إلا نبياً يقوم بتسوية كل أمر ولكنه غاب عن الوجود منذ زمن بعيد[١].

وإذا نظرنا إلى الرواية الإنجليزية فى أوائل القرن العشرين نجد تلك التى تتناول المشرق العربى الإسلامى قد خدمت فكراً سياسياً واستراتيجية استعمارية تبنتها بريطانيا تجاه الشرق فى تلك الفترة ومن ثم فقد أصبح تشويه صورة الإسلام والمسلمين جزءاً من مخطط غربى لتبرير سياسات الهيمنة والتوسع واحتلال أرض الغير ونهب ثرواتها. وركز كتاب هذا النوع من الرواية على خلق مفارقة بين الأوروبى "المتحضر "والشرقى"الهمجى" فجاءت تؤكد الصراع بين الحضارات والصدام بين الشعوب والأجناس. ومن الروايات التى تمثل هذا الاتجاه رواية"كيم"(١٩٠١م) للكاتب روديارد كبلنج و"مرور إلى الهند"(١٩٢٤م) للكاتب ى.م. فورستر، و"منبوذ فى الجزر"(١٨٨٨م) و"لورد جيم"(١٩٠٠م) للكاتب جوزيف كونراد وكلها تؤكد الفارق الحضارى بين الأوروبى والشرقى.

ومن ثم فقد ظهر العربى أو المسلم فى هذه الروايات إما عبداً تابعاً لسيده الأوروبى أو خارجاً عن القانون أو وغداً مجرماً شريراً، وظهر الأوروبى متحضراً ينظر باستعلاء إلى أهل الأرض التى يحتلها، وعلى ذلك فالعلاقة بينهما علاقة بين المحتل وصاحب الأرض، بين سيد وعبد، بين حاكم ومحكوم، بين الأرفع مقاماً والوضيع، بين المتحضر والهمجى الوحشى، بين الأوروبى والشرقى!! ويلخص كونراد نظرة الأوروبى للعربى والمسلم فى رواياته بأن العرب كلهم جبناء، كذابون... والمسلمون وثنيون... متوحشون[٢].

(١) V.S. Naipaul, "Among the Believers: An Islamic Journey", P.80, 355.

(٢) انظر: J. Conrad: "Almyer's Folly", P. 37, 60. And "An Outcast of The Islands", P.128

وقد أكد فورستر فى روايته "مرور إلى الهند" التباعد الفكرى والحضارى بين الشرق والغرب، فنرى فى نهاية الرواية فشل المحاولة التى قام بها "عزيز" الهندى المسلم للتصالح مع "فيلدينج" البريطانى.. فقد "رفضت الأرض والسماء ذلك، فثارت الأولى مخرجة صخورها مرغمة السائرين أن يسلك كل منهما طريقاً منفرداً وصاحت الثانية: لا لا. ليس هناك[1]". وهذا ما أكده كبلنج صراحة فى قصيدة "أغنية الشرق والغرب" (١٨٩٠م) التى تتجلى فيها عنصرية الجنس والثقافة والدين حيث يقول فى مطلعها ونهايتها:

الشرق هو الشرق، والغرب هو الغرب وأبداً لن يلتقى الاثنان

حتى تقف الأرض والسماء أمام الرب يوم الحساب[2].

وقد صورت تلك الروايات الشرق متخلفاً يحتاج لحضارة الأوروبى، وأكدت ضرورة التدخل الأوروبى، وبررت هذا التدخل على أن الهدف تنويرى.. لجلب الحضارة والحرية إلى تلك الأماكن المتخلفة!! وهذا ما دفع كبلنج أن يختلق عبارة "عبء الرجل الأبيض"، أى مسئوليته التنويرية تجاه الشرق، وقد جعل من هذه العبارة عنواناً وموضوعاً لقصيدة كتبها عام ١٨٩٩م يحث فيها الرجل الأبيض على المضى قدماً فى حمل هذا العبء. فيقول:

إمض أيها الرجل الأبيض فى حمل هذا العبء

فى حروب وحشية لتحقيق السلام

أشبع هؤلاء الجوعى

واقض على هذا المرض،

وعندما توشك على إنهاء هدفك

الذى هو بمثابة إنهاء للآخرين

(١) E.M. Forster: "A Passage to India", P.317

(٢) R. Kipling: "Kipling's Verse", P.233.

قف وراقب هؤلاء الكسالى

وهم يدمرون بحماقتهم الوثنية كل أمل لديك[١].

فالشرق فى نظر كبلنج مكان مريض وثنى متخلف، يحتاج إلى "الرجل الأبيض" ليجلب له السلام والحضارة والتنوير ولو أدى ذلك إلى "حروب وحشية." وجدير بالملاحظة أن كبلنج - تماماً مثل قيادات واشنطن ولندن الحالية - يعتقد أو يحاول إيهام الآخرين أن الرجل الأبيض يضحى بحياته من أجل تحقيق الحرية والتقدم للآخرين !!

وفى قصيدة أخرى بعنوان "أنشودة الرجل الأبيض" (١٨٩٩م) يرحب كبلنج بسياسة بريطانيا الاستعمارية لحكم الشرق، وقد ظهرت بوضوح النوايا العنصرية لإخضاع تلك الشعوب حين يقول:

الآن.. هذا كأس شراب الرجل الأبيض

حين يرحل ليعيد الأمور إلى صوابها

وهذا كأس ذلك العالم القديم

وحشى وقوى فى كراهيته[٢].

فالهدف من غزو تلك الشعوب تنويرى، كما يحاول الشاعر أن يؤكد، فقد ضحى الرجل الأبيض ورحل عن وطنه "ليعيد الأمور إلى صوابها" ! والمتأمل فى تلك المعانى يرى أن فكرة كبلنج "عبء الرجل الأبيض" ما هى إلا نفس الفكرة التى يطبقها الغرب الآن تجاه العالم العربى والإسلامى، وما الغزو الأنجلو أمريكى لأفغانستان والعراق وغيره من الممارسات والسياسيات تجاه هذا العالم إلا دليل على ذلك، فطالما تشدق قادة الائتلاف أنهم غزوا العراق بهدف تحقيق الحرية للشعب العراقى. ويمكننا فى هذا السياق أن نذكر كلمات جاءت ضمن تعليق الرئيس بوش على المواجهات المتصاعدة

(١) المرجع السابق، ص٣٢٢ .

(٢) المرجع السابق، ص ٢٨٠ .

في مختلف إنحاء العراق بين قوات الاحتلال والمقاومة العراقية فيقول: "من المهم أن يكون هناك عراق حر، حتى يتحقق السلام في العالم، والتحديات التي تواجهها القوات الأمريكية في العراق، سببها أن أناساً يكرهون الحرية."(١) فهل بعد احتلالهم لبلد ضد الإرادة الدولية والشرعية وحصادهم للأرواح دون أدنى إحساس بأن هؤلاء بشر يستطيع أن يصدق عاقل ما تدعيه أمريكا وحليفها اللصيق - أنها أتت من أجل أن تنشر الحرية؟ إنها في الواقع "فظائع وعذابات يتعرض لها ناس بسطاء شاء حظهم العاثر أنهم يعيشون فوق ثروة استراتيجية يحتاجها الحلم الإمبراطوري الأمريكي للسيطرة على العالم."(٢)، وهكذا يعيد التاريخ الاستعماري نفسه، وتحت نفس الشعار الكاذب، شعار نشر الحرية والحضارة.

وفي اتجاه آخر للرواية الإنجليزية الحديثة يركز على العرب والنفط فقد جسدت رواية "على الحافة" (١٩٧٧م) للكاتبين الأمريكيين روبرت وبنجامين شتاين تلك الأطماع الاستعمارية في المنطقة العربية الإسلامية وصورت العرب أعداء غير جديرين بثقة الغرب ودول النفط العربية مخادعة لا تعير اهتماماً لمصلحة العالم، فهم يتوحدون فقط في اتخاذ قرارات تضر بمصالح الغرب. ونرى مندوب الأوبك لدولة عربية وقد شغل نفسه بالانتقام من الغرب لأسباب شخصية تافهة. وتنتهي الرواية بانطباع خطير وهو ضرورة إخضاع الدول العربية الغنية بالنفط لسيطرة الغرب(٣) ! وهو انطباع حوله الغرب الآن إلى استراتيجية عسكرية وسياسية يتعامل بها مع الدول العربية والإسلامية.

وفي رواية "الواحة الهالكة" (١٩٦٠م) للكاتب البريطاني هاموند اينس يتناول

(١) انظر: صحيفة الأهرام القاهرة ١٠/ ٤/ ٢٠٠٤، ص٨.

(٢) انظر: مقال عماد غنيم في صحيفة الأهرام القاهرية ٤/ ٥/ ٢٠٠٤م، ص١٠.

(٣) انظر:

Bdmund Ghareeb (ed.) "Split Division: The Porttrait of Arabs in the American Media", PP.123-24.

الكاتب النفط والسياسة فى الجزيرة العربية، ويشبه بطل الرواية "لورانس العرب" فهو ضابط بريطانى عاش بين العرب ولكنه يصب كل اهتمامه على النفط فى إحدى مناطق الربع الخالى للجزيرة. ويركز الكاتب على أن الدخيل الغربى الذى جاء للتنقيب عن النفط إنما جاء لمصلحة الدولة العربية وأنه يسعى لإنقاذ تلك المنطقة من الهلاك، فهى صحراء جرداء لا عشب فيها ولا ماء. ونرى فى الرواية الأجانب الباحثون عن النفط يسخرون من المسلمين لارتباطهم الأسرى ويسعون إلى إشعال الفتنة بين تلك الأسر ثم يدعون إلى تدخل عسكرى بريطانى لحل النزاع!![1] صورة مصغرة لاحتيال أكبر ونهج سلكه الغرب للوقيعة بين العرب أو المسلمين ثم التدخل العسكرى بحجة حل النزاع، وهو فى حقيقة الأمر تدخل يضمر نوايا الاحتلال ونهب الثروات.

وتتناول رواية "الجمعة السعيدة" (١٩٨٧م) للكاتب الأمريكى روبرت لورانس هولت حربا بين العراق وإيران استمرت اثنتى عشرة سنة وانتهت بهزيمة العراق وحشد إيران قواتا كبيرة على حدود السعودية والكويت لمهاجمة البلدين. وتتسع دائرة الصراع خلال أسبوع واحد عندما تقوم الولايات المتحدة الأمريكية بغزو السعودية تحت راية مسيحية تسمى "الجمعة السعيدة" وهى فى المسيحية الجمعة السابقة لعيد الفصح. وتتسع أيضاً دائرة الحرب لتشمل كل دول الخليج. وتعمق الرواية الإحساس بالكراهية بين العرب / المسلمين بعضهم وبعض وبينهم وبين الغرب الذى يغزو بلادهم ويشعل نار الفتنة والصراع فيها، وكأن الكاتب يكشف عن مخطط لغزو دول النفط العربية فضلاً عن النية المبيتة لاستهداف مقدسات المسلمين التى صورها صراحة الكاتب الأمريكى أ.ج. كوينيل فى روايته "المهدى" (١٩٨٢م) حيث تخطط المخابرات الأمريكية للهجوم على الكعبة المشرفة[2]!

وتمثل رواية "صلاح الدين" (١٩٧٦م) للكاتب الأمريكى أندرو أوزموند إتجاها آخر

(١) انظر على شبكة الإنترنت موقع: Hammond Innes, "The Doomed Oasis".

(٢) انظر مواقع: Robert L. Holt, "The Good Friday"; A.J. Quinnell, "The Mahdi".

فى الرواية الحديثة ظهر فى النصف الثانى من القرن العشرين يتناول الصراع العربى الإسرائيلى. ودأب كتاب هذا النوع من الرواية على تحقير العرب وتصويرهم على أنهم إرهابيون أشرار فى حين تصوير الإسرائيليين أبطالاً نبلاء. وعلى ذلك تؤكد "صلاح الدين" سمو الإسرائيليين على العرب فيقول اليهودى فى الرواية: "إن السبب وراء تأييد المسيحيين لليهود يرجع إلى أن اليهود أقرب إلى المسيحيين من حيث النوع كبشر بخلاف العرب الذين ينتمون إلى نفس الإسطبل الذى منه عاد وثمود وكل تلك العصابة الإجرامية[1]". وتحمل الرواية رغبة فى تدمير العرب تظهر بصفة خاصة عندما يقول الراوى: "إن إسرائيل ما زالت قليلة من حيث عدد السكان، أما العرب فهم ينتشرون من العراق حتى المغرب"، ويعقب هذه الجملة مباشرة قراءة كاهن فى الرواية لحديث ورد لموسى فى التوراة يقول فيه: "لا تخشاهم، فإن ربك معك، وهو رب عظيم جبار، سوف يدفع بهذه الشعوب أمامك تدريجياً. سوف يخضع ملوكهم لك وسوف تبيد أسماؤهم من على الأرض[2]". ثم يعلق الراوى بعد ذلك مباشرة قائلاً: "وقد زال على الأقل هؤلاء الفلسطينيون من الخريطة، لقد صدق هذا الرب الجبار وعده."[3].

فالصراع بين العرب والإسرائيليين كما تصوره رواية "صلاح الدين" صراع بين الشر (العرب) والخير (الإسرائيليين) فقد وظف الفلسطينى صلاح الدين ضابطاً بريطانياً اسمه مارسون ليقود عملية تخريبية داخل إسرائيل، ويبرر الأخير مساندته للفلسطينيين بأنه "يحب فقط أن يحمى الضعفاء من المخلوقات، تلك الطبقة التى تشمل النساء والكلاب والخدم والآن الفلسطينيين." وتنتهى الرواية بتخلى بطلها عن مهمته بل يغير من خطته كى يجهض تلك المهمة. وقد تحيز الكاتب تمامًا للإسرائيليين ولم يذكر أبداً أن الصراع بينهم وبين العرب إنما هو صراع بين أصحاب الأرض ومحتل غاصب.

وإذا انتقلنا إلى المسرح الأمريكى نجد بعضاً من الكتاب يناهضون سياسة أمريكا

(١) انظر: Andrew Osmond: "Saladin", P.66

(٢) المرجع السابق، ص٦٦-٦٧.

(٣) المرجع السابق، ص ٦٧.

الاستعمارية. من أبرز هؤلاء الكتاب أرثر كوبيت الذى تمثل مسرحيته "هنود" (١٩٦٩م) صرخة غاضبة تدين المعاملة الوحشية التى لاقاها سكان أمريكا الأصليين على يد الدخيل الأبيض وتربط بين ما حدث مع الهنود الحمر وما حدث فى فيتنام. وعلى الرغم من أن المسرحية لم تتناول العرب أو المسلمين، وأنها كتبت منذ حوالى ستة وثلاثين عاماً إلا أنها فى حد ذاتها تكاد تكون أعمق من كل الدراسات النظرية عن السياسة الأمريكية تجاه الآخر سواء فى الماضى أو الحاضر، فهى فى مجملها تحمل رسالة إدانة إلى كل من تسول له نفسه سلب أرض أو تحقير وتدمير حياة وحضارة الآخر، كما أنها تكشف زيف الشعارات التى يرفعها المسئولون الأمريكيون لتبرير الغزو والإحتلال. وقد دفعنى هذا التشابه الكبير بين ما تصوره المسرحية وما يرتكبه الأمريكيون من فظائع فى العراق أن أتناولها ببعض الإسهاب.

يحكى أرثر كوبيت فى حوار له مع الناقد المسرحى جون لار[١] كيف جاءته فكرة مسرحية "هنود" فيقول أنه فى مارس ١٩٦٦ بينما كان يستمع لسيمفونية يصطدم فيها الإيقاع الهادئ بإيقاع مارش عسكرى وهو يقرأ تصريحاً للجنرال وليام ويستمورلاند قائد القوات الأمريكية فى فيتنام يعبر فيه عن أسفه لمذبحة ارتكبتها قواته ضد مدنيين قائلاً: "لقد قتل أناس كثيرون، هذه هى الحرب، إن قلوبنا قد انخلعت لما حدث لهؤلاء الضحايا الأبرياء، لكن الحرب ليست لعبة. إنها صعبة وتتطلب قرارات صعبة، وعلى المدى البعيد اعتقد أن ما حدث سوف تكون له تبريراته"، حينئذ استطرد كوبيت مخاطباً نفسه: "لا ! إن قلوبكم لم تنخلع لما حدث لهؤلاء الضحايا الأبرياء، لأن هناك خطأ ما". فى نفس الوقت قفزت إلى مخيلة كوبيت فكرة الهنود الحمر والرجل الأبيض وفكر فى كتابة مسرحية - كما يقول - "تتناول ما يحدث عندما تفرض قوة اجتماعية وسياسية إرادتها على إرادة قوة أدنى منها وتختلق ما يبرر ذلك، تماماً كما فعلنا مع الهنود الحمر،

(١) نظر هذا الحوار بأكمله فى صفحات متتابعة غير مرقمة داخل المسرحية ذاتها، انظر طبعة:
Arthur Kopit: "Indians", New York, Batam, 1971.

وكما حاولنا أن نفعل مع الفيتناميين، لقد فرضنا إرادتنا عليهم ثم بررنا ذلك أخلاقيا عندما أضفينا على فعلتنا هذه صبغة إلهية زاعمين أن ما نفعله أخلاقى ويخدم المصلحة العامة، وقد بدا لى أنه من الممكن أن يفهم الشر على أنه خير.وبدأ كوبيت بالفعل كتابة مسرحية"هنود".

والمسرحية ليست وثائقية أو تاريخية إنما يريد الكاتب من خلالها أن يعقد موازنة بين الماضى والحاضر الأمريكى. وعلى ذلك فهى تصور الدوافع المتناقضة فى سياسة أمريكا تجاه الهنود الحمر، فهى تدعى السعى لمساعدتهم وتعمل فى نفس الوقت على إبادتهم . وهنا يكمن التشابه بين ما فعله الأمريكيون مع الهنود الحمر وما حدث فى فيتنام . وقد كتبت المسرحية وقت الحرب على فيتنام فأراد بها كوبيت كما يقول فى حواره"أن يفضح التورط الماجن لأمريكا فى فيتنام". فهى تصور معاناة الهنود الحمر ومدى الدمار الذى أصاب حياتهم، وأراد أيضاً أن يعقد موازنة بين ما حدث فى الماضى وما يحدث فى الحاضر وأن يتحدى تلك الفوضى من التصريحات المغايرة للحقيقة والتبريرات الواهية للحرب على فيتنام، فيقول كوبيت"إن القول أننا نقاتل من أجل حرية الفيتناميين هو فى حد ذاته أمر مضحك . فعندما تفرض حكومة نفسها على بلد آخر فإن ذلك يعد قمعاً للحرية. لذا فإن هناك تطابقاً ملحوظاً بين الموقف فى فيتنام والموقف مع الهنود".

وتصور المسرحية فى إطار درامى حرب الإبادة التى قام بها الأمريكيون ضد الهنود الحمر، كيف أبادوا ماشيتهم مصدر غذائهم ولباسهم ليموتوا جوعاً وبرداً، كيف اعتبروهم عدواً يجب القضاء عليه، فنقلوا إليهم عمداً أمراضاً فتاكة لم يعرفوها فى أغطية ومياه ملوثة ولم يقدموا لهم الدواء، كيف علموهم شرب الخمر ليثملوا ويصبح الكسل صفتهم، كيف خدعوهم حين قاموا بترجمة المعاهدات معهم بطريقة خاطئة حتى يفقد الهنود القدر الأكبر من الأرض، وكيف كانت توقع تلك المعاهدات بعد أن يقدم لهم الأمريكيون الخمر كشراب فيوقع الهنود على ما فيه صالح الطرف الآخر غير مدركين ما يفعلون، ثم كيف أبادوهم بلا إنسانية فى أول مذابح جماعية عرفتها البشرية.

وفى المشهد الأخير من المسرحية يظهر القائد العسكرى الذى ذبح الهنود فى مقابلة مع الصحافة، وكأنه مؤتمر صحفى اعتدنا أن نراه اليوم بعد كل "انتصار" أمريكى، وفى إشارة واضحة إلى ما يحدث فى فيتنام من تدمير، يقول الضابط أنه تم إبادة كل القبيلة. ثم يسأله الصحفى: "لقد خسرنا تسعة وعشرون من رجالنا فكم قتلتم من الهنود؟" ويجيب الكولونيل الأمريكى: "لقد أبدناهم، ولم نستطع حصر عدد القتلى فقد سقط الجليد وغطى جثثهم." ورداً على سؤال: "لقد أشار بعض الناس إلى انتصاركم هذا على أنه مذبحة، فما شعوركم تجاه هذا؟" ويرد الكولونيل: "هناك دائماً أناس يصفون النصر العظيم على أنه مذبحة، فهم يفضلون أن يسقط منا الكثيرون قتلى حتى لا تكون مذبحة". ثم يسأله صحفى آخر: "ألا تعتقد أن الخطوة التى أقدمتم عليها كانت صعبة؟" وهنا يضع كوبيت نفس تصريح الجنرال وليام ويستمورلاند عن مذبحة فيتنام على لسان القائد العسكرى لتلك المذبحة، ثم يحاول القائد تبرير ما يحدث قائلاً: "إذا تقاعسنا فى أداء هذا الواجب فقد تستمر المصادمات سنيناً مما يكلف بلدنا الملايين فضلاً عن الخسائر فى الأرواح". وأخيراً يسأله الصحفى: "هل تعتقد أن الحرب مع الهنود قد انتهت؟"، يرد الكولونيل: "إنها أخيراً انتهت وسوف نبدأ تلك المهمة الصعبة وهى إعادة البناء!!" وكأن المسرحية سيناريو يصور "فيتنام بوش" ومذابح شارون التى ترتكب تحت حماية أمريكية. وتنتهى المسرحية بمقولة ذات مغزى لأحد الهنود وهى "إنه من السهل دفن الموتى ولكن ليس من السهل التخلص منهم!."[1]، فما يرتكب من فظائع فى حق الشعوب لا ينساه التاريخ ولا تغفله تلك الشعوب بل يولد صداما وأحقاداً تباعد بين الأجناس والحضارات.

وجدير بالملاحظة تلك التبريرات التى جاءت على لسان أحد المسئولين عن إبادة الهنود فى المسرحية فيقول: "لم يعرف محبوا الخير كم تكبدنا من مشاق وخسائر فى الأرواح فى محاولة التعامل بالعدل مع الهنود، وكم تحملنا من ممارسات بشعة لهؤلاء

(١) المرجع السابق، ص٩٩-١٠٢.

المتوحشين."[1]، فهى تبريرات واهية جاءت من الواقع، فالهنود فى حقيقة الأمر لم يكونوا أبداً كذلك، كما يقول جون لار نقلا عن جورج كاتلين الذى عاش بينهم ثمانى سنوات، فهم "لم يدخلوا فى معركة مع الرجل الأبيض إلا إذا بدأ هو بمهاجمتهم". ويفسر كوبيت تلك التبريرات قائلاً: "أن مشكلة أمريكا الحقيقة تكمن فى تلك المحاولة المستمرة لتجميل تاريخنا، ومحاولة خلق أسطورة نستطيع من خلالها أن نحول الواقع الوقح إلى وسيلة شرعية لإدراك الآمال والأحلام، فنحن نختلق لأنفسنا تاريخاً لنبرر العنف وعدم الالتزام بالشرعية ..أن مشكلة فيتنام ما هى إلا أعراض لشىء امتدت جذوره فى الماضى الأمريكى.. إنه التضليل. فأنا لا أتصور أن يسمح الأمريكيون للهنود بامتلاك مساحات كبيرة من هذه الأرض فيها ذهب ونفط.. وما أثارنى هو تلك التبريرات لما كان يحدث على أنه كبرياء قومى ومصلحة للجميع، فلم يكن مقبولاً أن يقولوا صراحة أنه يوجد ذهب ونفط فى هذه الأرض، لذا نحن فى حاجة إليها، فلنأخذها لأننا الأقوى!"

ويقول كوبيت فى حواره مع جون لار معلقاً على التشابه الذى يراه بين الموقف الأمريكى تجاه الهنود وذاك فى فيتنام: "كان الرجل الأبيض فى الأساس يتعامل مع ثقافة غريبة عليه تماماً. وهذا ما أثر فى نفسى وجعلنى أرى تشابهاً مع ما يحدث فى فيتنام. فنحن نرسل جنودنا لفيتنام وهم لا يعرفون شيئاً عن هؤلاء الناس، فهم يعتبرون قتل الفيتناميين شيئاً سهلاً لأنهم فى نظرهم دون البشر.. فهم ليسوا منا. لقد كان من الصعب على الرجل الأبيض أن يعتبر الهندى إنساناً مثله. وهذا متطابق مع فيتنام. إنه عدم استيعابنا لموقف الشرقى تجاه الموت، تجاه الحياة، تجاه الدين، وعدم الأخذ فى الاعتبار كم ظل الفيت كونج (المقاومة الفيتنامية) يقاتل وكم يساوى النضال بالنسبة لشعب". ويعلق كوبيت على نقل الرجل البيض أمراضاً فى أغطية ملوثة ليموت الهنود قائلاً: "نستطيع أن نقارن بين ذاك وبين استخدام الأسلحة

(١) المرجع السابق، ص١٠٨ .

الكيماوية فى فيتنام وما نصنعه الآن فى مجال الأسلحة البيولوجية والجرثومية، لم نكن فى حربنا مع الهنود قد صنعنا بعد أسلحة جرثومية، ولكن عندما اكتشفناها عرفنا ماذا نفعل بها!!"وهنا يقول جون لار:"فنحن نقاتل فى حروب خارج بلدنا لنثبت كرامتنا وعظمتنا كأمة. ولكن الإثم والمجون قد ظل معنا داخل أرضنا."ويرد كوبيت:"هذا صحيح. وهذا ما تصوره مسرحية"هنود".

هذا ما قاله وصوره كوبيت، هذا الأديب الحساس الذى نظر فيما تمارسه بلده من فظائع فى حق الشعوب، وتأمل الصور فى الصحف وعلى الشاشة، وامتلأ بالإحساس برعب الحرب والدمار، وتابع بجاحة الكذب وتزييف الحقائق وغياب الضمير والتجريد من الوطن والتعصب والعنصرية والغدر والتعذيب، فقد نشر فى مسرحيته صورا لتعذيب الأسرى فى فيتنام وأخرى للهنود الحمر تماثل تماماً ما نراه اليوم فى سجون العراق وغيرها. وأخيراً علينا أن ندرك كما أدرك كوبيت إنه من المستحيل على مرتكب تلك الفظائع فى حق البشر أن تكون رسالته الحقيقية نشر الحرية والديمقراطية. وأترك للقارئ الواعى أن يستفيض فى الموازنة بين ماض أمريكى صوره كوبيت كانت فيه فيتنام هنود الستينيات من القرن الماضى وحاضر أمريكى أصبح فيه العرب والمسلمون هنود هذا العصر.

وما حدث مع الهنود الحمر حدث أيضاً مع العبيد السود الذين انتزعوا من أرضهم فى أفريقيا وسخروا لخدمة المستوطنين البيض وبناء أمريكا الجديدة .. فكما يقول أرثر كوبيت فى الحوار السابق ذكره مع الناقد جون لار"لقد ضاعت هويتهم ولغتهم وقوتهم وحاولوا فيما بعد البحث عن الذات والهوية كرد فعل لسياسة الرجل الأبيض."ومن أبرز الأدباء السود الذين عبروا عن محنة الإنسان الأسود فى أمريكا الشاعر الأمريكى لانجستون هيوز (١٩٠٢-١٩٦٧م). ولأنه عاش التمييز العنصرى فى أمريكا فقد كرس حياته مدافعاً عن حقوق الإنسان وظل يحلم بالحرية. يستعرض هيوز فى قصيدة:

"ولتكن أميركا من جديد" تاريخ الإنسان الأبيض على الوطن الحلم منذ وطأت أقدامه ثراه فكانت إبادته لمواطنيه الأصليين ثم استعباده لمن جلبهم سوداً من أفريقيا للعمل سخرة فى الأرض والبيت والمصنع مقابل لقيمات يعز منالها فى معظم الأحيان . وقد عبر هيوز أيضاً فى هذه القصيدة عن محنة الفقير الأبيض الذى خدع فى الوطن الجديد وتبددت أحلامه على أرض لم يجد فيها غير الجشع وطغيان المادة، وقد رأيت أن أنقل القصيدة بكاملها فهى خير دليل على زيف شعار الحرية الذى ترفعه أمريكا وتنصب نفسها اليوم حارساً عليه، والقصيدة تقول:

ولتكن أميركا من جديد
لتكن الحلم الذى اعتدناه
لتكن من أتى هذا السهل
ينشد بيتاً يكون فيه حرا.

(أميركا لم تكن أبداً أميركا بالنسبة لى)

لتكن أميركا حلم الحالمين
لتكن أرض الحب العظيمة القوية
فهى لم تكن أبداً سكناً لملوك يتآمرون أو طغاة يكيدون
يسحق الأعلون فيها الأسفلين.

(أميركا لم تكن أبداً أميركا بالنسبة لى)

آه، لتكن أرضى مكانا
تتوج فيه الحرية بإكليل وطنى غير زائف
فالفرصة حقيقية، والحياة حرية،
والمساواة فى الهواء الذى نتنفسه.

(لم توجد أبداً مساواة بالنسبة لى)
ولا حرية فى هذا الوطن.. "وطن الأحرار".

تكلم تكلم! من أنت الذى يتمتم فى الظلام؟
ومن أنت الذى يسدل الستار على النجوم؟

أنا الفقير الأبيض، خُدِعت وتحطمت،
أنا الزنجى أحمل ندب العبودية
أنا الرجل الأحمر الذى طُرد من الأرض،
أنا المهاجر محتضن الأمل المنشود -
لم أجد إلا ذات الخطة القديمة الغبية
خطة أكل الكلب للكلب، وسحق القوى للضعيف.

أنا الشاب المليء بالقوة والأمل،
كبلنى ذلك القيد القديم المتصل
قيد الربح والقوة والكسب واغتصاب الأرض!
واغتصاب الذهب! واغتصاب ما يشبع النهم!
تسخير البشر! قبض المال!
وامتلاك كل شئ إرضاءً للجشع!

أنا المزارع، رقيق الأرض.
أنا العامل الذى بيع للآلة.
أنا الزنجى، الخادم لكم جميعاً.
أنا الناس، وضيع، جائع، حقير -

جائع حتى اليوم رغم الحلم.
أضرب حتى اليوم - آه، يا أول من أتوا هنا!
أنا الرجل الذى لم يتقدم إلى الأمام أبداً
أفقر عامل يُقايَض به عبر السنين.

لكنى أنا الذى حلمت حلمنا الأساسى
فى ذاك العالم القديم عندما كنت خادماً للملوك،
الذى حلم حلماً قوياً، شجاعاً وصادقاً
حتى انصبت أغانيه القوية الجريئة
فى كل طوبة وحجر، وفى كل برية.
الذى صنع من أميركا الأرض التى صارت.
آه، أنا الرجل الذى أبحر منذ باكر الزمن
بحثا عما أقصده وطنا -
أنا الذى غادرت شاطئ أيرلندا الداكن،
وسهل بولندا، ومروج إنجلترا المخضرة،
ومن شواطئ أفريقيا السوداء أتيت
لكى أبنى "وطناً للأحرار".

الأحرار؟

من قال الأحرار؟ لست أنا؟
مؤكد لست أنا؟
الملايين فى راحة اليوم؟

الملايين ماتت بطلقات رصاص فى إضراب؟
الملايين التى لم تتقاض أجراً؟
رغم كل الأحلام التى حلمناها
وكل الأغانى التى غنيناها
وكل الآمال التى عشناها
وكل الرايات التى رفعناها،
فالملايين لم تتقاض أجراً -
غير الحلم الذى أصبح اليوم ميتاً.

آه، لتكن أميركا من جديد -
الأرض التى لما تكن بعد ولكن -
ولكن يجب أن تكون - أرضاً عليها كل إنسان حر.
الأرض التى هى أرضى - أرض الرجل الفقير،
ارض الهندى، أرض الزنجى - أنا
الذى صنع أميركا،
الذى بعرقه ودمه، بإيمانه وألمه،
بيده فى المسبك، بمحراثه فى المطر،
يجب أن يعيد حلمنا القوى مرة ثانية.

لا ريب، سمنى أى إسم قبيح تختاره -
فصُلب الحرية لا يصدأ أبداً.
مِن الذى يعيشون مثل الطفيل على حياة البشر،
يجب أن نسترد أرضاً مرة ثانية،

أميركا !

آه، نعم
أقولها بوضوح،
أميركا لم تكن أبدا أميركا بالنسبة لى،
ولكنى أقسم
أميركا سوف تكون !

من حطام موتنا على يد عصابة مجرمين،
من الإغتصاب وعفن الابتزاز، من السرقة والأكاذيب
نحن، الناس، يجب أن نسترد
الأرض، المناجم، النبات، الأنهار،
الجبال والأرض الشاسعة -
كل شئ، كل هذه الولايات الممتدة اليانعة -
ونصنع أميركا من جديد! (١)

والحرية فى أمريكا، كما يصفها هيوز هى حلم قد تأجل حتى أصابه العفن فيقول فى قصيدة "حلم تأجل":

ماذا حدث لحلم قد تأجل؟
هل جف
مثل كرم تحت الشمس؟
أم تقيح مثل جرح احتقن -
ثم اختفى؟

(١) انظر: Langston Hughes: "The Collected Poems of Langston Hughes", P.189-191.

هل أصبح نتنا مثل لحم أصابه العفن؟
أم أنه قشرة يكسوها سكر
تذوب مثل حلو قد شُرب؟
ربما أصابه الوهن
مثل حِمل مثقل
أو إنه انفجر؟(١)

وقد غلب على شعر هيوز إحساس بالمرارة فى وطن افتقد فيه الحرية وظل يحلم أن يكون ضياؤها للناس جميعاً دون أن ينتقص من هذا الحق ثمة مغايرة فى جنس أو لون أو عقيدة. وكلما قرأنا شعر هيوز ازددنا تأكيداً أن فاقد الشيء لا يعطيه، فأمريكا مازالت تمارس التمييز العنصرى خاصة مع المسلمين والعرب أو من هم أصولهم عربية، وفوق كل ذلك فهى مازالت تفتقد المصداقية التى هى جوهر الحرية.

وأخيراً يتعين القول أنه من خلال دراسة لبعض أعمال من الأدب الإنجليزى والأمريكى يتبين أن كتاب الغرب قد سعوا إلى خلق صورة قبيحة للشرق وكل ما هو عربى مسلم بقصد إقناع العالم أن شعوب هذه المنطقة تعوزها الحضارة والحرية ومن ثم على هذه الشعوب أن تقبل كل ما يصدر عن الغرب شاكرين له حسن صنيعه. والحقيقة أن كتاب الغرب وساسته قد جهلوا أو تجاهلوا فضل الشرق والعالم العربى على ما ينعم به الغرب الآن من حضارة، إن صح وصفها كذلك .. فحضارة الأمم لا تقاس بعدد القتلى والأسرى والمعذبين من الأمم الأخرى إنما بمقدار ما ساهمت به فى إرساء القيم الإنسانية ونهضة العلوم بما يتفق وتلك القيم. فقد استفاد الغرب من علوم الشرق وطورها، واستعمر شعوبه ودمرها، ونهب ثرواته لتقوم عليها صناعاته. لقد تكشف لنا زيف ادعاء الغرب بأنه يسعى لزرع الحضارة أو نشر الحرية فى البلاد التى يستعمرها، فنحن نعلم تماماً كيف تركوا هذه البلاد بائسة، وأمام أعيننا الآن ما آل إليه الحال فى

(١) المرجع السابق، ص٢٤٦.

العراق تحت استعمار جديد لا يعلم إلا الله نهاية هذا النفق المظلم الذى أُدخل فيه تحت ذريعة نشر الحرية والديمقراطية.

وبالتالى فإنه على كل مؤسسات الدولة بالتعاون مع الدول العربية والإسلامية أن تتكاتف فى سبيل دراسة أدب الغرب والأدب الإنجليزى بصفة خاصة سواء فى لغته الأصلية أو عن طريق ترجمته وتحليله حتى يتكشف ما يضمره من ادعاءات زائفة ونوايا خبيثة. ويأتى دور الجامعات وأقسام اللغات الأوروبية بها فى تيسير تلك المهمة سواء فى الترجمة أو فى تحديث وانتقاء مناهجها بما يتفق وقضايا العصر ويساعد على فهم الآخر واستقراء نواياه، ومن ثم الاستعداد بالتخطيط الجيد المدروس لمواجهة الأخطار التى تهدد العالم العربى والإسلامى.

القسم الثانى
المقـــالات

مدخل إلى فقه الأقليات

د/ طه جابر العلواني(*)

مفهوم "فقه الأقليات" لم يأت من فراغ وليس مجرد ذكاء فردي من باحث أو كاتب، بل هو فكرة وقضية تمثل حصيلة عشرات اللقاءات والحوارات والمناقشات المستفيضة حول أسئلة لم تعرفها البيئات المسلمة التي ارتحل المسلمون المقيمون في الغرب عنها إلى هذه البيئات الغريبة في أمريكا وأوربا.

لقد كان الجيل الأول من المسلمين القادمين إلى هذه الديار قد شغل بقضيتين أعطاهما من الحجم ما كان ملائماً لهموم واهتمامات أولئك المسلمين الذين يمثلون بقايا "العالمية الإسلامية الأولى" كما يقول أخونا أبو القاسم أو بقايا المسلمين في دائرة انتشار "الإسلام الأولى" بين الأميين الذين لم يأت إليهم قبل رسول الله محمد ﷺ من نبي ولا رسول، تلك القضيتان هما "الحلال" و"الهلال". والحلال يراد به اللحم الحلال، وهل للمسلم أن يطعم لحوم أهل الكتاب فيسمي ويأكل أو لا بد من أن يذبح بنفسه فلا يأكل إلا ما ذبحه مسلمون بوسائلهم وبأساليبهم وشروطهم. أما قضية الهلال فتتعلق بثبوت دخول شهر رمضان وخروجه وتحديد يومي الفطر والأضحى، وهل يجب على المسلمين أن لا يصوموا ولا يفطروا حتى يرى نفر منهم -واحداً أو أكثر- الهلال بالعين المجردة، أو يمكن الأخذ بالحساب الفلكي أو متابعة البلدان المسلمة؟

تلكما القضيتان كانتا الشغل الشاغل للمسلمين حين يأوون إلى مساجدهم ويجالسون فقهائهم منذ أن لم يكن في أمريكا كلها أكثر من عدة مساجد لا تتجاوز أصابع الكف الواحدة حتى صار فيها - بفضل الله - تعالى - ما يزيد عن ألفين وثلاثمائة مسجد ومركز، وما يقرب من خمسمائة مدرسة إسلامية.

أما الآن فهناك أجيال طالعة مسلمة في الغرب تختلف اهتماماتها اختلافاً كبيراً عن اهتمامات آبائهم وأجدادهم ولها هموم وأسئلة وإشكالات مغايرة إنهم أبناء "العالمية

(*) رئيس جامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية بالولايات المتحدة الأمريكية.

الإسلامية الثانية"التى يتجه الخطاب القرآنى فيها إلى البشرية كافةً، وفى مقدمتها أهل الكتاب من نصارى ويهود ونحوهم تمهيداً لالتقاء البشرية على الدين القيم الموحد، الدين الذى حمله الأنبياء كافة سداه ولحمته قيم الهدى والحق والخير، وإسلام الوجه لله رب العالمين. وقد انضم إلى الأجيال الطالعة من أبناء المسلمين - أولئك الذين اعتنقوا الإسلام أو عادوا إليه من أبناء هذه الديار الغربية، فانضموا إلى الإسلام بعد أن صيغت شخصياتهم، وتكونت ثقافاتهم، وتأسست وتكاملت هوياتهم الغربية.

وإذا كانت الشريعة وضعاً آلهياً ثابتاً لا يقبل التغيير فإن الفقه فى الشريعة فهم بشرى قابل للتأثر بكل ما يؤثر على الفكر البشرى من مؤثرات زمانية أو مكانية أو ثقافية أو بيئية. وإذا كانت الشريعة الآلهية تتسم بالإطلاق على الجملة فإن"الفقه"نسبى، ولذلك تحول"الفقه المذهبى"إلى مدارس تأثرت بنفس الأقاليم التى انتشرت فيها المذاهب"والمناطق التى استقر بها العمل فيها - حتى اتخذ الفقه طابعاً إقليمياً خاصاً فى تلك البلدان والأمصار، شأنه فى ذلك شأن كل كائن حى يخضع لعوامل الزمان والمكان تبعاً لذلك. ومن أمثلة ذلك: القديم والجديد من مذهب الأمام الشافعى، فالمشهور أن"القديم"هو ما قاله فى العراق إفتاءً أو تصنيفاً، وتلقاه عنه تلامذته العراقيون أحمد بن حنبل، وأبو ثور والزعفرانى والكرابيسى ومن إليهم. و"الجديد"ما قاله بمصر حينما تغيرت رؤيته للمسائل وتكييفه لها، وظهرت له أدلة لم تكن حاصلة له من قبل، إذ بلغته أحاديث لم تبلغه حين كان فى بغداد يدوّن مذهبه القديم، وقد شاع وعرف تناول الشافعيين لمذهبهم بطريقتين: الأولى"طريقة العراقيين"، والثانية"طريقة الخراسانيين"وقد وصف الشافعية"طريقة العراقيين"فى تدوين المسائل الفقهية بأنها أتقن وأثبت. ووصفوا"طريقة الخراسانيين"بأنها أحسن من حيث التصرف والبحث والتفريع والترتيب.

ومثل ذلك يقال عن المذهب المالكى فهناك طريقة المالكية العراقيين، وثانية للمغاربة، وثالثة للقرطبيين فى الأندلس، ورابعة لمالكية مصر. ولكل طريقة من هذه الطرق مصنفات فى المذهب تختلف قليلاً أو كثيراً عن مصنفات أصحاب الطرق

الأخرى. ومالكية العراق يعدون أشبه بالحنفية من حيث أخذهم الكثير بإجماع الرأى وإثبات الاستدلال، ويغلب على مالكية المغرب مراعاة الأمور العملية وتكييف الأحكام فى النوازل. ويختلف شافعية جنوب شرق أسيا فى عصرنا هذا فى كثير من مسائل الفقه عن الشافعية فى مصر والعراق ومثل ذلك يقال عن المذاهب الأخرى. وكذلك مذاهب الفرق الإسلامية خارج الدائرة السنية التى تأثرت تأثراً كبيراً فى اختلاف الأقاليم.

لذلك كان اقتراح الشيخ على حسن عبد القادر العميد الأسبق لكلية الشريعة بالأزهر بضرورة تقسيم دراسة الفقه عند المقارنة إلى مناطق اقتراحاً وجيهاً له ما يبرره بحيث يمكن النظر إلى المناطق الإسلامية الكبرى باعتبارها وحدات جغرافية اجتماعية لكل منها مميزاتها فى نظامها الاجتماعى والثقافى، واختلاف العادات والملابسات النفسية والاقتصادية والسياسية، وأحوالها الطبيعية.

وقد كان ابن خلدون وهو القاضى الفقيه المؤرخ وعالم الاجتماع من أوائل من التفتوا إلى ما يمكن تسميته "بالجغرافية الفقهية"، فقد ذكر وهو يتحدث عن انتشار المذهب المالكى واختلاف مالكية المغرب عن مالكية العراق، قال "فالبداوة كانت غالبة على أهل المغرب والأندلس، ولم يكونوا يعانون الحضارة التى لأهل العراق. فكانوا إلى أهل الحجاز أميل - بمناسبة البداوة - ولهذا لم يزل المذهب المالكى عندهم غضاً، ولم يأخذه تنقيح الحضارة وتهذيبها كما وقع فى غيره من المذاهب". ومن هنا يتضح أن البعد الجغرافى بعد أساسى فى عمليات تكييف القضايا والمشكلات الفقهية تجب مراعاته وملاحظته فى الفقه والفتوى والقضاء، وليس بفقيه من يتجاهل بُعداً له هذا القدر من التأثير فى تكييف المسائل. بل إن النظر فى المراجع الفقهية وفى أقوال الفقهاء واختيار الفتاوى والأحكام والترجيح بينها لابد أن يلاحظ بدقة هذا البعد. ولم يبعد من قال: إن هناك "فقهاً أقليمياً" وفقه مناطق.

وأمريكا بكل ما فيها من اختلاف عن العالم الإسلامى يظلم المسلمون أنفسهم ويظلمون الإسلام لو فرض على المسلمين من أبنائها والمقيمين فيها فقه لا يلاحظ هذا البعد ولا يأخذه بنظر الاعتبار، فإنه إذا بقى أئمة المساجد والمتصدون للفتوى يحاولون

تطبيق فقه مذاهبهم في هذه البيئة دون نظر إلى اختلاف هذه البيئة الكبير في مسائلها ووقائعها ونظم حياة أهلها، وثقافاتهم ونفسياتهم فإنهم قد يحملون أبناء الإسلام قبل غيرهم على البحث عن معالجات وحلول لمشكلاتهم وأسئلتهم وقضاياهم خارج الفقه الإسلامي كله وأخشى أن أقول: خارج الدائرة الإسلامية كلها والمسألة ليست مسألة تخفيف وتشديد، بل هي أكبر وأخطر إذ أن للفقه والتقنين تأثيراً مباشراً في البناء الاجتماعي والثقافي والنفسي، ولذلك فإن الأمر أخطر مما يظن أولئك الذين يصورون هذه الأمور على هواهم، إن الأمر يتعدى ويتجاوز تلك المشكلات الفقهية التي تعن للأفراد. إن الإشكال يتعلق في كيف نجعل مقاصد القرآن العليا الحاكمة ومقاصد الشريعة والعقيدة والشريعة معاً تنعكس كلها على مجتمعاتنا في المهجر لنقدمها نماذج تستولي على احترام الآخرين وإعجابهم وتقديرهم، ومن ثم الرغبة في الانضمام إلى هذه الأمة القانتة.

ومن هنا بدأ التفكير بوضع ما أسميناه "فقه الأقليات" والتأصيل له، وبناء أصوله وقواعده.

الفقه الذي نسميه بفقه الأقليات ليس أمراً مبتدعاً ابتكرناه أو ابتدعناه لكنه كان معروفاً في تاريخنا الفقهي بأنه فقه النوازل، وكتبه ودراساته كثيرة فهناك "نوازل أهل بغداد في عهد التتار" و"نوازل أهل بيت المقدس في عهد الصليبيين" و نوازل "أهل الأندلس" إلى غير ذلك. لكننا نريد أو نحاول أن نخرج هذا الفقه من دائرة فقه نوازل ومصائب وظروف استثنائية وأحكام عرفية إلى دائرة أخرى ليكون فقها له تأصيل آخر ونتحو به منحاً آخر يجعل منه فقهاً لجماعة نموذجية إذا نظر الناس إليها وجدوا نظام حياتها وطرائق تعاملها مع الآخرين هادياً لإدراك محاسن الإسلام. وهذا في الحقيقة ما حاولت أن أفعله أو هذا هو ما جعلناه هدفنا حين وضعنا "مقرر فقه الأقليات" لتدريسه في جامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية للدراسات العليا بالولايات المتحدة الأمريكية، وكانت النية أن نغير من اتجاه فقه النوازل إلى تأصيل فقه أقليات.

يزورنا هنا في الولايات المتحدة و يزور إخواننا في أوروبا وغيرها الكثير من

المشايخ و العلماء من بلاد المسلمين ويقدمون فتاوى فقهية كل منهم حسب منطلقه ومذهبه ومقدار فهمه للواقع. فلم تعد هناك مشكلة من المشاكل إلا وفيها عشرات الفتاوى التى تعطى الشيء ونقيضه: فالشيء الواحد حلال وحرام، كفر وإيمان، أسود وأبيض، ولا يمكن فى هذه الحالة من الفوضى الفكرية أن تبقى على هوية أمة أو أقلية ولا يمكن أن تحافظ عليها، ستذوب إن لم تذب فى الجيل الأول فإنها ستذوب فى الجيل الثانى أو الثالث كما ذابت هجرات قبلنا. من هنا انبثقت الحاجة لإيجاد أو لتدريس هذا الفقه فى مؤسستنا التعليمية الناشئة، فكيف بنيناه؟

الأمر الأول: استبعدنا فكرة الفقه بمفهومه الاصطلاحى الدقيق المصغر لنأخذ الفقه الأكبر وهذه نقلة أساسية ونوعية إذا لم نأخذ بها فمن العسير جداً علينا أن نخرج من هذه الدوامة. لم يكن الفقه (بمعناه المتداول اليوم) معروفاً عند المسلمين حتى سنة ٤٠ للهجرة، كان البديل عنه ما سماه أبو حنيفة - رحمه الله -بعد ذلك بالفقه الأكبر. يعنى أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يكن عندهم فقه أصغر كالفقه الذى ورثناه عن المدارس الفقهية المتأخرة وإنما كان لديهم فقه أكبر والفقه الأكبر هو فقه يشتمل على جانبين: فقه الدين، وفقه التدين. ولكن هذا الفقه الأكبر تحول أو بدأ يتحول بعد سنة ٤٠هـ ليصبح فقهاً بدأ يتضيق ويصغر ويأخذ المعانى الفنية الدقيقة، شيئاً فشيئاً إلى أن أصبح على أيدى علماء أواخر القرن الثانى الهجرى والقرن الثالث هو"معرفة الأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية". فتراجع الفقه الأكبر لحساب الفقه الاصطلاحى الخاص بالأحكام العملية لمسائل معينة توصف تارةً بأنها"عملية"وتارةً أخرى بأنها"فروعية"تمييزاً لها عن المسائل الاعتقادية التى يتناولها علماء الكلام والتوحيد، وكذلك المسائل الأصولية التى يجرى بحثها فى علم"أصول الفقه".

و حينما نتابع دراسة الأدلة والمفاهيم الشرعية وتاريخ كل منها والظروف التى نشأت فيها نجد الصلة الوثيقة والرابطة التى لا انفصام لها بين الفقه وبين الاجتماع الإسلامى. فالمجتمع الإسلامى المتحرك يفرز مشكلات ويطرح أسئلة، والفقيه وهو يحاول أن يجيب عن تلك المشكلات وعن تلك الأسئلة هو ابن بيئته ومحدود بظروفه،

وبالإضافة إلى هذا فإن محدودية العقل الإنسانى لا تسمح بتجاوز البيئة والزمان للإتيان بفهم يتجاوز ظروف المشكلات التى يعالجها الفقيه أو المفكر. من أجل ذلك كان من الضرورى أن لا نجعل أقوال الفقهاء وأصولهم فى الأصول وفى الفروع مرجعية مطلقة بل ننزلها بما يليق بها من مكانة كسوابق اجتهادية يستفاد منها دون الغفلة عن نسبيتها، وصلتها الوثيقة بالزمان والمكان لمعرفة مناهج السالفين فى التعامل مع الأصول وباعتبارها أمثلة على طرائق العلماء فى تحديد "فقه التدين" فى كل عصر، وممارسة التجدد والتجديد الذاتى فى إطار القيم الحاكمة والمقاصد العليا لا فى إطار التقليد المذموم.

الأمر الثانى: إن النظر فى المسائل والوقائع والظواهر المستجدة من خلال الفقه الأكبر، لا من خلال الأدلة التفصيلية وحدها يحمل المفتى على الرجوع إلى المصدر المنشئ للأحكام والمصدر المبين له على سبيل الإلزام. فالقرآن الكريم فى مفهومنا الفقهى هذا هو المصدر المنشئ للأحكام لا مصدر غيره، ولم يكن يعرف المسلمون مصدراً للمعرفة بكل أنواعها ومنها الشرعية إلا القرآن الكريم طيلة عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وتلك هى السيرة. القرآن وحده كان هو المصدر المنشئ لفكرهم، لمعتقداتهم، لتصوراتهم لنظام حياتهم، لكل شأن لديهم. ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يتلو عليهم القرآن ويطبق القرآن فيهم. ولذلك كانت أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها -وهى من أفقه الصحابة رضوان الله عليهم كانت حينما تسأل عن خلقه - عليه الصلاة والسلام - تقول: "كان خلقه القرآن". ليس هناك شئ سوى القرآن. وكانت حينما توجه لها بعض الأسئلة ويقال لها روى فلان أن رسول الله ﷺ قال كذا فلا تعقب إلا أن تقول: أقول لكم ما فعل - عليه الصلاة والسلام -، وتصرفهم عن القول ومناقشته بذكاء شديد إلى الفعل النبوى لرسول الله ﷺ لتبين المصادر المعرفية كما هى. فالسنة النبوية هى المصدر المبين للقرآن على سبيل الإلزام وأى بيان آخر خارج القرآن وخارج السنة هو بيان غير ملزم ولذلك نقل البيهقى عن الإمام الشافعى -رضى الله عنه- إنه لا سنة لرسول الله صحت ولا أصل لها فى القرآن كما فى أحكام القرآن

للإمام الشافعى الذى جمعه البيهقى). أما أقوال الفقهاء فلك أن تسمع إليهم وتناقش وتحاور وترجح وفقاً لقواعد النظر والاستدلال آخذاً من أقوالهم المختلفة ما ترجحه ولكن لا يلزمك شيء منها. فالقرآن هو المصدر المنشئ والسنة هى المصدر المبين له فى إطار علاقة تكاملية لا تسمح بإسقاط أحدهما على حساب الآخر كما لا تسمح بالفصل بينهما.

الأمر الثالث: يجب أن نميز بين مقاصد الشارع والشريعة وبين مقاصد المكلفين. لذلك وجدنا أن المقاصد الشرعية التى يمكن أن تشكل لنا إطاراً قيمياً حاكماً بموجب استقرائنا لآيات الكتاب الكريم المحددة لهذه القيم يمكن تلخيصها بالثلاثة الآتية:

المقصد الأول: التوحيد

المقصد الثانى: التزكية

المقصد الثالث: العمران

وقد حصرنا القيم والمقاصد القرآنية الحاكمة بهذه الثلاثة على اعتبار أن حاصل أى شيء من الأشياء إنما هو ناجم عن تفاعل يجرى بين الغيب والإنسان والكون. الغيب واسع يشمل الغيب المطلق والغيب النسبى، وكل ما يتعلق بالعقيدة نعتبره مدرجاً تحت التوحيد، ويمكن للتوحيد أن يدل عليه.

ومفهوم التزكية تندرج تحته قضايا كثيرة جداً تتعلق بالتكوين العقلى والنفسى والتربوى والجسدى لهذا الإنسان المزكى الذى يستطيع أن ينفذ مقتضيات العهد الآلهى. فلا يستطيع أن يقوم بمهمة الائتمان أو الأمانة ومهمة الاستخلاف إنسان غير مزكى، ولا يستطيع أن يقوم بالعمران إنسان غير مزكى﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت:٣٦]، ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٥]، ولا يستطيع أن يكون إنسانا ناجحاً فى الابتلاء حتى يتزكى﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[الملك: ٢]... إلى غير هذا.

وأما مفهوم العمران فابن خلدون - رحمه الله -كان فى مقدمة من لفت الأنظار

إليه وإلى الفوارق الدقيقة بينه وبين مفهوم الحضارة، وبين أن العمران حضارة ولكنها قائمة على رؤية كلية ومصحوبة بقيم. وحينما ننظر فى سيرة وسنة رسول الله ﷺ وهو يتعامل مع الجماد ويتعامل مع الشجر ويتعامل مع الماء ويتعامل مع التراب ويتعامل مع الحيوانات وغيرها، نستطيع أن نكتشف هذا الحس العمرانى فى الوجود. فالإنسان ليس عدواً للطبيعة والعلاقة بينهما ليست علاقة صراع، إذ أن الإنسان ابن الطبيعة والمستخلف فيها وعليها كذلك.

فى إطار هذه القيم الحاكمة والمقاصد العليا تأتى مقاصد الشريعة الأخرى ومنها المقاصد التى ذكرها أئمة الفقه من الإمام الشافعى والإمام أبى حنيفة - باعتبارها مقاصد المكلفين - ثم مروراً بالأئمة الآخرين حتى الغزالى والعز بن عبد السلام والشاطبى. فالقرآن لم يكد يترك شيئاً من الأشياء ذات الأهمية، إلا وأضاف لها قيمتها وعلل تشريعها. علل النبوة وعلل الرسالة وعلل فى قضايا الحلال والحرام وبين الأسباب والعلل الكامنة وراء ذلك كله. ورسول الله ﷺ سلك المسلك نفسه وهو يبين تلك الأحكام حتى لم يكد يبقى شىء يقال له: أنه غير معقول المعنى، وما يطلق عليه العلماء اسم "أمر تعبدى" يقصد به: أنه ليس له علة متعدية تصلح للقياس ولكن لم يقصدوا به أن لا يكون له معنى أصلا. فليس هناك شىء غير معقول المعنى فى هذه الشريعة، ولكن هناك معنى اكتشفه مجتهد فى عصر ويغيب عنه معنى آخر قد يكتشفه من يأتى بعده لأن من المهم أن ندرك خصائص هذه الشريعة الخاتمة، ومنها هذه العلل التى تتكشف للمجتهدين وفقاً لشروط وضوابط تتفق والوقائع والآفاق المعرفية للمجتهدين لأن القرآن الكريم والسنة النبوية ما تركا شيئاً إلا وعللاه ضمن المقاصد العليا وفى دائرة المقاصد المترتبة عليها. وكذلك مقاصد المكلفين التى نص الفقهاء أيضاً - على مراعاة الشارع لها - هى مدرجة فى هذا الإطار محكومة بالمقاصد الحاكمة التى تعتبر بمثابة قمة الهرم نفرع عليها ما بقى. فيجب ملاحظة المقاصد هنا ملاحظةً دقيقة، وفيما نتناوله منها نحاول إحداث الوعى على أهميتها وعلى قيمتها كمدخل أساسى وضرورى فى بناء فقه الأقليات.

الأمر الرابع: لم نقبل مفهوم الأقلية كما هو فى العلوم السياسية المعاصرة التى نهض بنيانها على فكرة الدولة القومية، وحين نرجع إلى القرآن الكريم المصدر المنشئ لمعارفنا وتصوراتنا نجد القرآن الكريم ينحو بمفاهيم الأقلية والأكثرية منحى آخر: فكثيراً ما يذكر الأكثرية فى معرض الذم﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام:١١٦]. ففى هذه الآيات يذكر القرآن الأكثرية فى معرض النقد وفى معرض التنديد لأنه هو - أى القرآن - لم ينطلق من منطلق القوة كما تصوغ مفهومها العلوم السياسية المعاصرة - القوة التى تحتاج إلى عدد وأغلبية - ولكن القرآن الكريم انطلق من مفهوم الحق، ومفهوم الحق شئ ومفهوم القوة شئ آخر، فى إطار مفهوم الحق يجب على المكلّف أن يبحث عن الحق والحقيقة بكل ما لديه من وسائل فإذا وصل إلى نهاية جهده وبذل قصارى طاقاته قال: يا ربى هذا ما أملكه وهذا ما توصلت إليه ثم يعمل بما أداه إليه اجتهاده ولكن ينبغى أن لا يتوقف بحثه عن ذلك، فما دام الأمر اجتهادياً فيمكن أن يتغير الاجتهاد بعد سنوات أو فى الجيل القادم، فما يتوصل المجتهد إليه مُلزِم له ولمن يقلده فى عصره، أو يتبنى - اجتهاده - بعد قبول أصوله بعد ذلك. و"الأقلية" أحيانا تكون هى صاحبة الحق. حتى إن شاعرنا العربى يقول مفاخراً:

تعيرنا أنا قليل عديدنا ... فقلت لها إن الكرام قليل

لذلك ارتبط بوعينا الأدبى مفهوم القلة بالنخبة فليس بشرط أن تكون القلة ضعفاً بل قد تأخذ مفهوم النموذج-النخبة، الأمة المسلمة المخرجة صاحبة رسالة ودعوة وهى بالنسبة لسائر الأمم أقلية.

ولقد خاطبنا ربنا جل شأنه حينما قال﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[آل عمران:١١٠] . فنحن أمة"مخرجة"نموذجاً لغيرها شاهدة على الناس وبنو إسرائيل أمة"مدخلة"إلى الأرض المقدسة. فالله - تعالى - يقول ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ويقول لهم﴿ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾[المائدة:٢١]، أى أن عندكم بقعة محددة من الأرض خذوها. بالنسبة لنا الأرض كلها ميدان عمل لنا يقول الرسول ﷺ:"جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً"، فالأرض كلها مسجد يدور حول الحرم ويتجه إليه"إن

الأرض يرثها عبادى الصالحون"(الأنبياء: ١٠٥)، ولذلك لم يكن تأصيل أو عناية فى الإسلام بمفهوم الوطن، بل هناك مفهوم الدار. وما ورد فى الأثر من أن رسول الله ﷺ كان يحنّ إلى مكة ويقول"لولا أنهم أخرجونى ما خرجت"لا علاقة له بما نقول. فالدار هو أى جزء من الأرض تستطيع أن تسكنه وتستقر فيه. إنه ليس للمسلم موطن يمثل جزءً من الأرض يقدسه دون سواها، ويحميه ويدافع عنه، وبقية الأرض لا مانع أن تكون ميداناً للتلوث وتدمير البيئة ودفن النفايات النووية.

أما فكرة تقسيم الأرض لدى الفقهاء المتقدمين إلى دار الحرب ودار الإسلام فإنها موضع نقاش وتمحيص فى ضوء خصائص الشريعة وعالمية الإسلام، وقد ناقشها قبلنا فخر الدين الرازى - رحمه الله -(ت:٦٠٦ هـ) ووصل إلى نتائج مختلفة تؤصل توجهاً آخر غير ما اعتدنا سماعه فى هذا الموضوع وهو تقسيم الأرض إلى دار إجابة ودار دعوة، والأمم أمتان: أمة إجابة وأمة دعوة.

فالمسلم لديه دار، وهذه الدار توجد بوجوده وتغيب لغيابه. هذه الدار ليست مجرد بقعة أرض بمواصفات معينة، وإنما هى دارٌ يستطيع أن يمارس أحكام دينه فيها. ما دام قد حل بها مسلم تمكن من إقامة الإسلام ولو على المستوى الفردى فهى دار إسلام. فعندنا فرق كبير بين مفهوم الدار ومفهوم الوطن لابد من ملاحظته - وقد نص الإمام الماوردى على أن دار الكفر بالنسبة للمسلم تصبح دار إسلام ما دام يأمن فيها على نفسه وعرضه وماله، ويتمكن من إقامة فرائضه من صلاة وصيام ونحوها، بل إن الماوردى قد نص على كراهة مغادرة هذه الدار إلى دار الإسلام إذا طمع فى إسلام أحد على يديه.

فى إطار كل هذه المعطيات وكثير غيرها، بنينا هذا المقرر الدراسى لنجيب على أسئلة أو تحديات البيئة الأمريكية إجابة لا تخضع لآراء وأقوال فقهائنا الماضين وحدهم، ولكن تقوم على الرجوع إلى مصادر الشريعة لاستنباط الأحكام منها فالمصادر هى: القرآن الكريم وهو المصدر المنشئ والسنة النبوية هى المصدر المبين على سبيل الإلزام، والعلاقة بينهما تكاملية. والأدلة الأخرى يستفاد منها كسوابق فى إطار اجتهادنا الفقهى. الأرض هى دار وليست وطناً، إن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - جاء ليقيم

أمة دعوة شاهدة على الناس والفرق كبير بين أمة الدعوة التى تكون للعالم بمثابة القطب أو المحور وبين دولة ذات سيادة على بقعة تحددها حدود جغرافية تنحصر مهمتها فيها، وهذا هو الخطأ الكبير الذى وقعنا فيه ونحن نفكر من منطلقات الهيئات والحركات التى نشأت على فكرة إقامة دولة والوصول إلى الحكم، لأن حركاتنا السياسية كلها أقيمت وفقاً للطراز الغربى ومفاهيمه للدولة والأقاليم والسيادة ونحوها، وهيكلية الأقلية والأكثرية جزءً من ذلك. ولقد عرفت الأمة - شذوذاً - فكرة الطوائف والفرق، لكن الأحزاب بطريقتها هذه هى أمور أخذناها من الغرب ووضعنا لها المحتوى الإسلامى: أو هيكلناها هيكلة إسلامية، ومشينا فيها بشكل أو بآخر، ولذلك فنحن فى حاجة ماسة إلى إعادة النظر فيها، فرسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - كان عبداً لله ونبياً ورسولاً ولم يكن ملكاً من الملوك والأحاديث الدالة على ذلك كثيرة.

الأمر الخامس: نحن فى هذا الإطار حذرون جداً من أن ندخل إلى فقهنا عملية أو فكرة الارتهان إلى الواقع الأمريكى. وهناك أخوة تلقفوا منا الكلام عن "فقه الأقليات" وبدأوا يكتبون ويناقشون قبل أن يقرؤا شيئاً مما كتبنا وزعم بعضهم أننا نحاول أن نوجد فقهاً خاصاً بهدف التحلل من أى ارتباط بالأحكام الفقهية المعروفة وفصل ما بين الأقليات وعمقها فى العالم الإسلامى، وأن الشريعة واحدة فلا تتنوع وفقاً لكثرة الناس وقلتهم. إننا لم نرد بالدعوة إلى بناء هذا الفقه أن نعطى للأقلية إذناً بالتحلل من كثير من الضوابط الشرعية!! بل نريد أن نلقى على عاتقها هموماً أخرى لكى تبنى الأمة المخرجة أو نموذج الأمة المخرجة فى المهجر فتكون أمة قطباً وتكون أمة نموذجاً حيث تكون، سواء أكانت فرداً أو مجموعة فهى أمة. والأرض هى دار والدار مؤقتة، الدار خيمة نبنيها ونرفعها غداً تنتقل بانتقالنا ومعنا قيمنا وديننا والمعانى التى نحملها وننشرها. إننا نريد أن نقدم هذه الأمة أو هذه المجموعة المسلمة لهذا المجتمع نموذجاً قدوةً بحيث يستطيع من يراهم أن يرى من خلال سلوكهم والنموذج الذى يقدمون قيم الإسلام ونموذجه، وذلك كنموذج أهل الفسطاط بالنسبة لأهل مصر. فالإسلام لم يدخل مصر بالقوة... أربعة آلاف جندى فقط كانوا مع عمرو بن العاص وأمره سيدنا عمر بن

الخطاب ببناء الفسطاط وبنى لهم الفسطاط بجوار القاهرة وبدأ الإسلام ينتشر من ملاحظة الناس للمسلمين وطريقة تعايشهم والسلوك الذى يسلكونه.

ولا أدرى ما الذى سيحدث إذا قدم المسلمون أنفسهم إلى المجتمع الأمريكى أو أى مجتمع آخر بالطريقة التى تبرزها الفتاوى المنتشرة فى قضايا الزواج أو الطلاق بالطرق المعروفة فى بوادى المسلمين أو المعاملات الأخرى التى لا تستصحب مفهوم أمة الدعوة وإنما تؤكد على وجود تاريخى للمسلمين امتزجت فيه الأعراف والتقاليد بالتدين مما لم يعد له أثر فى الواقع. فى هذا الإطار بنينا هذا الذى أسميناه فقه الأقليات وبدأنا نستعرض كثيراً من مشكلاتنا فى ضوء أصوله وقواعده. وقد رأيت وسمعت فتاوى فى كثير من القضايا لكبار مشايخنا المعاصرين جزاهم الله خيراً جلّها إن لم تكن كلها لم تراع الأبعاد التى تختص بها بيئات المسلمين فى الغرب، ولذلك كان منطلق حلّ من تصدوا للفتوى فى قضايانا أن المسلمين هنا فى دار حرب ولهم ضرورات كذا والضرورات تسمح بكذا وكذا. نحن رفضنا هذا النوع من الفتاوى لأسباب كثيرة نفسية واجتماعية وتربوية وثقافية، بل أن بعضها قد يهدد الوجود الإسلامى كله فى هذه البلاد ولو بعد حين، أما النفسية فعندما لجعل أبنائنا يشعرون باستمرار أنهم أقلية سيشعرون بالدونية وحين يشعرون بالدونية لن ينشأوا نشأة طبيعية سيكونون أقل استقراراً من الأمريكى، أقل من جيرانهم، سيشعر أنه ابن أقلية يعيش على هامش المجتمع، وستضطرب عندهم فكرة المسؤولية، وستضطرب عندهم فكرة الهوية. كل هذه الأمور سيشعرون بها وهى خطر نفسى كبير لا تقلل من خطورته عملية تخريج المسألة الفقهية على قواعد الأقدمين والإفتاء بناءً على أدلة الضرورة وسد الذرائع واختلاف الدار ونحوها، وقد يكون هذا الاستخدام صحيحاً من الناحية الفنية، ولكنا لا نحتاج إلى فتوى تأتينا بشرور وأضرار نفسية واجتماعية أكبر من الفوائد التى نحصل عليها منها. إننا إذا استرسلنا مع فقهنا الموروث نحاول حمله قسراً على الانطباق على نظام حياتنا فى أمريكا فستكون فتاوانا كلها قائمة على قواعد التخفيف، والضرورات، وفى دار الحرب يسمح بما لا يسمح به فى دار الإسلام، والربا بين المسلم وغير المسلم جائز إذا كانت

الفائدة تعود إلى المسلم، وبذلك يصبح المسلم نموذجاً لإنسان انتهازى نفعى طفيلى فى المجتمع يعيش على هامش مشاكل الناس، وأبناؤنا سينشأون على تلك التوجهات ولا يمتلكون رسالة ولا يحسون بمسؤولية عن دعوة أو أمة.

و على سبيل المثال: من المشكلات المطروحة، المشاركة السياسية للمسلمين فى المجتمع الأمريكى، هل يجوز الانتساب للحزب الجمهورى أو الديموقراطى، هل يجوز لك أن ترشح فى الانتخابات؟ هل يجوز لك أن تنتخب؟ وهذا يتبعها شؤال هل يجوز المشاركة فى حملة انتخابية أو مساندة السناتور المرشح أو التبرع بفلوس... كل هذا أسئلة فرعية وجانبية. نحن نقول: يجب أن نجيب على هذه الأسئلة والإشكالات وفقاً لما ذكرنا من منطلقات بعض المتصدين للفتاوى الجزئية، بل نعتمد على فقهنا الأكبر وعلى أصولنا الغنية كتاب الله مصدراً منشأ وسنة نبيه مصدراً مبيناً على سبيل الإلزام، والمشاركة السياسية فى هذا المجتمع إذا كان هدف المسلم أن يكون Senator أو نائباً فى البرلمان الأمريكى ليصبح شخصية مهمة ولتحقيق طموح شخصى فقط فأنا أقول قولاً واحداً - لا يجوز له - بل يجب أن يبتعد عن العمل للعلو فى الأرض، وإذا كان عنده انتماء للأمة المسلمة ويحمل هويتها ويريد خدمتها ولديه برنامجاً فيه خير وفيه أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ومطالبة بحقوق الأمة -باعتبارها فى نظر الحكم القائم أقلية- ليأخذ المسلمون مواقعهم وحقوقهم فى هذه المجتمعات، فإنه أمر من أهم القربات إلى الله - تعالى -، ولابد أن ينضبط بضوابطه الشرعية المراعية لمصلحة الأمة، فما هى ضوابطه؟ لهذا حديث آخر.

عندنا قضية أخرى إذ لا تزال الفتوى متداولة وشائعة وكثيرون يتحدثون عنها أنه لا يجوز حمل الجنسية الأمريكية ولا الأوربية وأنه حرام.. ما الذى استند إليه هؤلاء المانعون من التجنس؟ استندوا إلى فتاوى إخواننا علماء المغرب والجزائر وتونس فى فترة الاحتلال الفرنسى وكذلك علماء سورية فى فترة احتلال فرنسا وعلماء العراق فى فترة احتلال بريطانيا للعراق. لأن فرنسا بالذات اعتبرت بلدان المغرب العربى جزء من فرنسا وضمتها إليها بقرار وقالت هذا جنوب فرنسا. علماء تلك البلاد أرادوا أن يقاوموا

هذا قالوا: لا..هذه ليست جزءً من فرنسا، والذى يحمل الجنسية الفرنسية فى ذلك الوقت كافر من أجل أن يبقوا على الهوية الإسلامية فى تلك البلدان ويبقوا عليها باعتبارها جزءً من دار الإسلام والمسلمين. وحينما لا يلاحظ المفتى الذى يفتينا الآن تغير الأحوال والظروف والأعراف ولا يتناول القضايا المختلفة التى تحيط بمسألته ليدرس المشكلة من جذورها وأطرافها المتعددة، يصل إلى مثل هذه الفتاوى.

فنحن فى إطار هذا المقرر- فقه الأقليات - نحاول أن نضع الأصول التى لابد للفقيه الذى يتعامل مع المجتمعات الإسلامية فى الغرب أن يتقنها ويفهمها لكى يكون قادراً على التفريع والتخريج على الأصول. ونحاول أن نقدم القضايا المطروحة من خلال دراسات تستند إلى هذه الأصول. تقدم رؤية منطلقة من أننا نحن المسلمين موجودون هنا لنبقى ولينتشر الإسلام ويستوطن البلاد، وتعلو كلمته فيها، فلسنا أقلية بالمفهوم السياسى الغربى أو مفهوم الدولة القومية ولكن نحن نموذج لأمة ذات رسالة خالدة ولهوية تميزنا بما نمثله من قيم. نقدم من خلال وجودنا وأنفسنا تلك الرسالة وتلك الدعوة رحمةً للعالمين ونقدم أنفسنا نموذجاً ومثالاً لخير أمة أخرجت للناس.

* * *

أزمة الخطاب الإسلامى فى علاقة الشرق بالغرب

أ.د/ محمد عبد الصمد مهنا(*)

الواقع أن روح الهزيمة الحضارية التى منيت بها كثير من شعوب وبلاد العالم الإسلامى فى العصور الحديثة قد أسلمتها إلى حالة من غيبة الوعى بحقيقة تراثها، وجعلها تتشبث بالحضارة الغربية فى يأس ومَذَلّة، محاولة اللحاق بها فى عشوائية وتخبّط، إلى الحد الذى حدا ببعض من آلت إليهم الكلمة سواء فى الحكم أو فى الفكر الإسلامى إسباغ شرعية على الأنماط المستوردة بصورة ممجوجة وعلى كافة المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية.

ومما زاد الأمر تفاقمًا أن البريق اللامع للمدنية الأوروبية قد أدى ليس فقط إلى تعميق الشعور بالهزيمة لدى هذه القوى الإسلامية فحسب، بل أغرى صانعيها أنفسهم -أى: الأوروبيون- بالتمادى فيما انتهجوه قبلاً من سبيل إلى الحد الذى رسخ لديهم الاعتقاد بأن ليس هناك إلا نمط واحد من الإنسانية هو الإنسان الأوروبى، ونمط واحد من الحضارة، وهو الحضارة الأوروبية الحديثة بوصفه النمط الوحيد الجدير بالاتباع من قبل العالم أجمع، الأمر الذى أغوى وأخفى عنهم حقيقة الدرك الذى ينحدرون فيه، ومن وراثهم بقية الأمم.

وفى ظل هذا المناخ وتحت وطأة الضغوط الأوروأمريكية وجد المسلمون أنفسهم فى موقف الدفاع، بترديد مفاهيم واستخدام مفردات، وتبنى مواقف لا تؤدى فى النهاية إلا إلى عكس الهدف منها.

تلك هى أزمة الخطاب الإسلامى فى حقيقة الأمر، فرفض رؤية الأمور على حقيقتها، واصطناع تقارب مزيف بين الشرق والغرب، وعدم الاعتراف بالاختلاف الجذرى بين الحضارة الغربية ذات النزعة المادية المعادية لكل ما هو غيبى أو إيمانى،

(*) أستاذ القانون الدولى - جامعة الأزهر.

والحضارة الإسلامية ذات النزعة المؤمنة بما وراء المادة وحجب الغيب الحديثة، يؤدى فى الحقيقة إلى تفاقم العلاقات وتعقدها، ويسرع بالغرب والشرق معًا إلى كارثة محتومة.

فطالما أن الغرب لا يرى إلا نمطًا واحدًا من الإنسانية، ونوعًا واحدًا من الحضارة، فلا أمل فى إمكان تحقق تفاهم أبدًا أيًا كان نوعه.

ولطالما أن الغرب لا يرى معياراً للحقوق سوى قوانينه، وأسسًا للعدالة سوى الوضعية، والعدالة النفقية، فلا أمل فى إقرار السلم والأمن فى العالم. ولطالما أن الغرب لا يعترف بمنهج للعلوم سوى المنهج التجريبى، ولا نوع للتقدم سوى التقدم المادى، ولا لمعرفة من المعارف سوى المعارف التكنولوجية، فكيف السبيل إلى التلاقى.

كيف يمكن مواجهة الغرب بأن هناك حضارات أخرى متعددة سوى الحضارة الغربية الرأسمالية، وأن هذه الحضارات تتطور فى اتجاهات شتى، وإن حضارته تمثل شذوذًا فى سلم الحضارات؛ لأنها الحضارة الوحيدة من بين كل الحضارات التى كان تطورها فى اتجاه مادى بحت. وأن هذا التطور الهائل الذى شهد بدايته ما اصطُلح على تسميته «عصر النهضة فى أوروبا» قد صحبه انحطاط فكرى مواز، تمثل فى انحسار الفكر والمعارف فى دائرة المادة أو المحسوس، ورفض ما عداها من علوم ومعارف يعجز المنهج العلمى عن إدراكها وحده.

كيف يمكن إقناع أناس يعتبر الفكر أو العلم بالنسبة لهم وسيلة فقط للتصرف فى المادة، وتطويعها لأغراض علمية أو تصنيعية؟! كيف يمكن إقناع فلاسفة أوروبا -منذ بيكون وديكارت وكانت وهيجل إلى يومنا هذا- أن وراء الطبيعة عالم ما وراء الطبيعة، وأن قوانين عالم الشهادة تدور فى فلك عالم الغيب ومحكومة بقوانينه، وأن ليس من شىء فى عالم الملك إلا وهو ظلال لحقائق عليا فوق قوى عقول الغفاة فى عالم الكون؟!

كيف يمكن إقناع الغرب بأن أحكام هيمنت ما تبقى من على العالم التى وصلت إلى مداها من خلال العولمة إجراء أمر المثال؟!

يكفى للعصف به حادث غير متوقع قبيل ذلك الذى حدث فى الحادى عشر من

سبتمبر الماضى... كيف يمكن مصارحة الأوروبيين أن الإرهاب الذى يهددهم يكمن سببه الرئيس فى طبيعة الحضارة الأوروبية الحديثة ذاتها، وأنه مجرد دعوى ككثير من لدعاوى التى يجيد الغرب استثمارها لمزيد من محاصرة الأمة الإسلامية سياسيًا، كدعاوى حقوق الإنسان أو الحرية أو الديمقراطية أو الشرعية الدولية، أو غير ذلك من الإيحاءات والشعارات التى يؤكد الواقع والتاريخ أنها عكس ما توحى به تمامًا؛ لأنها قيم أنتجتها الآلة البرجوازية، فلأول مرة فى تاريخ البشرية تصنع القيم والمبادىء والأخلاق، ويتم تغليفها وتسويقها على هذا الأساس.

كيف يمكن مصارحة الغرب أن الجات ليست إلا أداة النظام الرأسمالى للقضاء على الهوية الاقتصادية للأمم الأخرى، تحت مسمى الخصخصة أو إعادة التكيف أو التحديث أو المساعدات الاقتصادية أو حرية التجارة، بما يقتضيه ذلك من تضحيات وتنازلات خصمًا من حساب الرصيد الدينى والخلقى للأمة؟!

كيف يمكن إقناع الغرب بالكف عن محاصرة الأمة اجتماعيًا وفكريًا بالإمعان فى تصدير الأنماط الغربية فى هذه المجالات، من خلال مؤسسات الإعلام والتعليم والثقافة ونوادى الماسونية والروتارى والليونز وفضائح الإعلام المرئى والمسموع والمقروء، وموبقات علب الليل؟ ومخازى السينمات والمسارح والملاهى، وتدعيم النفوذ العلمانى على كافة المستويات؟!

إن إفشال المشروع الإسلامى الحضارى الذى أصبح مرشحًا بالفعل بعد انهيار الشيوعية بانتهاء الحرب الباردة ليكون الطرف الثانى فى معادلة توازن القوى الذى كان سائدًا من قبل بين الأيديولوجية الرأسمالية والشيوعية خلال نصف القرن الماضى، فليست القضية قضية محاربة الإرهاب، وإنما محاربة الإسلام بذلك.

إن الصراع الحضارى عمومًا وعلى مر التاريخ البشرى كان -ولايزال- حقيقة واقعة، وليس وليد اليوم أو نظرية مستحدثة لهانتنجتون أو فوكوياما أو غيرهما، وإنما ظهرت هذه النظريات على السطح فى الآونة الأخيرة عندما بدأت أشراطها تتحقق فى أرض الواقع بصورة أكثر ضوحًا للعيان.

والحضارة الإسلامية بأبعادها الدينية والروحية تقف على النقيض من الحضارة الغربية بأبعادها المادية الدنيوية البحتة، ولما يحدث لقاء بين الحضارتين فى الجوهر، فضلاً عن النظر إلى الكون والحياة والإنسان، ناهيك عن موقف الحضارتين من الدين، إذ هو موقف جد خطير، فبينما تعتبر الحضارة الإسلامية الدين منهج الحياة وحافز الحضارة، تقف الحضارة الغربية من الدين موقف العداء، وتعزو إليه صنع أسباب التخلف والتراجع الحضارى.

ومن هنا فعلق للمتخوفين والمترددين أن الصراع ليس بين الشرق الإسلامى والغرب المسيحى، بل بين كل الأديان من وجهة والغرب العلمانى المعادى للدين أى دين ولروح التراث أى تراث من جهة أخرى.

والثورة على الكنيسة فى أوروبا مهما كانت تجاوزات هذه الكنيسة لم تكن إلا بداية انحطاط فى مسيرة الغرب الحضارية، والتى جرفت معها العالم كله، وتنحدر به نحوو هاوية أو كارثة لم تحدث للبشرية من قبل، ما لم تسارع الحضارة الإسلامية بما تبقى لديها من أنفاس فى تعديل المسار وإنقاذ البشرية. وليس هذا الأمر بالسهل أو المهمة الهينة خاصة فى هذا العصر.

إن الحضارة الغربية الحديثة تقوم بكامل بنيانها على عنصر سببى بحت، ألا وهو غياب المبدأ ومعاداة حقائق الدين وروح التراث، ومن ثم لا يمكن أن يتوافر لديها أية وسيلة للتفاهم مع سواها من الحضارات، فأقرب الحلول لديها دائمًا هو الانتقام والغزو والتدمير، ولم يكن للغرب أن ينجح فى غزو العقول وقتل الروحانية فى شتى بقاع الأرض، والظهور بمظهر المتفوق حضاريًا لمجرد التقدم المادى التكنولوجى، بوصفه الجانب الوحيد الذى يمكن فيه التفوق الغربى، وإنها لغيبة الوعى لدى شعوب وحكام الأمة الإسلامية عن إدراك أصولها الحضارية والإلمام بحقائقها الجوهرية، وفيما عدا ذلك من الأزمات اللاأخلاقية والشعارات ذات النزعات الإنسانية الرنانة التى دأب الغرب على رفعها، فليست إلا أساليب للدعاية والخداع والنفاق تستخدم فى الوقت المناسب

للوصول إلى هدفها التخريبى، ففى الوقت الذى تقصف فيه الطائرات الأمريكية المساجد والمنازل بأفغانستان فتهتز لها بشدة نوافذ إسلام أباد على بعد ٦٠ كيلو متر، تقذف المروحيات الأخرى المساعدات والمعونات والأغذية للأفغان، تلك هى الحقيقة التى لا يمارى فيها إلا أناس سُذَّج أو لهم مصلحة حقيقية فى هذا العمل الشيطانى حقًا بأدق معانى الكلمة.

فليست إذن الحروب ضد الإرهاب، وإنما هى حرب ضد الإسلام، يستخدم فيها الإرهاب ضمن أسلحة أخرى كثيرة، فليحذر المسلمون حكامًا ومحكومين من الانخداع بذلك، وليجمعوا أمرهم على أمر واحد، فالإسلام فى خطر ودول الإسلام على شفا جرف هار، وأمة الإسلام تختنق، والأمم تتداعى عليها كما تتداعى الأكلة على قصعتها أو كما جاء فى حديث النبى ﷺ.

فلم تعد لها هيبة فى قلوب أى من أعدائها، بل أصاب الوهن قلوبها وأصبحت كالفأر فى المصيدة، تندفع فى اتجاهات شتى لا تعرف مخرجًا، وقد أصابها الدوار، تجتمع قياداتها وتنفض على لا شىء، اللهم إلا الخزى والمهانة والذل، ليس ذلك لقلة فى العدد أو العتاد، فليس هناك أمة تربو وحدها على مليار ونصف كأمة الإسلام، وليس هناك أمة تتمتع بمثل ما تتمتع به هذه الأمة من ثروات وخيرات، وليس هناك أمة لها تاريخ وتراث كأمة الإسلام، وليس هناك أمة وعدها الله بحفظ ذكرها مثل أمة الإسلام ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر:٩]، وليس هناك أمة جعلها الله أمة وسطًا مثل أمة الإسلام، بل هي خير أمة أخرجت للناس، ولكننا ضيعنا الأمانة وتخلينا عن الرسالة وأحببنا الدنيا وكرهنا الآخرة، ولهثنا ورا الغرب فى كل شىء فأورثنا الوهن الذى أشار إليه النبى ﷺ فى الحديث، فانحطت الأمة وأصبح بأسها بينها شديداً، وانتكست بفعل المادية المستوردة التى لا تتقيد بدين ولا خلق ولا نظام ولا ضمير ولا قانون.

واندفعت فيها عوامل الإلحاد مع رياح العلمانية وما نتج عنها من أمراض اجتماعية

وفردية على كافة المستويات، وغفلت عن رب الدين والدنيا، فاختلت مع الغفلة الموازين الاجتماعية والقيم الأخلاقية، وزاغت الكفايات الروحية، فلم يعد للضمير الفردى أو الجماعى أدنى اعتبار، ولم يعد للحريات العامة أى ميزان، ولم يعد للمثل العليا من آثار، ولم يبق للحقوق والأمانات والحرمات من حفاظ.

وتفشى فيها الكبر والرياء والتجسس والغل والخيلاء والمكر والحسد والتخابث والكيد والإباحية والزندقة والغيبة والنفاق والخيانة والأنانية والغدر والبخل والمراوغة والجبرية والتمرد والتملق والمداهنة وسوء الأدب وقلة الحياة، وإنكار الفضل وتشويه الجميل، ونزوات الشهوات والتخنث والنذالة والعيش على كسب الغير، والتوفر على أذى الخلق وتتبع العورات،...إلخ وغيرها مما ينحط بالبشر إلى أقل من مرتبة الأفاعى والحشرات، وأصاب أفرادها الضعف والقلق والخوف والانفعال والفزع والانزعاج والغضب والاضطراب والتشكيك والوسوسة والتخيل والوهم والكسل والجبن والسأم والضجر والملالة والعجز والضيق.

إن الأمة الإسلامية اليوم أمام لحظة تاريخية حكامًا ومحكومين، فعليها أن تتخذ قرارًا تاريخيًا إما بإضاءة شعلة الحضارة الإسلامية التى خبأ نورها لأكثر من ثلاثة قرون، لتستأنف مسيرتها على أنوار الهدى الربانى، ولتنير لغيرها الطريق، ولتنقذ البشرية من كارثة محققة، وإما أن تستمر فى سيرها وراء الغرب فى موكب جنائزى عالمى نحو الهاوية.

وإضاءة شعلة الحضارة الإسلامية ليس مقصودًا به ذلك الخطاب المنهزم، الذى ينعق بما يمليه عليه الغرب، ولا تلك القشريات والسطحيات الفجة، والشعارات الرنانة والصراعات الحزبية الكاذبة والمتاجرة بالأديان والتطرف والعنف والإرهاب، كما هو أيضًا ليس بالانهزامية والجهل والاغترار بالآخرين، وإنما بالعودة إلى الروحانية وإلى الربانية وإلى العلاقة بالله والإيمان بما وراء الغيب، وما يستتبع ذلك من المعارف العليا، واستقرار أنظمة الحياة على كافة مستوياتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية

والفكرية، وسمو الإنسانية وتقدم البشرية نحو النور والخير والجمال والحب والعطاء في كلمة مختصرة، بأن يتحول الدين بكل أبعاده الروحية والتشريعية الدنيوية والأخروية، الظاهرة والباطنة الثابتة والمتغيرة المكانية والزمانية إلى معاملة على أرض الواقع.

ذلك هو الخطاب الإسلامي الحقيقي، فكيف السبيل إلى ذلك؟

* * *

القسم الثالث
ملف العدد

تقرير الأمين العام

عن الندوة العالمية

"العالم الإسلامي والغرب: الحواجز والجسور"

والتي عقدت بمقر الجامعة الإسلامية العالمية في كوالالمبور - بماليزيا

في الفترة من ١٢-١٤ شعبان ١٤٢٦هـ الموافق ٥-٧ سبتمبر ٢٠٠٦م

نظم المعهد العالمي لوحدة الأمة الإسلامية والتابع للجامعة الإسلامية بماليزيا، هذه الندوة العالمية تحت هذا العنوان المهم في الوقت الحاضر، وإذا كان هناك الكثير من الندوات قد عقدت في العديد من مناطق العالم الإسلامي عن «الإسلام والغرب»، فإن هذه الندوة قد تميزت بمعالجة موضوع متخصص هو: «الحواجز والجسور». وقد جمعت هذه الندوة بين أطياف عديدة، إذ حضرها عشرات الأشخاص من مختلف مناطق العالم الإسلامي، وإن كان أكثر الحاضرين من دول وجامعات عربية.

وقد عقدت الندوة عشر جلسات، فضلاً عن مائدة مستديرة، ودارت كل الجلسات حول موضوع الندوة.

وجدير بالذكر أن الندوة عقدت تحت رعاية تان سري داتو سري سنوس جنيد رئيس المجلس الأعلى للجامعة، وحضر الجلسة الافتتاحية إلى جانب مدير الجامعة أ.د/ داتو عرابي بن السيد عبد الله عيديد مدير الجامعة، كما ظهر جهد السيد/ قطب مصطفى سانو كبيراً في تنظيم الندوة ومتابعة جلساتها والمواد والتوصيات، وإن تكفل بمعظم هذه الأعمال منفرداً مما أثر على تنظيم الندوة.

وهذه هي ملاحظاتي على الندوة:

١- دعي لهذه الندوة مجموعة من ضيوف الشرف هم: الدكتور/ عبد العزيز التويجري، والدكتور/ جعفر عبد السلام، إلى جانب الدكتور/ صالح العلي الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالسعودية، والدكتور/ محمد بن علي العقلا، والدكتور/ هاشم حريري وكيلا جامعة أم القرى، وهؤلاء

الضيوف تم إعفاؤهم من رسوم الاشتراك وهى ٣٥٠ دولارًا رسم الاشتراك فقط، غير تحمل نفقات السفر ومصاريف الانتقال ومصاريف الفندق بما فى ذلك أجر المبيت.

٢- أما الشخصيات التى دُعيت وقدمت أوراقًا علمية فهى على النحو الآتى:

* من المملكة العربية السعودية، أغلب الحاضرين حوالى خمسين شخصًا، وقدموا أوراقًا فى مختلف محاور الندوة، وجاءوا من مختلف الجامعات السعودية، وأغلبهم من الباحثين المتوسطين، أما وكيلا جامعة أم القرى فقد حضرا إلى جانب الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

* عدد لا بأس به من جامعات الخليج الأخرى: الإمارات العربية المتحدة، على رأسهم: أ.د سعيد عبد الله حارب، والدكتور/ محمد سلطان العلماء، وعدد آخر من الأساتذة والباحثين لا يقل عن عشرة، وكذلك حضر حوالى خمسة أشخاص من سلطنة عمان، على رأسهم أمين مجلس الإفتاء، وإن كان أغلبهم من جنسيات غير عمانية، وإنما يعملون فى جامعة السلطان قابوس، كذلك حضر عدد من جامعة قطر، كما حضر عدد كبير من مختلف الجامعات الأردنية.

* حضر شخصان من الدانمارك، وألمانى يعمل بالسفارة الألمانية بكوالالمبور.

* حضر علماء من طهران، واستراليا، وباكستان، وتركيا، ولبنان، والسودان، كما حضر عدد من العلماء المصريين الذين يعملون بجامعات خليجية، وكذلك بالجامعة الإسلامية نفسها، وإن لم يحضر أحد للندوة مباشرة من مصر، مما يدل على تراجع الدور المصرى المشارك فى الأعمال العلمية الخارجية، نتيجة نقص الإمكانات التى تقدمها الجامعات المصرية للمؤتمرات العلمية فى الوقت الحاضر..!!

كما يلاحظ كذلك وجود عدد كبير من الباحثين من المملكة العربية السعودية، والإمارات، وأكثرهم من ماليزيا من أكثر من جامعة، وأغلبية من الجامعة الإسلامية

بماليزيا.

٣- قدم الحضور أوراقًا وأبحاثًا يبدو أنها كُتبت على عَجَل، قليل منها للأسف يتصل بالموضوع مباشرة، وأغلبها يحوم حول الموضوع دون الدخول المباشر فيه. وكان الحديث والحوار فعالاً وقويًا، بالرغم من غلبة البحوث وطريقة الإلقاء بكل الجلسات. «أكثر من ١٥٠ بحثًا، حيث كانت الجلسة تضم ما بين ١٠-١٢ بحثًا في المتوسط.

٤- رغم وجود مائدة مستديرة جمعت بين مفكرين من المسلمين والغربيين، إلا أنها كانت متواضعة لقلة من ساهم فيها، ولقلة الوقت المخصص للمناقشة، وقلة من يمثلون الجانب الغربي (شخص واحد من السفارة الألمانية)، مما جعل الحوار ضعيفًا.

٥- قَدمتُ بحثًا عن المشكلات القائمة داخل مجتمعات الأقليات الإسلامية في الغرب، وربطتها بقضية الحواجز والجسور، وأوضحت أنهم يمكن أن يتحولوا إلى جسور لعلاقات وطيدة مع الغرب.

ولإزالة الكثير من الحواجز القائمة يشترط:

١- كف الدول عن التدخل في شئونهم، والتدخل لمساعدتهم على أن يكونوا جسورًا للعلاقات الإسلامية الاقتصادية السوية التي يمكن أن تتم على أساس الأخذ والعطاء، ونقل التكنولوجيا والعلوم إلى بلاد المسلمين، وتوضيح ما يجب أن يتم في هذه الدول من معلومات عن مجالات الاستثمار والتعاون المشترك بين الدول الإسلامية والدول الغربية.

٢- معاونتهم في عدم الذوبان بالكامل في هذه المجتمعات، حتى يتمكنوا من الحفاظ على هويتهم والسمات المميزة لشخصيتهم، كما يجب إمدادهم بالكتب والدراسات والأقلام التي تمكنهم من معرفة أمور دينهم والحفاظ على لغتهم. إن المكتبة الإسلامية الموجهة للغرب تعاني من النقص الشديد، ويجب طباعة وترجمة مشروع مثل مشروع الألف كتاب؛ للتعريف بالإسلام باللغات الحية

ونشره هناك. ناهينك عن عمل برامج وقنوات تليفزيونية وإذاعية موجهة إلى العالم الغربى.

٤- محافظتهم على الثوابت الإسلامية وعدم التفريط فيها، وبناء المدارس والمساجد والمراكز الثقافية، وإمدادها بالعلماء المتميزين الذين يعرفون أصول الدعوة إلى الله، ويعينون المسلمين على حل مشكلاتهم الدينية والاجتماعية.

٤- الاهتمام بالعامل الاقتصادى والبعد عن التهميش فى حياة منعزلة عن الآخرين، بل يجب التنبيه إلى ما يفعله اليهود فى مختلف الدول الغربية للسيطرة على اقتصاديات هذه البلاد.

وقد قمت بعرض أهم المشكلات التى تواجه المسلمين فى الغرب، وقمت بتحليل مشكلات: الاندماج، والزواج المختلط، واختفاء التمثيل السياسى للمسلمين فى البلاد الغربية عن طريق هيئات منتخبة منهم أسوة بالوضع بالنسبة لليهود والمسيحين هناك، كما اقترحت دستوراً للعلاقة بين المسلمين والأماكن التى يعيشون فيها فى الغرب تقوم على أساسين:

الأساس الأول، يتصل بدعم التعاون والتراحم والتواد بينهم، والبعد عن الخلافات الدينية والمذهبية، وعدم نقلها من بلدانهم الأصلية إلى الدول التى يعيشون فيها، مع التواصى بالتقوى والحفاظ على تعاليم الإسلام التى تقوم على أن الجماعة تحمى الفرد.

أما الأساس الثانى، فيكون بينهم وبين الناس ليكونوا قدوة فى السلوك، يتعاونون مع الغير، ويوقفون اتهامهم بالكفر والمروق، ويدعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة بين هؤلاء الناس.

والواقع أن أهم الحواجز التى كشفت عنها هذه الندوة تتمثل فى التاريخ السيء لهذه العلاقات، والذى اتسم بالقسوة والاستغلال من قبل العالم الغربى للمسلمين، وأهم المحطات له هى إخراج المسلمين من بلاد الأندلس، والحروب الصليبية، ثم العصر الاستعمارى، ولازال الغرب ينظر إلى الإسلام والمسلمين نظرة سيئة. ومن

الحواجز أيضًا: الحركات الأصولية التى وُجدت فى العالم الإسلامى والتى تستخدم مفاهيم التكفير والجهاد، ولازالت تعطى مدلولات لدار الحرب ودار الإسلام تختلف عن التفسير السليم لآيات القرآن الكريم وأحاديثه. وبالمقابل فإن الغرب يعطى مفاهيم مغلوطة عن الإسلام تسيىء إلى المسلمين، ولعل من أخطرها: تجاهل أن الإسلام رسالة وأن القرآن وحى منزل على سيدنا محمد ﷺ، وأن الإسلام دين عنف وحرب لا يعترف بالآخر ولا يسالمه.

وأظهرت العديد من الدراسات أن الاستشراق هو آخر العوائق التى حالت - وتحول- دون قيام علاقات جيدة مع الغرب، وأنه كان طليعة استعمار الشرق وبلاد الإسلام بشكل عام فى القرون الحديثة. وتناولت العديد من البحوث الدور الاقتصادى السيىء الذى لازال الغرب يقوم به ضد بلاد الإسلام، والمتمثل حديثًا فى اتفاقات التجارة الدولية، وما تفرضه من هيمنة أمريكية على مقدرات الدول الإسلامية وفى محيط جنوب شرق آسيا وماليزيا بالذات، ولازالت ذكريات إيقاع البورصة من قبل الأجانب فى البورصة ماثلة فى أذهان أهل هذه البلاد.

ومن الحواجز التى أوضحتها الندوة موقف الغرب غير العادل من القضايا الإسلامية، ونذكر الجميع بالأحداث القريبة التى أطلق الغرب فيها -وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية- يد إسرائيل تقتل وتدمر لبنان، ومنعت مجلس الأمن من الأمر بوقف إطلاق النار حتى تنتهى إسرائيل من تحقيق أهدافها، والتى لا تقف عند حد تدمير لبنان، وإنما تتجاوزه إلى حصار لبنان وقتل وتجويع أهله والتخلص من المعارضة القوية المسلمة فيها والتى يقوم بها حزب الله. هذا مع التذكير بما فعلته أمريكا فى العراق، وأثار البعض كيف تقف أمريكا والعالم الآن ضد رغبة الشعوب الإسلامية عندما أرادت الإصلاح السياسى للعالم الإسلامى والاتجاه إلى الديمقراطية، وعندما مارست هذه الشعوب ديمقراطيتها من خلال صناديق الانتخابات إذا بها تتنكر للنتيجة وتعارضها بل وتشن حروبًا بمختلف الوسائل ضدها، فقد حدث ذلك فى الجزائر وفى فلسطين (حماس) بل وفى مصر أيضًا.

ومن الحواجز التى ناقشتها الندوة: حاجز التعليم، وقدم الباحثون إحصائيات عن الدروس التى تقدم للطلبة فى مدارس الإمارات عن الآخر وعن الإرهاب وعن التسامح وإلى غير ذلك، ووجدوها قليلة جداً فى مختلف دول مجلس التعاون الخليجى، حيث كانت الدراسة دراسة مطولة للدكتور/ سعيد حارب. وأوضحت أنا شخصيًا أن مناهج التعليم فى الغرب وما تقدمه عن الإسلام فى الكتب الدراسية الغربية فى غاية السوء، وأنه يشكل الطفل الأوروبى على معاداة الإسلام، ويعطيه صورة سيئة وغير صحيحة عن النبى محمد ﷺ وعن الدين الإسلامى بشكل عام، وأنه يجب تصحيح هذه الصورة. فإذا كنا لا نتحدث عن الآخر فى مناهج التعليم وربما لا ندعو الطفل إلى التسامح على الأقل فى بعض مناهج الدول الإسلامية، إلا أن الدراسة الغربية تدعو إلى احتقار وكراهية الآخر، وأعتقد أن المدارس اليهودية ليست أقل حدة فى الهجوم على الإسلام من المناهج الغربية.

ويشكل عنصر الإعلام حيزاً آخر أهم باعتباره أحد الحواجز للتفاهم مع الغرب من الجانبين الغربى والإسلامى. فمن الجانب الغربى نجد الهجوم على الإسلام والمسلمين فى كافة القنوات التليفزيونية التى تذاع من الغرب، كما نجد المواقف المتحيزة من كافة وسائل الإعلام الغربية ضد قضايا المسلمين.

ومن ناحية المسلمين فالقنوات العربية التى انتشرت حديثًا لا تقدم ما يفيد المسلمين ولا يبث للغرب، والقليل منها لا تعطى صورة حقيقية عن الإسلام والمسلمين، بل يعوزه الفن الصحفى والإعلامى، ومن ثم فالإعلام فى وضعه الحالى - الإسلامى والغربى- يعد أحد الحواجز ضد علاقات جيدة بين المسلمين والغرب.

وقليلة هى البحوث التى تحدثت عن الجسور التى تكفل التواصل مع الغرب، ومنها أبحاث دراسات المنصفين من الغربيين عن الإسلام والدين الإسلامى، وكذلك عن الجسور القائمة حاليًا فى استشراق جديد يمثله بعض كبار المفكرين الغربيين. وتحدث آخرون عن الجسور الاقتصادية القائمة حاليًا بين العالمين ودور النفط فى التقريب بين الطرفين وكذلك الجالية الإسلامية المنتشرة فى الغرب وخاصة العقول

المهاجرة التى تسهم فى النهضة العلمية والمعرفية السائدة الآن هناك. وتحدث آخرون عن دور المعلوماتية الجديدة والشبكة الدولية للمعلومات فى تقريب الطرفين بحكم التبادل الحر السريع للمعلومات والاتصالات التى تتم وترسخ على الجانبين من قبل الشباب العربى والغربى. وتحدث آخرون عن ضرورة إتقان لغة المصالح المتبادلة حتى يمكن إقامة علاقات جيدة بين الطرفين.

وهكذا كنا فى ملتقى ضخم حضره المئات من الأشخاص من كافة أنحاء الأرض، وانتهى إلى مجموعة من التوصيات تؤكد ضرورة تشجيع الحوار الثقافى والفكرى بين المفكرين الإسلاميين والغربيين، وإدخال دراسات تركز على الغرب فى الجامعات الإسلامية وتكوين جمعية من المسلمين المهتمين بهذه الدراسات.

❊ ❊ ❊

ثقافة الحوار والتعايش المشترك بين النصارى والمسلمين

د/ جوليو تشيبلونه G. Cipollone(*)
ترجمة: د/ عبد الفتاح حسن عبد الفتاح(**)

مقدمة:

إن القراءة الفاحصة لمجريات الأحداث المعاصرة تقودنا وتدفعنا دفعاً إلى لتأمل فى الأسباب العميقة التى تغذى هذه الأحداث وتقف وراءها .

وأحد الأسباب ذات الثقل الكبير سبب ثقافى يرجع إلى رؤية الآخر الذى لا ينتمى إلى مجموعتك . ويحظى هذا السبب بقوة دفع ودعم يستمدها من الإرث التاريخى، فالأحداث التاريخية تعج بالأسباب والمبررات التى تهتف بنا لنعيش فى سلام ووئام، أو لنعيش فى حروب واستنزاف ينهشنا الخوف والتوجس .

إن أبواق السلام والتعايش السلمى، أو العداءات وسوء النوايا التى تؤدى إلى مزيد من والكراهية، تتمثل فى وسائل الإعلام . فكثيراً ما تبث برامج عنف ومشاحنات تحظى بقبول مجموعات ضيقة الأفق فى بقاع مختلفة من العالم، فتثير بذلك الرعب وتصبح عدوانية .

بيد أن الإرث التاريخى يحمل فى طياته أحداث سلام إلى جانب الحروب، ومن ثم فإن التاريخ يمكن قراءته بوصفه ملهماً للحياة أو ملهماً للموت . ومما يطمئن النفس ويبعث على الأمل أن فترة الحروب الصليبية والجهاد الصغير كانت مليئة بتجارب ناصعة جلية للتسامح وللتعايش السلمى . فكانت تمتزج معاً أمثلة للتعايش مع الآخر وللنفور منه، وأدوات للسلام مثل المحراث والمنجل وغير ذلك من أدوات البناء من ناحية، مع مخزون من الأسلحة الجديدة ذات القدرة التدميرية الهائلة من ناحية أخرى .

(*) أستاذ بالجامعة البابوية الجريجورية بروما

(**) مدرس الأدب الإيطالى - كلية الألسن - جامعة عين شمس، وعضو مجلس الشعب المصرى.

ألقيت الخطوط العامة لهذا المقال فى مؤتمر "الإسلام والمسيحية معا لبناء الحياة" بتونس فى الفترة من ١٧-٢٠ فبراير ٢٠٠٤م. وقد نظم هذا المؤتمر الدولى جامعة الزيتونة، والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ومنبر بن على لحوار الأديان والحضارات.

إن هذا المقال يستند إلى قراءة وإلى تصنيف موضوعى لأحداث تعكس التسامح والتعايش، وهذه الأحداث منثورة فى قرابة أربعين ألف سجل من الوثائق البابوية (مابين القرنين ١١ و ١٣ الميلاديين / الخامس والسابع الهجريين)، ويستند كذلك إلى المراسلات المباشرة للأمراء المسلمين، وغير المباشرة المستقاة من ردود البابوات أو من إحجامهم عن الرد. وليس من نافلة القول أن نذكر بأن شخصية البابا ودوره لا مثيل لهما خارج العالم المسيحى.

إن المؤرخ بوصفه ينقل الأحداث ويرويها له ثقافته وشخصيته اللتان لا يمكن إغفالهما، وإن كان يجدر به أن يكون أكثر حرية بقدر المستطاع فى معرفته الذاتية، وأن يظهر نوايا سلام بناءة.

وقد نوه سيسيرون إلى وظيفة التاريخ كملهم للحياة مؤكداً أنه بوصفه نور الحقيقة، يجب أن يكون بسيطاً، وحقيقياً، ونافعاً، ونموذجاً يحتذى.

إن القصد من وراء هذا المقال هو التقدمة لما سينشر فى ذلك المجلد حول الإرث الثقافى لمفاهيم وتطبيقات التسامح بين المسيحية والإسلام فى العصر الذى يطلق عليه المسيحيون : " العصر الوسيط"، والذى يتواكب مع عصر ازدهار الثقافة الإسلامية، قبل أن تدخل هى الأخرى فى عصرها الوسيط . وستتم طباعة هذا المجلد باللغتين الإيطالية والعربية معاً، تحت إشراف الجامعة البابوية الجريجورية بروما وجامعة الأزهر الشريف بالقاهرة.

١- تقارب جديد مع التاريخ وعلم كتابة التاريخ

يجدر بنا فى هذا المقام أن نبرز باختصار ما نقله التاريخ المروى والمكتوب، وأن

نلمح إلى ما يعرف بمدارس التاريخ، مع التركيز على العالمين الإسلامى والمسيحى. وفى هذا الشأن يبرز أمر له أهميته ألا وهو شخصية المؤرخ ومدى حريته ونواياه، وما إذا كان ينقل الحدث التاريخى بقصد الإبقاء على نار البغضاء والعداء متأججة بسبب الخصوصيات الدينية، أو السياسة أو العرقية، أو كانت نيته نقل الأحداث بقصد البناء لا الهدم.

إنه ليس مصادفة أن يوظف جورج بوش وأسامة بن لادن مع آخرين لفظة "حرب صليبية" فى اللغة المعاصرة بمعنى "حشد قوات ضد".

إن التاريخ يعد بمثابة وسيلة وفن لنقل ما وعته الذاكرة من خلال الكتابة على أسس موضوعية محددة . ويمكننا أن نذكر، كنبذة، المبادئ الموضوعية التى تعكس فيما بعد وظيفة الرواية والحدث المروى فى الحقبة التى تعنينا لنحدد خطاً موازياً مع الأسس الموضوعية المعاصرة، سواء فى العالم الغربى أم فى العالم الإسلامى بتقاليده الأصيلة.

ولا يغيب عنا فى هذا الخصوص وجود مدارس متنوعة "للتأريخ" تقتفى أثر رؤى ثقافة قومية راسخة، ورؤى مؤرخين يشار إليهم بالبنان، كونوا فيما بعد إتجاهاً فى كتابة التاريخ. وقد شهدت الحقبة التى نعيشها تغيرات متعاقبة على مدى دهور، من التاريخ الدورى الحولى للكتاب القدماء (شعوب وحضارات تولد، ثم تتطور، ثم تموت)، إلى التاريخ المستمر المطرد للمؤرخين النصارى، الذى يتجسد فيه تعاقب الأحداث التاريخية فى وقت واحد، ومن بدء الخليقة حتى فناء العالم . فالتاريخ يعد على أكثر تقدير قصة دون تفسيرات وشروح أخرى .

أما التميز والتفرد فيكمن فى الشرح المتكرر والشائع الذى يوجد فى كتابات وخطابات ومراسلات البابوات، كما هو الحال لدى المؤرخين الذين كتبوا عن الحروب الصليبية حيث كانت الانتصارات تفسر بوصفها "عون إلهى" وتفسر الهزائم والإخفاقات "بسبب الخطايا وجحود الناس وكفرانهم لأنعم الله. ولا يبتعد عماد الدين نفسه عن هذه التفسيرات فى تحليله لأحداث الحرب بين النصارى والمسلمين .

أما اليوم فإن مناهج التأريخ المختلفة توزن دائماً وفقًا لما يوجبه المنهج العلمى المعاصر والرؤية الجديدة للعالم التى تختلف عن "العالم الخاص" ومن ثم فإن الرؤى العتيقة والتقليدية فى كتابة التاريخ تتميز بإعلاء نبرة المديح والإطراء والميثولوجيا التى تعج بها كتب التاريخ المسيحى والإسلامى، وقد بدأت تمحص وتنقى وتخضع لإعادة النظر، بعد قراءة جديدة تثمر "تاريخاً جديداً".

إن الرؤية الجديدة للإنسانية وللعالم، هى رؤية كلية شاملة وليست متجزئة، تقود إلى أن نسأل أنفسنا سؤالاً منطقياً عما يقوله أو يكتبه الآخرون عنا، وإن إعلاء شأن العالمية على الذاتية يوسع آفاق الرؤية ويقلل إلى أدنى حد الفجوة بيننا وبين الآخرين، أى بين "الداخل والخارج" فلنكتب معاً لنتمو معاً، وستكون الثمرة الأولى لذلك أفقاً مفتوحاً لكتابة تاريخ جديد وتجاوز التاريخ الذى يكتب من جانب واحد، الأمر الذى يتيح الفرصة للإنتقال من تاريخ ميثولوجى مديحى إلى تاريخ بناء خال من التناقضات. إننا نعتقد أنه من الأهمية بمكان التعمق فى قراءة التاريخ بطريقة منهجية، وسماع الجرس الآخر، أى صوت الآخر، لكى " نعيد القراءة معاً " ونعيد كتابة التاريخ الجديد معاً وغايتنا أن نكون بناة سلام.

ونحيى ونقدر فى هذا الخصوص الجهود وبرامج التعاون التى تضطلع بها وتشرف عليها جامعات معينة ذات ثقافة غربية مسيحية، وكذلك جامعات إسلامية تعنى بإعادة قراءة وكتابة التاريخ لاستشراف مستقبل من التعايش .

٢-جذور التعايش: المساواة بين البشر، الإيمان والدين، العالمية والخصوصية

إننا عندما نكتب عن جذور التعايش، فإننا نكتب عن التسامح بوصفه اللبنة الأولى وحجر الزاوية لهذا التقارب والتوحد والعيش معاً .

وتجدر الإشارة هنا إلى جانب أنثروبولوجى ألا وهو الضعف البشرى الذى ينتج عنه عدم التسامح، حتى بين الرجل والمرأة اللذين يربطهما رباط الزوجية. ومن ثم

يحسن بنا ونحن نحاول جاهدين ترسيخ التعايش، ألا نغفل الجانب الأنثروبولوجي. وسيكون الأمر ذا بال أكثر وأكثر إذا ما قرأنا صفحات من تاريخ التعايش بين النصارى والمسلمين، لأن تاريخ التسامح بين المسيحية والإسلام هو بمثابة تاريخ العلاقات التي وضعت الأساس المتين للتعايش السلمي بين النصارى والمسلمين.

ونجد أن لفظة التسامح نفسها يشتق منها مدلول ثقافي غاية في الأهمية، ذلك أن الفعل "تسامح" في اللغة الأوربية يعني تَحَمُّل أو حمل عبء عن آخرين، والفعل ذاته يعني كذلك في اللغة العربية قدم تنازلات. وما يعنينا في دراستنا هذه أنه قبل العصر الحديث كان للتسامح معان عميقة في الزمن الماضي من خلال أعمال سباستيان كاستليون S. Castel-lion (1515- 1563)، وأعمال جان بودان J. Bodin - 1596م).

وقد انتقد المتصوفة في العالم القديم مفهوم الحضارة والتمييز التقليدي بين الإغريق والبربر . وصولاً إلى الاعتراف والإقرار برؤية مدرسة الفيلسوف الإغريقي زينون Zenone التي تقوم على المساواة الطبيعية بين البشر جميعاً أحراراً وعبيداً. وفي العهد المسيحي أصبحت الإشارة إلى المساواة بين كل البشر بوصفهم أبناء الله الخالق، وهو حب مجسد يشترك فيه جميع الناس، باعتباره إرثاً ثقافياً .

وقد أسهم في اتساع دلالات التسامح قديماً، مقارنة بدلالاته في العصر الحديث، عوامل مختلفة مثل الاتصال المباشر بالحضارات غير الأوربية من خلال الحروب الصليبية، وكذلك الكشوف الجغرافية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر والتي وضعت أساس الاهتمام بالثقافة الأجنبية أو البدائية، ومن ثم بدأت ترسخ أقدام ثقافة جديدة إنسانية أكثر من كونها لاهوتية، وقد ترتب على ذلك علمنه السياسة والأخلاق ونزع القدسية عنهما . وتلى ذلك استنكار ورفض الاضطهاد الفكري الذي كان يتم من خلال الإيذاء البدني بواسطة محاكم التفتيش والتعذيب والمحارق. وصحب ذلك الاستنكار قناعة تامة بضرورة وضع حد للحروب الدينية بين الكاثوليك والبروتستانت، تلك الحروب التي سفكت الدماء أنهاراً في أوربا في أعقاب حركة الإصلاح، وكل ذلك كان بمثابة القاعدة التي ستقوم عليها إعادة صياغة

رؤية الإنسان الحر أكثر من الإنسان المتدين.

إن التاريخ القريب يقدم لنا جون لوك وفولتير بوصفهما أصحاب باع طويل فيما يتعلق بمسألة التسامح، ذلك الموضوع الذى صار فى تطور دائم على المستوى النظرى، غير أن الإنسانية لا تزال فى بدايات طريق التسامح العملى الذى يتعلق بجوهر الموضوع وليس بشكله.

وقد كتب ك . بوبر (K. Popper - 1994)حول "التسامح والمسئولية الفكرية" وأكد على ضرورة التسامح باعتباره شرطاً لا غنى عنه يسبق التعرف على الآخر، وما يستتبع هذا التعرف من ثراء متبادل، إذ أن التقدم العلمى يتيح إمكانية النقد والمقارنة باستمرار .

إن توضيح مفاهيم الإيمان والدين يساعد بلا شك على الوضوح والشفافية، وعلى وضع سلسلة من الأسس للتعايش السلمى، إذ إن الإيمان يدخل الإنسان فى علاقة بلا حدود مع الإنسانية جمعاء، بينما يحمل الدين فى طياته عنصراً بناءاً هو عنصر التميز والخصوصية الثقافية بحدودها وأطرها التى يصعب تذويبها وإقامة التماثل بينها. فهناك عشرة آلاف نوع من الثقافات فى العالم، لا يمكن تماثلها أو تضييق الفجوة بينها من خلال عملية العولمة فقط .

إن المبادئ المثالية حول "الانفتاح على العالم" بالنسبة للنصارى والمسلمين مستوحاة من التوراة والإنجيل والقرآن.

فالاعتقاد الراسخ بأن الله تعالى يحب التسامح، وأن عدم التسامح هو أمر بشرى محض، يعد بمثابة الجذر العالمى الحقيقى للتعايش السلمى بين البشر.

وكما ظهر فى مناسبات كثيرة، لا يفوتنا أن نؤكد على حقيقة يمكن استخلاصها من بعض الأسئلة المستفزة أحياناً مثل : ما الفرق بين الأوربى المسيحى الذى يقتل وبين المسلم الذى يقتل ؟

إنه يتعين علينا أن نوقن بأن كليهما قاتل دون مثقال ذرة من شك . وبالمثل لو تعين على نصرانى أو مسلم أن يختارا صديقاً حميماً من بين أناس خائنين ينتمون إلى نفس الديانة، وأناس أمناء ينتمون إلى ديانة مختلفة فمن يختار ؟

إن العقل الراجح سيختار الشخص الأمين كصديق بلا شك، لأن الحس الإنسانى الصحيح، وليس العارى عن التفكير المنطقى والبعيد عن الواقع، يتفق على أن الأشخاص الجادين الموثوق بهم يتميزون من خلال الأعمال التى يقومون بها أكثر من تميزهم من خلال أفكارهم .

فالطيبون لا يوجدون بجمعهم فى ناحية، والأشرار كلهم فى الناحية الأخرى، إذ أن الأخيار والأشرار منتشرون فى مختلف النواحى .

إن التاريخ ينقل إلينا مواقف تهتف فى وجدان كل المؤمنين بأن الإنسان لا ينبغى أن يسفك دمه أو يستعبد. ولدينا من واقع فلسفة "زينون" مواقف مطمئنة إلى الإيمان بإمكانية التعايش . وقد تأكد ذلك لاحقاً من خلال طريق التنسك والزهد، مثل فالدو Valdoوفرنتشسكو دى أسيزى F.d' Assisi، ومن جانب المسلمين: الجيلانى، وابن العربى، وجلال الدين الرومى الذين سلكوا طريق العمل لخير الإنسانية، وقد سلكه قبلهمُ جوفانى دى ماتا G.de Matha لصالح النصارى والمسلمين على السواء . يظل أولئك يمثلون نماذج ناصعة يمكن أن يحتذى بها صانعو السلام فى عصرنا الحاضر .

٣- الصالحون بين الأمم مثل الورود تحت الصخور، ومثل النباتات فى شقوق الجدران

نود أن نشير إلى القيمة العظيمة للمراسلات التى تمت بين القيادات الدينية السامقة للنصارى والمسلمين، مقارنة بغيرها من أنواع الوثائق . فبقراءتنا ومطالعتنا لقرابة أربعين ألف سجل تمثل مكاتبات البابوات على مدى مائتين وخمسين عاماً من فترة البابوية، وقعنا على مواقف غير عادية تعكس أرضية ثقافية مذهلة للتسامح والتعايش، مذهلة مثل الورود تحت الصخور، ومثل النباتات فى شقوق الجدران، وهى نادرة بقدر ما هى

الإنسانية الشريرة.

وقد تواكب علم الأخلاق العالمى الكونى من فلسفة زينون مع الحقبة الرومانية وكان أثره ظهور التزام سياسى واجتماعى فعال يبعد عن الرغبات الطائفية، وعن الظلم والعنف، وقد تجسد هذا النموذج فى الإمبراطور ماركو أوريليو M. Aurelio بصورة واضحة ومتميزة.

وبعد تحقق المساواة، أصبح الوصول إلى مفهوم علمى للاختلاف المبنى على الندية أكثر سهولة فى معرض الحديث عن وجود أشياء طيبة بين البشر تستحق التبادل : الذكورة والأنوثة، الخدمات فى مجال العمل، خدمات تنظيم المجتمع، ومن ثم تحققت المنافع بصورة فعالة فى المدينة الإغريقية القومية من خلال تبادل الخدمات بين المهن المختلفة.

ولا يخفى على أحد الجانب الثقافى الخاص بهذا الوحى أو ذاك ، سواء فى العهد القديم، أو العهد الجديد، أو افى لقرآن. إن التعمق فى فهم النصوص الإلهية لن يمس المبدأ الأساسى وهو أن الله يحب التسامح وأن عدم التسامح هو أمر بشرى محض.

فبعد مرور ألفين وخمس من السنين على ميلاد السيد المسيح -عليه السلام-، وألف وأربعمائة وست وعشرين عاماً على هجرة محمد ﷺ نستطيع القول بأنه آن الآوان لإعادة قراءة الكتب المقدسة، بل وإعادة قراءتها معاً.

وعلى أية حال، إذا ما أعرضنا عن الاستشهادات الكثيرة نجد أن الكتب السماوية تحتوى على بعض الثوابت التى تخاطب المؤمن بوجود الله، بغض النظر عن جماعته الدينية . فأطراف التجربة الإنسانية تلتقى وتتماشى مع كل الكتب، فكل كائن بشرى هو خليقة الله، وكل إنسان تتوازن حياته على أساس أعمال العدل، كما أن الكتب السماوية تدعونا إلى التنافس فى عمل الخيرات، وخلاصة القول يجب أن نرسخ المساواة والكرامة وكذلك العدالة بين المنتمين إلى الديانات المختلفة، وأن تكون أعمال الإنسان الواقعية هى معيار تقييمه . فالصالحون منتشرون فى الأمم، وليسوا حكراً على هذه الفئة أو

تلك من أتباع الديانات، وهذه الحقيقة تعد منطلقاً غاية فى الأهمية لتعايش متناه

إن تأكيد البابا وقوله " ولو بطريقة أخرى " يعد أساساً راسخاً للتعايش، لاسيما أن هذا التأكيد جاء قبل عشرين عاماً من انعقاد مجمع كليرمنت الشهير الذى تبلورت فيه أفكار وأيدلوجية الحرب الصليبية .

إن إقرار البابا "نحن نعبد نفس الإله وإن كان بطريقة أخرى" يكتسب أهمية خاصة لعدة أسباب، وهو ما سيتم معالجته وبحثه فى المجلد الذى سبق الإشارة إليه .

ويمكننا أن نجزم بأن كلمات البابا المعبرة توضح تعددية طرق التقرب إلى الله، انطلاقاً من مبدأ أنه إله واحد . وهذا الإله الواحد الخالق يظل دائماً الرازق لكل مخلوقاته، دون تمييز أو استبعاد لأحد منها.

وفيما يتعلق بالتجربة العملية لهذه الرؤية العالمية التى تسوى بين جميع البشر أمام الإله نفسه، نلاحظ أنه يزداد لدى المؤمنين من النصارى والمسلمين على السواء استهجان ورفض العنف والحروب، وذلك يعنى احترام من ينتمى لديانة أخرى دون النظر إليه كعدو خطر .

وزيادة على ذلك، فإن النتائج المأساوية للحروب التى أودت بآلاف من الضحايا أسهمت فى فتور "التطوع الأعمى" حتى وإن دعا إليه من هم على رأس المراكز الدينية، إذ إنه من المسلم به أنه لا فائز فى الحرب التى تكلف ثمناً فادحاً من القتلى والأسرى، وأن القتلى يعتبرون شهداء فى نظر طائفة ومجرمين فى نظر الطائفة الأخرى .

والمسلمون أنفسهم يجعلون من النصارى مناهضين للحرب بإيمانهم بالمسيح عليه السلام الذى واجه بالكلمة - وليس بالسلاح - كل أشكال العنف . وسيضرب بعض رجال اللاهوت النصارى المثل بالحواريين الذين فتحوا العالم دون سلاح، وهذا يؤكد أن الأسلحة لم تسهم أبداً فى توسع المسيحية، وأن القهر لم يحمل أحداً على اعتناقها.

وقد بدأ الترويج لتجربة أعمال الخير "خارج المجموعة" لإظهار قبح الظلم

الموجود داخل المجموعة التى ينتمى إليها الإنسان. وقد أسهم الاتصال المباشر عن قرب مع العدو - حتى وإن كان من خلال الحرب - فى رؤية هذا العدو كشبيه ومثيل لنا له نفس المميزات ونفس العيوب، وليس كهمجى وطاغية. وهناك إشارات إلى حكم ومواقف نبيلة نسبت إلى كافرين، وهى "تعلم" النصارى العدل، وكذلك إشارات إلى الجنس البشرى تقوى القناعة بأن الناس سواسية فى كرامتهم.

وقد أسلفنا القول بأن المتصوفة والقديسين والشعراء والأنبياء يرفضون التطوع للحرب لأن لديهم قناعتين : الأولى : عدم جدوى العنف بين البشر، والأخرى هى القناعة بأن الله واحد وأن الحب العالمى الذى لا يعرف الحدود معيار مهم "لمعرفة الله".

وأظن أن المؤرخين المسلمين يمكنهم أن يجلوا مواقف مشابهة فى الثقافة الإسلامية مستخلصة من مكاتبات الخلفاء والسلاطين و "أمراء المؤمنين" وبذلك يمكننا توسيع مساحة النماذج التى تحدثنا عن الورود التى تنبت بين الصخور والنباتات التى تولد فى شقوق الجدران، وذلك على أساس مبدأ " وإن كان بصورة أخرى" . هم قلة نعم، ولكنها القلة التى ينعقد عليها الأمل فى تعايش عالمى أكثر عمقاً .

وهناك خط مواز مؤصل شرعاً هو "لا إكراه فى الدين" مع الأصل الإيجابى وهو "ضرورة أن يكون الإنسان مؤمناً" كل حسب ديانته التى يعيشها داخل منظومة الثقافة الخاصة به، إذ أنه من الصعب بمكان إفتراض أن يكون الإنسان البعيد بالكلية عن دينه قادراً على أن يسلك طريق التعايش العميق والدائم والعالمى .

وهناك أمر يجب أن يملأنا بالتواضع وكذلك بالتقدير لمن هو ليس مثلنا، فلو ولد أحد مسلمى مكة بروما مثلاً لربما كان نصرانياً لاتينيا، كاثوليكياً بطبيعة الحال. وبالمثل لو ولد كاثوليكى من روما بمكة لربما صار مسلماً؛ ولذا قد يكون من السفه أن نظن أن الأخيار يكونون دائماً فى ناحية، والأشرار فى الناحية الأخرى .

٤-نصارى أسوأ من المسلمين، ومسلمون أسوأ من النصارى

إن القدرة على نقد الذات هى أسمى آيات النضج البشرى والذكاء المنفتح على

الآخرين والذى يسمح بالنمـاء والثراء. فمن يرغب فى أن يكون صادقـاً مع نفسه يجب أن يتغيـر وأن يكون دائم المحاسبة لنفسـه ليقومهـا ويصوبها على أفضل مثـال . ومقارنة النفس بالآخرين تتيح الفرصة وتفتح الباب لثراء غير عادى ينمى الفرد والجماعة، وكما هو معلوم فإن الثراء الناتج عن التغيير، من خلال اختلاط الأجناس يؤدى إلى تجديد الدم البشرى، أما المجمـوعة المحدودة والمنغلقة على نفسها حتى وإن كـانت فى أسرة فرعونية تنتج وحوشاً لأنها ليست منفتحة على الآخر .

ماذا نقول نحن عن أنـفسنا وماذا يقول الآخرون عنا ؟ يبـدو جلياً الدور المهم الذى تلعبـه المعرفة الذاتيـة ومعرفـة الآخرين فى سبيل التطور والتحسين، ولكن زيادة على المعـرفة بالذات تبـرز أهميـة أن نسأل أنفسنا كيف يرانا الآخـرون، إذ إنه لكى نصل إلى رؤية كاملة عن أنفسنا يجب أن يتـدخل فى تكوين هذه الرؤية عنصر خارجى عنا . إذ إن الرؤية من الخارج هى رؤية حرة وغير محدودة وتسهم فى تقييمنا لأنفسنا، ولذلك يجب أن نخرج عن المجمـوعة لنقرأ المجمـوعة ونقيمهـا ونساعد على نموها . إن نقد الـقائمين على الكنيسة أو المسـجد أو نقد النصرانية أو الأمة المسلمة لا يجـب أن يفهم بصورة آلية أنه نقد للمسيح أو نقد للقرآن فإن ذلك يعد خطأ فادحاً .

بعد اطلاعى على آلاف من خطابات البابوات، وجدت نفـسى سعيداً ومذهولاً فى الوقت ذاته، وأنا أرى شجاعة البابوات وهم يصفـون النصارى مرات كثيرة بأنهم "أسوأ من الكفار إلى غير ذلك من المقارنات التى تشين النصارى وهم رعايا البابوات وينتمون إلى نفس الديانة، ومن ثم فـقـد نعـت أناس ينتـمـون إلى نفس الديانـة بأنهم أسـوأ من الأعداء .

إن النصارى الذين وصفوا بأنهم أسوأ من غير النصارى أو من المسلمين، هم إما أفراد وإما جماعات، وتتدرج الصفات التى وصموا بها من التعميم، مثل : غير مؤمنين، مخادعين فجـار، ناكرين للجميل، إلى صفات وردت فى التوراة، مثل : أبناء "بليال" Belial، جنود إبليس، أعداء الكنيسة أو النصارى المارقون.ومن الممكن أن يكون أمراء المسلمـين أيضـاً قد وصـفوا المـسلمين بأنهـم أسوأ من النصـارى، إذ أنه من المنطقى أن

الأخيار لا يوجدون جميعاً فى ناحية والأشرار جميعاً فى ناحية أخرى.

٥- نموذج ومشروع للتعايش والخدمة الإنسانية المتبادلة.

إن الخروج من مناخ المقارنة على صعيد القوة والسيادة، والدخول فى مجال الخدمة والتعاون، يضع أساسا لمشروع يمكن تنفيذه لتحقيق التعايش. واليوم تعتبر تجربة الخدمات المتبادلة الواقعية والملموسة أحد المظاهر الناصعة لثقافة التعايش، خصوصاً فى حالة الضرورة وفى مجال تخفيف المعاناة . وفضلاً عن الخدمات الجديرة بالثناء عند المقارنة المنفتحة والمتجردة، فإن التبادل الثقافى بما فيه من مخاطر فى مجال الفنون والرياضة، إضافة إلى المجالات التجارية يوجد فيه تخفيف للآلام وتضميد الجراح، خصوصاً آلام وجراح الحروب.

وإذا ما إستعرضنا كلمات "الله" فى الوحى المنزل نجد أن "الله" عند النصارى هو الحب المتجسد الذى يشترك فيه جميع الناس وأن "الله" عند المسلمين له الأسماء الحسنى التى يبلغ عددها تسعة وتسعين اسماً، وهى أسماء وصفات تتجسد رسالتها الأساسية فى البر والرحمة، ويتجسد أثرها عملياً فى حياة البشر.

وليس المقام مقام استشهادات طويلة وإن كانت التوراة والإنجيل والقرآن الكريم هى كتب مقدسة مليئة بالأستشهادات التى توصى بأعمال البر وتأمر بالتسامح ومد يد العون للآخرين، وهذا أساس التعايش السلمى .

أما فيما يتعلق بنماذج الخدمة الإنسانية التى قام بها النصارى لصالح المسلمين والمسيحيين على السواء، فيمكننا أن نذكر المشروع الذى ولد ونفذ بطريقة فريدة ذلك المشروع الذى يؤكد البابا إنوتشنسو الثالث Innocenzo III أنه يهدف إلى تنفيذ أوامر المسيح (مجال الإيمان) أكثر من كونه يهدف إلى مصالح خاصة (مجال دينى)، إنه الصليب الأحمر الدولى الذى قام على أساس، تقديم الخدمات الإنسانية للجميع .

إن أعمال البر يستفيد منها النصارى والمسلمون على السواء، كما يؤكد البابا

إنوتشنسو الثالث Innocenzo III في خطابه لأبى عبد الله محمد الناصر أمير المؤمنين، وكان هذا الخطاب في ٨ مارس ١١٩٩م الموافق الثامن من جمادى الأولى عام ٥٩٥هـ. ومن الجانب المسلم نجد كثير من ألوان التسامح والرحمة مع العدو المنهزم.

وهناك دراسات أخرى يمكن أن تلقى الضوء على مثل هذه المشروعات للخدمات المجانية التى تعبر عن الإيمان أكثر من تعبيرها عن الديانة، تلك الخدمات التى يستفيد منها النصارى أو "من هم خارج الجماعة". وعلى أية حال فإذا انطلقنا اليوم من نماذج الخدمة المتبادلة، سيكون عندنا من الأسباب القوية ما يكفى لتحديد الخطط العامة لمشروعات متطورة تحقق العدل وتقود إلى السلام والتعايش السلمى .

٦-مناقشة أسباب الرجاء: دروس الماضى.. التاريخ ملهم للحياة أو ملهم للموت

إن المسلمين الذين عاشوا فى زمن الحملات الصليبية لم يلقوا بالاً لظاهرة هذه الحملات العسكرية، فعلى سبيل المثال لم تثر هذه الحروب اهتماماً كبيراً لدى المسلمين فى وقتها . ولكن استفزازات رينو دى شاتيون R. di chatillon فى زمن صلاح الدين الأيوبى هى التى أثارت حفيظة المسلمين الذين فطنوا إلى نوايا النصارى ووطأة تواجدهم الظالم الآثم.

وفى إطار لعبة المشاعر والأحاسيس هذه، حدثت عبر التاريخ تغيرات فى طرق استشعار العدو "المجهول"، إذ إن العدو يعتبر عدواً لأنه غير معروف .

ونحن نتفق مع برنارد لويس B. Lewis، الذى يرى أن نزول نابليون بونابرت بمصر على رأس الحملة الفرنسية عام ١٧٩٨م، اعتبر بمثابة غزو قامت به أمة أوربية "صغيرة" لقلب الإسلام.

وليس ذلك فحسب، بل إن من المسلمين من رأى أن بلداً إسلامياً هو الذى طرد الفرنسيين من مصر على خلاف الواقع الذى يقر للإنجليز بتلك المهمة. وقد نظر المسلمون إلى خضوعهم للأوربيين بوصفه إمبريالية تحاول أن تتحكم فى أراضى

المسلمين وتخضعها.

وما يعنينا فى هذا الصدد هو أن نؤكد على أن المصالح الاقتصادية بالإضافة إلى المصالح الدينية، هى التى تقود الأهداف التوسعية وتوجهها، وأن الدافع الدينى هو دائماً مجرد ذريعة تُخفى المصالح الحقيقية غير المعلنة. نعم إن التاريخ مُعلم للحياة أو مُعلم للموت.

هناك حاجة ملحة إلى من يصنعون السلام من هؤلاء الذين يتميزون بالحس المرهف ويعملون على نشر العدل بين الناس من أجل التعايش السلمى الدائم. إن مسألة التعايش ليست مستحيلة لأن التعايش حدث بالفعل وكان واقعاً مجربًا. إن مجال الخدمات الإنسانية يظل المجال الأكثر إلحاحاً والأكثر قيمة والمطلوب باستمرار، وقد نقل لنا التاريخ نماذج رائعة لهذه الخدمات.

ومما ذكر يتبين أن التعايش السلمى بين المسلمين والنصارى يتطلب تعمقاً فى التفكير المنفتح على الأمل، وهو رهن الإلتزام بالبحث عن هوية فى إطار منظومة القيم والأخلاق ومن خلال خيارات تتسم بالصدق والشفافية.

إن استعادة بعض المبادئ الأخلاقية الأساسية ونشر بعض القيم لتكون أكثر شيوعاً، يمكن أن يمثل فائدة عظيمة للتعايش السلمى بين أوربا والإسلام ؛ لتصل إلى درجة التنافس فى أعمال العدل والبر. و باستعادة الهوية وبتطهير العقيدة من الغلو والتطرف يمكن تجاوز الصدام بين الثقافات والوصول إلى حوار بين الحضارات.

إن الأخلاق بشمولها وتباينها تحقق التكامل بين الشعوب، وإن السلام بدون عدل ليس إلا عنف صامت. إن الأمر يتعلق بخيار وحيد قابل للتحقيق من الناحية الإنسانية ألا وهو إفساح المجال لمن لا ينتمى إلى المجموعة ليتعايش مع أعضاء تلك المجموعة، بدلاً من زرع الألغام ضد الأطفال وضد الرجال وضد النساء، أى ضد الإنسانية.

إن هناك أسباباً لأمل يلزمنا بالعمل من أجله، فهناك قبل كل شئ النتائج المريرة،والمأساوية التى تنجم عن العنف الذى يمارسه البشر فيما بينهم. وهناك أسوأ

أنواع العنف وهو الذى تستتر بالدين منذ آلاف السنين. ومن هنا يجب أن يكون عندنا القناعة بأن امتلاك الإيمان سيعطينا القدرة على استعادة البعد العالمى الشامل للتعايش بين البشر.

إن الإنسان مُصور ومخلوق بشموله وكماله، وكلما عاش بهذا الشمول كلما كان عالمياً، واستطاع أن يستقى من الثراء العالمى. إن النص التوراتى "خلق الله البشر ذكراً وأنثى" يبرز ضرورة الانفتاح على الآخر حتى لا نتلاشى، لأن الذى يعيش وحده حتى لو كان مُحصناً ومدججاً بالسلاح فإنه حتمًا سيموت.

ولا يغيب عنا صورة الديناصورات التى انقرضت وهى تحت دروعها المحصنة؛ لأنها كانت غير قادرة على التبادل والتواصل مع غيرها، وغياب نجم الإمبراطوريات الكبيرة يقودنا إلى التفكير حول ضرورة قبول الآخر الذى يختلف عنا، وهذا الكلام مخاطبٌ به المسلمون والنصارى على السواء. إن التبادل الثقافى يتيح الفرصة لنمو وتحسين الجنس البشرى، كما يظهر لنا من تاريخ اختلاط الأجناس كضرورة لاستعادة الإرادة فى صياغة مستقبل متقدم يقوم على مبادئ الأخلاق الشاملة بعيداً عن الشعار الأحمق "إنهاء العالم بأيدينا لأن ما بعدنا لا يهمنا". إن المخاطرة التى كانت موجودة فى حالة الديناصورات المنقرضة خطيرة مثل مخاطرة الزواج بين الأخوة والأخوات من أبناء الفراعنة والأباطرة، ذلك الزواج الذى أثمر وحوشاً مرعبة. إن الديانة التى تستبعد ديانة أخرى لا يمكن أن تكون ديانة حقيقى وهى وتُعبر على أية حال عن نقص فى الإيمان يفتح المجال لخروج عن النسق الطبيعى مقارنة بالشمولية التى يفرضها الإيمان بالله الذى يحب التسامح ويبغض ضده، والذى يحب جميع مخلوقاته دون تمييز أو تفاضل يتسم بالأنانية.

وفى عصرنا الحالى (٢٠٠١-٢٠٠٤م / ١٤٢٢ - ١٤٢٥هـ) حدثت وقائع خاطئة وظالمة زُجَ فيها "باسم الله" فى حرب شاملة وصفت بأنها حملة صليبية تارة وبأنها جهاد تارة أخرى، وهذا يُلقى على كاهلنا بحق واجب نحو إحياء الأمل". كل ذلك يضاف

إلى الحكمة التى جاءت على لسان "شارل إيمانويل دى لينى De. Ligne الذى يرى أن البشر الذين ينتصرون على بشر آخرين "يتألمون كما يتألم المنهزمون ولا يعرفون أبداً إلى أى مدى هم منتصرون" بينما الله يحب ويرزق كل مخلوقاته بدرجة واحدة من الحب ودون محاباة.

إن الله يبغض عدم التسامح وهذا ما يجب أن يضعه المؤمنون الموحدون فى اعتبارهم، سواء فى العالم الأوربى أم فى العالم الإسلامى. فالله هو التسامح، وعدم التسامح هو ظاهرة بشرية، ومع ذلك فإن أمراً مؤكداً كهذا أصبح عرضة للمخاطرة، رغم أن الأفهام السوية لا تختلف عليه. كما هو الحال فى أن الطيبين ليسوا دائماً فى جانب أو فى مكان واحد، والأشرار فى الجانب الآخر.

وشبيه بذلك مصادفة محل الميلاد التى لا يمكن أن تصير عاملاً لتعزيز طول العمر، لأن الكاثوليكى الذى ولد فى روما لو كان قد ولد بمكة لكان -بطبيعة الحال- مسلماً خالصاً.

كما أن الفوضى والتفرق هو أمر بشرى يرجع إلى مزاعم بشرية محضة تسعى إلى العروج بسلم إلى السماء، وليست تلك الفوضى من صنع الله الذى يحب الخير لمخلوقاته ولا يسخر منهم، ولكن الشر نابع من البشر.

فالتعايش بين النصارى والمسلمين أمر ممكن وقد حدث بالفعل، فالتاريخ ينقل إلينا أن النصارى والمسلمين عاشروا فى إخاء و وئام عندما وضعت الحرب أوزارها. إن "السلام بعد الحرب" يوجب علينا أن نعمل "للسلام قبل الحرب".

لقد حمل لنا الماضى أخباراً أكيدة مفادها أن الحمامات تعايشت مع الصقور والنسور، وأن البشرية مدينة لهذه الحمامات بما قطعته من خطوات حقيقية نحو السلام والتعايش السلمى.

إن تقييم كل إنسان على أساس أعماله الصالحة، يجب أن يقودنا إلى نقل مجال الموازنة، ليس إلى صور وأشكال التدين المتصلة بالضرورة بالعنصر الثقافى، وليس إلى

مجال الاعتقاد والثوابت، بقدر ما هو نقل مجال المقارنة إلى صعيد "أعمال الخير" التى يأمر بها الدين ميزان الإيمان، وأعمال البر تنهل وتستقى من تجربة الخليل إبراهيم فى "تجرده الكامل". إن الأشجار يتم التعرف عليها دون التباس من خلال ثمارها، وليس من خلال أوراقها، حتى بعيداً عن الحديقة التى تنبت فيها.

إن نماذج التعايش قد وصلت إلينا كبشرى واعدة للمستقبل، وإن تعاليم الإنجيل والقرآن تهتف بالنصارى والمسلمين أن "يتنافسوا" فى أعمال الخير، وإقامة العدل كأساس ضرورى للتعايش فى سلام.

وأحرى بنا أن نؤمن بأن مثال الحمامات الذى نقله إلينا التاريخ، كفيل وحده بأن يجعل من حلمنا بأن نرى الإنسانية متوحدة تنعم بتعايش سلمى عميق ولا محدود، حلماً مشروعاً وقابلاً للتحقيق.

* * *

قضايا ومشكلات
داخل المجتمعات الإسلامية فى الغرب

أ.د/ جعفر عبد السلام(*)

مقدمة

لا شك أن قيام المعهد العالمى لوحدة الأمة الإسلامية بتنظيم هذا المؤتمر المهم عن «العلاقة بين الإسلام والغرب» واختيار موضوع الحواجز والجسور كموضوع لهذا المؤتمر يعد أمراً بالغ الأهمية فى الظروف التى نحياها الآن، على أساس أنه يهدف إلى إبراز ما يمكن أن يكون جسوراً لروابط جيدة وسوية بين الجانبين، وكذا يلقى الضوء على الحواجز التى تعيق عمل هذه الجسور فى نفس الوقت.

أقول: إن هذا الموضوع يعد طرحًا جديداً لعلاقة العالم الإسلامى بالغرب؛ لأنه يستهدف فى النهاية إزالة العوائق التى تقف فى وجه قيام علاقات جيدة بين الطرفين. إن الغرب استفاد من الحضارة الإسلامية باعتراف المنصفين من أهله، أفاد منها المنهج العلمى والضوابط الأخلاقية التى تحمى المجتمع من الأضرار والكوارث، كما استفاد من العديد من الإسهامات التى قدمها المسلمون فى العلوم الأساسية النظرية والتطبيقية على حد سواء. كما أن الغرب استفاد -ويستفيد- من الموارد الطبيعية والبشرية الضمة الموجودة بالعالم الإسلامى، كما استفاد من العقول المهاجرة التى أسهمت فى التفوق العلمى فى أوروبا وأمريكا. وكذلك استفاد من الأيدى البشرية الرخيصة التى لازالت تعمل فى كثير من الدول الأوروبية، بعد أن هاجرت للإسهام فى تعمير ما خربته الحربان العالميتان فى أوروبا، وهذه جسور لإقامة علاقات جيدة بين الطرفين.

لكن العوائق والحواجز بين الطرفين لازالت واسعة، يأتى على رأسها عدم قدرة المسلمين الذين هاجروا إلى الغرب على الاندماج مع المجتمعات الجديدة، مما أوجد

(*) أستاذ القانون الدولى، الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية.

أولاً: مراحل التواجد الإسلامي في أوروبا:

بدأ استقرار المسلمين في أوربا قرابة النصف قرن لأن سبع محاولات متعددة لفتحها في عصر الجهاد العظيم كان من نتيجتة وجود دولة قوية للإسلام في أوروبا - أسبانيا ، عاشت زمنا طويلا من ٩٢ - ١٣٨هـ إلى ٧١٠ - ٧٥٥م بل إن وجودها في جنوب أوروبا قد اثر تأثيرا كبيرا في الحياة الأوروبية والحياة في بلاد الإسلام في نفس الوقت.

وكانت المرحلة الثانية للتواجد الإسلامي بأوربا على يد العثمانيين الذين برزوا كقوة كبيرة نشرت الإسلام في أوربا واوجدت دولا مهمة له في البلقان وبالذات في البوسنة والهرسك وفي بلغاريا واليونان وألبانيا ومناطق عديدة في وسط وجنوب أوروبا.

لقد كان دخول المسلمين إلى أوروبا في هاتين المرحلتين دخولا صعبا تم عن طريق الجيوش ولقي مقاومة صعبة من قبل الشعوب الأوروبية ، بل إن هزيمة المسلمين في الأندلس عرفت ألوانا من المعاناة للمسلمين على يد الأوروبيين وكان من حصيلتها إنشاء محاكم التفتيش وقتل وإعدام الأبرياء أذاقتهم سوء العذاب بلا ذنب ولا جريرة.

وبعد المرحلة الثانية ، والتي لازالت أوروبا تعايش بعض آثارها حتى الآن وجدنا أعمالا إجرامية ارتبطت بمحاولات عديدة لإخراج المسلمين من أوروبا ، وعدم السماح من جديد بتكوين أي دول لهم فيها، وتمثل مأساة البوسنة والهرسك وكوسوفا أمثلة واضحة لما نقول.

مع ذلك منذ نصف قرن تقريبا بدأت تقيم سياسة جديدة في التعامل مع المسلمين على أرضيها. لقد أشبعت أوروبا غرورها عندما انتصرت على المسلمين في ديارهم واستطاعت أن تحاصر الإسلام في دياره وخاضت عدة حروب ضده ، بعد عصر الحروب الصليبية، أعني حروب الاستعمار التي ارتبطت بحركة الكشوف الجغرافية في القرن السادس عشر ، وبدأت تستعين بالمسلمين من البلدان التي افتتحها من شبه القارة الهندية ، ومن المغرب العربي ومن تركيا ، ومن الشام ومصر وغيرها.

لقد كانت ترسى صرح حضارتها الصناعية وبدأت تحتاج بشدة إلى الأيدى العاملة العربية الرخيصة بعد الحربين العالميتين وما سببته من نقص الرجال ، فاستعانت كل دولة أوروبية بأبناء مستعمراتها للحروب أولا ، ثم للتعمير بعد ذلك وكانت الظروف مواتية لدى شعوب المستعمرات للخروج من بلادها تحت ضغط مغريات عديدة أهمها: الأجور المرتفعة، مستوى المعيشة الأفضل، ثم الانفتاح على علوم النهضة الأوروبية الحديثة لدى فئات كثيرة من هذه الشعوب.

وهكذا تجمع ملايين البشر من المهاجرين المسلمين وغير المسلمين فى بلدان أوروبا الرئيسية ، واخذوا يمارسون دور مهمًا فى الحياة الأوروبية ، وبدأت العديد من المشكلات المتصلة بهذا الوجود تطفو على السطح.

وبدأت تثار بشدة قضية تعامل أوروبا مع المسلمين الموجودين على أراضيها ، كما بدأت تثار بشدة قضايا علاقة المسلمين بهذه البلاد.

ثانيا: مشكلة اندماج المسلمين فى الحياة الأوروبية:

لقد كانت هذه الأقليات تعيش لفترات مؤقتة وكان أملها فى العودة إلى بلادها أملا قائما ويتجدد مهما طال الوقت ، ولكن الزمن مضى بها واستقر أغلبها فى أوروبا ، بل إن العديد منهم ، شجعوا أقاربهم وذويهم على النزوح إلى أوروبا وتزوج بعضهم من زوجات أوربيات وانجبوا منهن ، كما أنجب بعضهم أبناء عاشوا فى أوروبا ولم يخرجوا منها وبدأت الأجيال تعانى من مشكلات جديدة.

والأسئلة التى أثيرت وتثار حتى الآن حول الوجود الإسلامى فى أوروبا هى : هل يسمح لهم بالاندماج فى المجتمع الأوروبى بحيث يشكلون جزءاً منه أم يظلون أقليات لهم حقوقهم الخاصة ولا يندمجون.

وإذا كان الاندماج غير مطلوب ، فما هو البديل الأفضل لهم الآن ؟

ولقد تفاهمت هذه المشكلة بشكل كبير بعد انتهاء الاتحاد السوفيتى وزواله من

خريطة العالم ، كان هناك صراعا أيديولوجيًا حادًا بين النظام الغربى الرأسمالى والنظام الشيوعى السائد فى الاتحاد السوفيتى وكانت الشريعة هى الأيدلوجية البغيضة للنظام الغربى، وبدأ هذا النظام يبحث عن عدو آخر وصراع بديل ، واتخذوا الإسلام والمسلمين كعدو بديل.

وبدأت بعض الأحزاب السياسة والأنظمة الأوروبية فى اتخاذ إجراءات للمواجهة حتى فى فرنسا التى استفادت استفادة كبرى من الوجود الإسلامى فيها ، رأينا الأحزاب تطالب بمنع الهجرات إلى أوروبا ، بل وبطرد المهاجرين المستقرين منذ عدة أجيال فيها ، وبدأت مقولة الشاعر الإنجليزى ردوارد كبلينج (الشرق شرق والغرب غرب) ولا يمكن أن يلتقيا ، تسيطر على عقول الكثير من المثقفين والسياسيين فى الغرب. واتخذت معظم الدول الغربية فعلا إجراءات لمنع الهجرة وتشجيع المهاجرين الذين استوطنوا أوروبا على العودة إلى ديارهم بما فى ذلك الإغراء بالمال.

ويقابل هذا الاتجاه اتجاه أخر يدعو إلى الإبقاء على المهاجرين المسلمين ودمجهم فى المجتمع الأوروبى مع تمتعهم بحقوق وحريات أساسية تكفل تقرير ممارستهم لحرية العقيدة ، والإبقاء على السمات والخصائص المميزة لهم ، ويستند هذا الاتجاه إلى الحجج الآتية :

١- أن المسلمين قدموا خدمات جليلة للمجتمعات التى يعيشون فيها ، وساهموا فى إعادة بناء أوروبا بعد ان دمرتها الحربان العالميتان، بل إنهم وقفوا إلى جانب الدول التى يعيشون فيها فى الحرب واستشهدوا مع أبنائها فى الحرب.

٢- أن المسلمين يقومون بأعمال لا يقوم عليها الأوروبيون الآن ويقومون بالحرف المتواضعة كتنظيف المدن ورفع الأثقال.. الخ، وسيمثل تركهم لأوروبا مشكلة الفراغ فيمن يمارس هذه المهن.

٣- أن أوروبا استفادت كذلك من العقول المهاجرة منهم ، ونبغ العديد منهم فى

مختلف الأعمال العلمية ، وصاروا يمثلون ركائز للتقدم العلمى فى هذه البلاد.

٤- أن أوروبا تتعرض لمشاكل كثيرة بسبب قلة الخصوبة وستعانى بشدة من هذه الظاهرة ، وبدلا من ان تفتح الأبواب لدخول هجرات فيما بعد ، فالأفضل ان تحتفظ بهذه الهجرات التى صار لها ولاء للأوطان الجديدة ، وفهمت ظروف الحياة فيها.

٥- أن هناك مدارس أصبحت غالبية الطلاب فيها من المسلمين ، وهذه الظاهرة واضحة تماماً فى إيطاليا وبعض الدول الأوروبية الأخرى.

ونخلص من ذلك إلى أن الوجود الإسلامى فى أوربا أصبح يمثل مشكلة ، وبدأ يثير فى نفس الوقت بشدة قضية العلاقة بين الإسلام وأوربا ، وبحث أفضل الأساليب للتعامل مع هذه المشكلة الآن.

ضرورة الاندماج :

تدل خبرات التاريخ على أن الاقليات التى تعيش منعزلة عن المجتمع الذى تعيش فيه ، تتعرض للكراهية وللانهيار. ووضع اليهود فى أوروبا يرينا صدق هذه الحقيقة فى الماضى القريب.

والأفضل للمسلمين ان يندمجوا فى المجتمع الأوروبى الذى يعيشون فيه ولا يعيشون منعزلين فى أماكن خاصة وتجمعات خاصة كما نرى الآن. وهذا الاندماج يجعلهم يزاولون مهناً أفضل ويقيمون علاقات اجتماعية واقتصادية بطريقة أفضل ، ويمارسون نفس الأعمال التى يمارسها الأوروبيون.

الحفاظ على السمات الخاصة :

وهى معادلة تكاد تكون صعبة إذ إن الاندماج لا ينبغى إن يتحول إلى ذوبان فى انهار المجتمعات الأوروبية ، بل يجب ان يتم مع الحفاظ على ما يميز المسلمين من سمات. فلابد من الحفاظ على أداء الصلاة والتقاليد الإسلامية فى المعاشرة واحترام الغير وعدم الانغماس فى اللذات والشهوات بالطريقة الأوروبية واحترام القيود التى

يفرضها الإسلام على ممارسة الجنس، إلى غير ذلك من المعتقدات والعادات الإسلامية.

ومطلوب من المجتمع الأوروبى أن يحترم التقاليد والمعتقدات الإسلامية ويشجعهم على التمسك بتعاليم الإسلام، بل إن المدرسة الأوروبية يجب أن تهتم بتعليم العقيدة ومبادئ شريعة الإسلام إذا أرادت لهذه الأقلية أن تكون عاملا للقوة ولبناء الأخلاق فى المجتمعات الأوروبية.

لقد حضرت ندوة فى إيطاليا اعترف فيها أحد من يكلفون بإعداد المناهج التاريخية انه وضع معلومات خاطئة عن الإسلام كالقول بأن النبى محمد هو الذى كتب القرآن الكريم ، كما وضع صور تختلف مع ما علمه بعد ذلك عن الإسلام. ولا شك أن سوء فهم الإسلام وتصوير المسلمين بشكل سيىء ظاهرة قائمة فى المجتمعات الغربية بشكل عام ، وهى تغاير الواقع.

إن معضلة التعامل الناجح بين الحضارة الغربية والمسلمين الذين يعيشون فى أوروبا تكمن فى الاحترام المتبادل لأسس الحياة السليمة ، ان وجود اكثر من ثقافة أمر يثرى التجربة الإنسانية وينميها ويعطى قيمة للحياة بشكل عام ولا يمنع ذلك من احترام مقومات عامة للحياة المشتركة لأننا فى النهاية ننتمى لجنس واحد ولعالم واحد.

تجاوز المشكلات :

ان المسلمين الذين يعيشون فى أوروبا الآن لا يمثلون النموذج الإسلامى الذى يجب ان يكون وللأسف فان فريقا منهم يمارسون أعمالا هامشية بل إن الكثير منهم يقومون بأعمال غير مشروعة مثل الاتجار بالمخدرات وأعمال الدعارة ، وهى أمور محرمة فى الشريعة الإسلامية وفى مجتمعاتهم الأصلية وفى المجتمعات الأوروبية التى يعيشون فيها. لذلك فان السجون الأوروبية تمتلئ بهم ، كما إن الممارسات تبث الكراهية لهم فى هذه المجتمعات ، وهذه إحدى المشكلات الكبرى التى يجب أن تعالج لوضع حلول لمشاكل هذه الاقليات.

ثالثاً: مشكلة الزواج المختلط:

كذلك فإن أوروبا أصبحت تنظر إلى الزواج المختلط بين الرجال المسلمين والنساء الأوروبيات نظرة سيئة ، إذ إن الزواج لا يستمر طويلا لأن دوافعه تكون فى الغالب اقتصادية ، ويرتبط أغلبه بالحصول على الإقامة الدائمة فى أوروبا. وتكتنفه فى العادة صعوبات التكيف بين الجانبين نظراً لاختلاف الطباع والأفكار والعادات ، فلم يعد صعباً فى أوروبا أن يترك الرجل زوجته وينظر إلى غيرها والحرية الجنسية أصبحت هى الطابع الغالب على العلاقات فى أوروبا وهى أمور لا يمكن قبولها من المسلم بسهولة، وتقع بسببها العديد من الجرائم فى الدول الأوروبية.

ويثير زواج المسلمة بالأوروبى مشاكل أفدح ، فهو محرم فى الشريعة الإسلامية ، وإن كان بعض صور هذا الزواج قد تطور إلى أن يدخل الزوج الإسلام ، إلا أنه تطور إلى قتل الزوجة من ذويها، أو هروبها بشكل أو بآخر من الوسط التى خرجت منه، وهذا يؤدى إلى ظواهر غير إيجابية فى أغلب الأحيان.

رابعاً: مشكلة عدم الولاء للمجتمع وتكفيره:

كذلك من الممارسات التى يجب التركيز عليها ، تفكير المجتمع الذى يعيش فيه المسلمون ، وعدم الولاء له ، مما يجعل الرابطة بين المسلمين وهذا المجتمع رابطة مادية يكتنفها الكثير من الصعاب التى تؤثر على الوجود الإسلامى كله فى أوروبا.

والواقع أن المؤسسات التعليمية الإسلامية التى بدأت تنتشر الآن فى أوروبا ، ومنها الأكاديمية الإسلامية بالنمسا وغيرها ، يجب أن تقوم بواجبها فى تجلية الأفكار الإسلامية الصحيحة ومواجهة هذه المشكلات بقوة.

إننا يجب أن نعترف بأن الكثير من المرشدين الدينيين والدعاة الذين يأتون إلى أوروبا ليسوا على المستوى الفكرى والعقائدى المناسب بل البعض لا يفهمون ظروف المجتمع الأوروبى الذى يعيشه المسلمون كما أن تدخلات بعض الدول الإسلامية فى شئون الجاليات المنتمية إليها مما يؤدى إلى كثير من الظواهر السلبية ، منها نقل

المشكلات السائدة فى العلاقات الإسلامية فى دولنا إلى المجتمعات الأوروبية ، وخلق أسس للصراعات الدينية والمذهبية التى نحتاج إلى التخلص منها بشدة.

ومرة ثانية أعود إلى أهمية أن تقوم المؤسسات العلمية الإسلامية فى أوروبا بالتنظير الصحيح لأسس قيام العلاقات بين المسلمين وغيرهم وبالذات فى أوروبا.

تقسيم العالم إلى دار إسلام ودار حرب

إن تقسيم العالم إلى دار إسلام ودار حرب على سبيل المثال هو تقسيم فقهى أمتله ظروف العداء التى سادت بين المسلمين وأعدائهم بسبب إخراج المسلمين من ديارهم وأقوامهم ، ولا يقوم هذا التنظير على قواعد شرعية وإنما كان يقننه الواقع. وهذه الظروف قد تغيرت الآن ، بدليل أن المسلمين يعيشون بأمان فى هذه البلاد ، ومن ثم فإن هذا التنظير يجب أن يتغير ، أو يوضع فى الحدود التى أوجدته ، بل إن الأساس الفقهى له قد انتهى فهذه الديار على أسوأ تقدير (دار عهد) وبالتالى يجب دعمها والتعاون إلى أبعد مدى معها.

كذلك فإذا كان الإسلام دين دعوة ودين جهاد ، وإذا كانت الحرب ضد الأعداء قد فرضت لتأمين الدعوة وتحقيق حرية العبادة ، وأن الظروف الآن مواتية للقيام بالجهاد - وهو إفراغ الجهد لتبليغ الدعوة - لصورة لم تتوافر من قبل ولا تحتاج إلى حمل السلاح. إذ ان الفقهاء اعتبروا أن الجهاد يتحقق بشكل أفضل إذا اعتمد الأسلوب السلمى أداة له طالما لا يوجد من يستخدم السلاح ضد تبليغ الدعوة يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[النحل:١٢٥]

ويقول : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾[آل عمران:٦٤].

وهذه الآيات وغيرها ترينا أن الكثير من الأفكار التقليدية المعتمدة فى أبواب الفقه الإسلامى ، يجب أن يعاد شرحها وطرحها بما يتمشى مع ظروف الحياة الجديدة

، ومع إقامة المسلمين واستيطانهم فى المجتمعات الأوروبية والتى لا يحكمها الإسلام ، ولا يسيطر عليها المسلمون.

إن السلام صار هو القيمة المهيمنة على المجتمع الدولى بعد الحرب العالمية الثانية على وجه الخصوص ، ويجب أن تسقط دعاوى العنف بكافة أشكالها ، ويجب أن يوجه الجهد إلى إزالة الأسباب التى تدعو إلى العداء بين الشعوب والى بث الخلافات العميقة بينهم ، وهو طرح وضعه ميثاق الأمم المتحدة فى كل نصوص وفى أول عبارة وردت فى ديباجته وهى التى جاءت تقول : " نحن شعوب العالم قد ألينا على أنفسنا أن ننقذ العالم من ويلات الحروب التى جلبت على الإنسانية مرتين خلال جيل واحد أحزانا يعجز عنها الوصف".

إنه طرح لفكرة تلغى الفوارق بين الشعوب وتعترف بالمساواة بينهم وتقر لهم جميعا بالحقوق الإنسانية وأولها الحق فى تقرير المصير وهو طرح يدعم بقوة فكرة قيام العلاقات الودية والمتينة بين شعوب الأمم المتحدة. وهو طرح أصبح يلزم كل من ينضم إلى المنظمة الدولية ويتعهد بتحقيقه لكل الشعوب ولكل الدول.

إن هذا الطرح يدعم التعاون الاقتصادى بين جميع الشعوب لإقامة السلام على أسس متينة وهو طرح أيضا يقول إن الحرب تنشأ كفكرة فى أذهان البشر ، لذا يجب أن تستبدل بأفكار تؤمن بالسلام وتقيم صروحه فى هذه العقول والأفئدة ، كما تعبر عن ذلك مقدمة ميثاق اليونسكو.

خامسا: مشكلة ممارسة الحقوق فى المجتمعات التى يعيشون فيها :

لا يمكن أن تنهض الحضارات العالمية الحديثة إلا إذا اعترف المسلمون بالآخر وتعاملوا معه وفقا لتعاليم الإسلام فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[الممتحنة:٨]، كذلك ينبغى على الشعوب الأوروبية ان تحترم المسلمين وأن تعطيهم كافة الحقوق فى أوروبا.

إنهم المحتاجون إلى ممارسة شعائرهم فى مساجد يقيمونها ، أو فى أماكن عملهم مع إجازات قصيرة فى أعيادهم ، ويحتاجون إلى احترام مشاعرهم والسماح لهم بإبداء مظاهر العقيدة ويحتاجون أيضا إلى التعليم الدينى فى المدارس الأوروبية أو المدارس التى يقيمونها.

ويحتاجون كذلك إلى الحصول على الحقوق الرئيسية التى يتمتع بها الأوروبى، وبالذات الحقوق ذات الطابع الاقتصادى والاجتماعى كالحق فى العمل وفى حد أدنى للأجر وفى إجازات سنوية وأسبوعية مدفوعة الأجر ، ويحتاج من أقام منهم لفترات طويلة أن يتمتع بالحقوق السياسية بلا تمييز.

لقد عاش الإسلام فى أوروبا لفترة طويلة ، عدة قرون ، ويمكن أن يعيش فيها الآن بشكل افضل ، بعد ان انتهى الصراع وحل محله الوئام ، وأصبحت نظرية المصالح هى التى تحكم العلاقات المتبدلة بين المسلمين وغيرهم.

وقد آن الأوان لإسقاط كل دعاوى العنصرية والإحساس بالتفوق للأجناس الأوروبية حيث قاست من ذلك أكثر من غيرها. كذلك فإن الموضوعية تحتاج إلى تحكيم الشريعة الإسلامية فيما يتصل بالعلاقات بين الرجال والنساء وهى ترشدنا إلى أى مدى احترم الإنسان الأسرة واحترام كذلك المرأة ، وإن هذا الموضوع ليس نقطة ضعف فى الجانب الإسلامى بل هو قوة. إن الحريات الجنسية المطلقة أثرت بشدة على تكوين الأسرة الأوروبية وترابطها وعلى نسبة الخصوصبة فيها ، وتحتاج ان تسترشد بأحكام الإسلام فى هذه الزاوية بالذات.

سادساً: المشكلات السياسية وتفرق المسلمين وعدم وجود مرجعية بينهم:

وبالرغم من أن الإسلام يعتبر -إلى حد ما- حديث الوجود فى الدول الأوروبية بشكل عام، إلا أنه أصبح يشكل الدين الثانى بعد الكاثوليكية، إذ زاد عدد المسلمين من أصل إيطالى -على سبيل المثال- عن المائة ألف مسلم، إلى جانب المهاجرين من الدول الإسلامية الذين بلغ تعدادهم -حسب الإحصائيات الرسمية الأخيرة- أكثر من مليون مهاجر.

ولا شك أن الوجود الإسلامى على الساحة الإيطالية يتطلب تغييرات ثقافية واجتماعية وقانونية تكفل لكل مسلم الحقوق التى ينص عليها الدساتير الأوروبية، سواء كفرد أم كعضو فى جالية دينية، بما فى ذلك حق بناء المساجد وممارسة شعائر العبادة والدعوة إلى الله.

إلا أن هذا الوجود متعدد التكوين والتشكيل، فإلى جانب الأوروبيين الذين اعتنقوا الإسلام، والمهاجرين من الدول العربية والإسلامية الذين اكتسبوا الجنسية الإيطالية، الذين يتراوح عددهم بين الثلاثة والخمسة والثلاثين ألف مواطن، يتواجد فى إيطاليا الآن عدد كبير من المسلمين نزحوا من كل بلاد العالم بحثًا عن مورد رزق أو هربًا من الحروب والحملات الشرسة التى يشنها على أرض الإسلام العدو الأمريكى ومساندوه من الصهاينة والعملاء العرب. ويصل عدد هؤلاء المهاجرين حسب الإحصائيات الرسمية الأخيرة المليون نسمة، وإن كان هذا الرقم لا يتضمن بالطبع التواجد غير المشروع والذى تقدره السلطات بما لا يقل عن مائة وخمسون ألف مهاجر.

تخلف الترابط بين المسلمين فى أوروبا وأسبابه

هذا بالنسبة للإحصائيات، أما إذا أردنا رسم خريطة مفصلة للوجود الإسلامى فى أوروبا من الوجهة الثقافية والاجتماعية والدينية، نجد أن المسلمين مفككون، ولا تكفى العقيدة ولا الارتباط بدين واحد لدعوتهم إلى الوحدة والتكاتف.

ويرجع انقسام المسلمين فى أوروبا إلى عدة أسباب، أهمها:

١- الانتماء إلى تجمعات وطنية تفرضها بعض سفارات البلاد العربية على مهاجريها، وخاصة بلاد المغرب العربى التى يشكل مهاجروها أكبر عدد من المسلمين.

٢- الانقسامات الطائفية وتعدد المذاهب والطرق التى تجد أرضًا خصبة بين المهاجرين، خاصة النازحين من إفريقيا، مثل المريدية والتيجانية، والانقسام بين السنة والشيعة، والانقسام بين السنة والمذاهب الصوفية المنتشرة بين المسلمين الأوروبيين.

٣- الصراع الناتج عن الانتماء إلى تجمعات إسلامية مختلفة، مثل:

(أ) التكفير والهجرة.

(ب) الإخوان المسلمين.

(جـ) السلفيين وغيرها من التكتلات المختلفة التى انتشرت فى السنوات الأخيرة.

٤- تعدد الاتجاهات السياسية بين المسلمين.

٥- الانعزال التام لبعض التجمعات المسلمة، مثل مهاجرى ألبانيا والبوسنة.

٦- تدخل بعض البلاد العربية والإسلامية لفرض نفوذها على المسلمين فى أوروبا، وذلك بتمويل بعض الأفراد أو الجماعات الإسلامية، وبالضغط الاقتصادى والدبلوماسى على الحكومات الأوروبية حتى تقف عائقًا أمام أى مشروع أو مبادرة لا تتفق مع أهدافها وسياستها، مما ترتب عليه فشل بل وإيقاف عدة مشاريع ثقافية واجتماعية كانت تهدف إلى خدمة الإسلام والمسلمين فى كثير من الدول الأوروبية.

سابعًا: المشكلات الاقتصادية

لا شك أنه مما يدعم ويقوى التعاون بين أوروبا والمسلمين ، تشجيع العلاقات الاقتصادية والتجارية بين أوروبا والأقطار الإسلامية على ان يتم ذلك على أسس متكافئة وعادلة.

إننا نحتاج الى هذا التعاون بشدة والظروف مهيأة لقبوله. فالدول الإسلامية يقوم اقتصادها على تجارة المواد الأولية ، وبعض الصناعات التقليدية ، بينما تمر أوروبا الآن بثورة المعلومات ويمكن ان تقام المشروعات المشتركة بين الجانبين كما يمكن إقامة مناطق للتجارة الحرة لتشجيع التبادل التجارى والتعاون فى مجال الإنتاج السلعى كما ان أوروبا يجب ان تفتح أسواقها لمنتجات الدول الإسلامية لان ذلك من الأسس التى يمكنها ان تسهم فى تجاوز الفجوة الاقتصادية الكبيرة بين الجانبين.

لقد ثبت أن العوامل الاقتصادية من أهم أسباب انتشار الظاهرة الإرهابية فى العالم وانه إذا كانت أوروبا اقوى اقتصاديا من الدول المجاورة لها ، فإنها لن تنجو من المشكلات لأن هؤلاء الجيران من الفقراء. إن أسلوب التعاون من خلال إرساء دعائم استثمار قوى فى دول الجنوب الإسلامية يجب أن يسود العلاقات الأوروبية الإسلامية فى المرحلة المقبلة.

ولا شك أن الاقليات الإسلامية التى تعيش فى أوروبا يمكن أن تلعب دور الوسيط لتنمية هذه العلاقات ، خاصة الفئة التى استوعبت قدراً مناسبا من تكنولوجيا ومعلومات العصر.

إن الصناعات الحديثة التى تقوم على التكنولوجيا كصناعات أدوات الاتصال وأجهزة الحاسب الآلى والبرمجيات الحديثة تحتاج إلى مزيد من الانتشار فى دول الجنوب، واستفادة دول الشمال فى هذا المجال ليست محدودة فهى تحتاج إلى تسويق هذه المنتجات إلى غير أسواقها بعد أن تشبعت بها هذه الأسواق.

والواقع أن التعاون الاقتصادى بين الجانبين ، وإن كان قائما الآن بدرجة ما ، إلا انه يحتاج الى دعم ، والى تزايد ليشعر الجانبان بأهميته ولتستفيد دول الجنوب اكثر منه ومن هنا تبدو أهمية ان ينشط فريق من ذوى البصيرة ممن يعيشون فى الغرب والشرق كذلك لوضع أسس قوية لهذا التعاون بشكل افضل مما تم تخطيطه فى اتفاقيات الجات والتى يحسب ما سوف يحصل عليه كل جانب -بعد التنفيذ النهائى لها- من مزايا لا يقارن بين دول الشمال ودول الجنوب.

إن اتفاقيات الشراكة الثنائية او الجماعية بين الجانبين فى الجانب الاقتصادى ، يجب أن تحقق تعاونا أوسع وأفضل فى هذه المجالات التى تقررها القوانين وأحكام الشريعة ويجب أن تأخذ طريقها للتطبيق.

ثامنًا: دستور للعلاقة التى يجب أن تسود المسلمين فى بلاد الغرب

إن عدد المسلمين خارج بلاد المسلمين يصل إلى حوالى ثلاثمائة مليون مسلم، وهم الآن فى تزايد مستمر، ومن المحتمل أن يتضاعف هذا العدد خلال سنوات قليلة. وقد أصبحوا يمثلون شريحة حية فى المجتمع الأوروبى وتبوأوا مكانًا مهمًا فى أوروبا، كما أن أبناء المسلمين باتوا يشكلون نسبة كبيرة من طلاب المدارس والجامعات الأوروبية.

إن المسلمين يمارسون الحريات الإسلامية فى مختلف المجتمعات الأوروبية وعلى رأسها ما يتصل بالعقيدة، وبالرأى والتعبير وسائر الحقوق التى يكفلها الاتحاد الأوروبى للمواطنين الأوروبيين وعلى قدم المساواة.

لذا، أرى أن يضع دستوراً للعلاقة بين المسلم والدولة التى يعيش فيها، يقوم على العناصر الآتية:

١- على المسلمين أن يتعاونوا فيما بينهم على التعامل وفقًا للقيم والمبادىء الإسلامية، وأن يتواصلوا دائمًا بالحق والصبر فى حماية هذه القيم والمبادىء وفى إقامة أركان الإسلام وشعائره.

٢- يجب على المسلمين أن يحافظوا على هويتهم والسمات المميزة لهم، باعتبارهم خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ولا يخل ذلك بالواجب الملقى عليهم -باعتبارهم مواطنين أو مقيمين- فى احترام القوانين الخاصة بالمجتمع الذى يعيشون فيه، كما أن ذلك لا يمنع من التفاعل مع الميادين الجديدة لحكم العلاقات الدولية فى ظل العولمة.

٣- يجب على المسلمين الاندماج فى المجتمع الذى يعيشون فيه، وأن يتعلموا لغته، وأن يتفتحوا على مختلف وجوه الحياة فيه، كما يجب عليهم أن يؤهلوا أنفسهم لتولى مسئوليات أساسية وفعالة فى هذه المجتمعات دون أن يؤثر ذلك على تمسكهم بدينهم.

٤- يجب أن يكون المسلمون فى أوروبا جسوراً للتواصل بين المجتمع الأوروبى والمجتمعات الإسلامية بما يحقق المصالح المشتركة للبلاد الأوروبية والبلاد الإسلامية وينمى العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بينهم.

٥- يجب على الدول الأوروبية التى تعيش فيها التجمعات الإسلامية أن تسهل لهم سبل ممارسة الحقوق والحريات المعترف بها فى المواثيق الأوروبية والدولية، خاصة فى مجال بناء المساجد، وتخصيص الأماكن المناسبة للصلاة اليومية وصلاة الجمعة والأعياد، والسماح لهم بإجازات مدفوعة الأجر فى أعيادهم الدينية، كما أنه ينبغى على تلك الدول مساعدة المسلمين على الاندماج دون الذوبان فيها فى أعمال منتجة ومشروعات مشتركة.

٦- يجب على الدول الأوروبية أن تسمح بتدريس التربية الدينية لأبناء المسلمين فى مختلف مراحل الدراسة فيها، وكذا أن تسمح بإنشاء مدارس يقيمها المسلمون لتعليم الدراسات الإسلامية واللغة العربية والحضارة الإسلامية والتاريخ الإسلامى.

٧- هناك أهمية قصوى فى إنشاء هيئات علمية متخصصة فى الدراسات الجامعية والدراسات العليا فى أوروبا تعنى بالدراسات الإسلامية بمختلف فروعها، مع الاعتراف بشهاداتها وتسهيل حق الالتحاق بالوظائف العامة وممارسة مختلف الأعمال لخريجيها.

٨- على أجهزة الإعلام التى تصدر فى أوروبا الكف عن الإساءة إلى الإسلام والمسلمين، والسماح لهم بحرية التعبير عن أنفسهم وعن عقيدتهم خلال مدد محدودة فى أجهزة الإعلام الرسمية.

٩- إن الإسلام دين سلام وسماحة بين مختلف الناس ويدعو المسلمين من مختلف مصادره إلى التعارف مع غيرهم والتعاون معهم.

١٠- ضرورة وجود هيئة إسلامية تمثيلية للمسلمين لدى الاتحاد الأوروبى أسوة

بالهيئة التمثيلية للكاثوليك والبروتستانت واليهود، وذلك حتى يمكن التشاور معهم فيما يخص التشريعات الخاصة بأمور الأقليات فى أوروبا وما يخص شئون المسلمين.

١١- على الجاليات الإسلامية المقيمة فى أوروبا أن تتمسك بمبادىء وقيم تعاليم الدين الإسلامى، وأن تتعاون فيما بينها على البر والتقوى، وأن يبتعدوا عن الشقاق وسوء الأخلاق؛ ليمثلوا القدوة الحسنة فى المجتمعات التى يعيشون فيها.

١٢- يجب إسقاط كل دعاوى الإرهاب والاتهام بمعاداة الغير التى تلصق بالإسلام والمسلمين زوراً وبدون أى أساس. وبناء على ذلك فإن من يمارس إرهاب الغير أو تخويفه بعيد عن الإسلام وتعاليمه وأحكامه ويستحق العقاب إعمالاً لقوله تعالى:: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[المائدة:٣٣].

❊ ❊ ❊

القسم الرابع
حقائق الإسلام
وأباطيل خصومه

دراسة فى كتاب جورج بوش الجد
«محمد مؤسس الدين الإسلامى»(*)

أ.د/ جعفر عبد السلام(**)

تمهيـــد

حسنًا أن تعـقد كلية الدعـوة الإسلاميـة بالجماهيـرية الليبيـة الشقيـقة هذه الندوة المهمة عن القراءة الغربية للقرآن الكريم، فهى قضـية مهمة، خاصة فى الوقت الحاضر، الذى تتداعى فيه الأمم على الإسلام والمسلمين بشدة، فى موجـات متلاحقة، كما تنبأ بذلك الرسـول محـمد ﷺ، والذى تنبـأ بهذا التـداعى وشبـهه بما تقـوم به الأكلة على قصـعتها وهو حـديث شريف تنبأ لنا كذلك بـأننا سنكون كثرة فى العدد، ولكن غـثاء كغثاء السـيل، ومطلوب منا أن نعلم أمر ديننا؛ لتغييـر هذا الحال إلى حال آخر. ولكى نأخذ بأسباب التقدم الذى يقتضى الاستحواذ على عناصر القوة.

ولهذا اخـترت كـتاب "جـورج بوش الجد"؛ لأنه مـهم من الزاوية التى تهتم بـها هذه الندوة، زاوية القراءة الغربية للقرآن الكريم، حيث قام الكاتب بدراسة القرآن الكريم، لكن هذه الدراسة -للأسف- لم تعتمد على قراءة نصوص القرآن أو التـفسيرات الصحيحة له، بل اعتمدت على التفـسيرات والمصادر الغربية المغرضة، التى أولاها المسـتشرقون عنايتهم. وهذه القضية فى غاية الأهمية، فهى تظهر عجزنا عن توصيل التفسيرات الصحيحة لكتابنا المقدس(القرآن الكريم) إلى الآخر.

وعندمـا ذهبت فى وفـد شكلتـه وزارتا الأوقـاف والخـارجيـة المصـرية للغـرب

(*) عنوان الكتاب بالإنجليزية:

Bush, George (1796-1859), The life of Mohammed; founder of the religion of Islam, and of the Empire of the Saracens.

(**) أستاذ القانون الدولى العام، الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية.

-وللندن بالذات-، أثارت الجالية المسلمة هناك -وهى كبيرة- هذه المسألة، وقالوا إن المكتبة الغربية تكاد أن تكون خاوية من مراجع عن الدراسات الإسلامية والفكر الثقافى الإسلامى باللغة الإنجليزية، وطالبنا البعض بعمل مشروع مثل المشروع القديم، مشروع الألف كتاب، الذى تتعهد فيه دولنا ومنظماتنا الإسلامية المنتشرة فى كل مكان بوضع خطة للتأليف فى الفكر الدينى الإسلامى بشكل مكثف، وباللغة الإنجليزية على الأقل؛ حتى يستطيع أفراد الجالية المسلمة أن يردوا على تلك الدعاوى الظالمة التى تنطلق ضد الإسلام والمسلمين فى الغرب.

وتكشف قراءة هذا الكتاب عن مصادر المعلومات المغلوطة، التى يعلمها الأمريكى العادى عن العرب والمسلمين، وعن الرسول ﷺ والقرآن الكريم. والواقع أن "بوش الجد" نشر هذا الكتاب لأول مرة عام ١٨٣١م، وأعيد طبعه عدة طبعات، ولكنه بدأ ينتشر فى الولايات المتحدة الأمريكية الآن، ويستند إليه أغلب من يريد مهاجمة العرب والمسلمين. والطبعة المترجمة هى طبعة مطبوعة من الكتاب عام ١٨٤٤م.

ونستطيع أن نلمس بعض الظواهر التى أعتبرها وراء هذا الفكر الشاذ، الذى قاد بوش إلى تأليف هذا الكتاب، هى:

١- سلسلة المراجع التى رجع إليها بوش كلها أجنبية وأغلبها كتب فى الغرب.

٢- أن المؤلف يقول أنه قد بذل قصارى جهده فى استخلاص صورة عادلة من خلال المصادر المتاحة له. وهذا فى الواقع هو الكارثة، فكل المصادر التى رجع إليها مغرضة، وليس منها كتاب واحد باللغة العربية، وبالتالى فالصورة الذهنية التى تشكلت لدى الكاتب هى صورة مشوهة. وأعتقد أن أى باحث فى الإسلام لا يعرف العربية، ومن لا يقرأ العربية، ليس من السهل أن يصل إلى الحقائق المتصلة بشخصية الرسول ﷺ. وقد ذكر المؤلف مراجعه وكلها باللغة الإنجليزية كما

سبق، وهذه مسألة يجب أن نأخذها فى اعتبارنا. فالمؤلف يقول[1]: « ولكى نحافظ على استمرارية القصة دون أن نقطعها بذكر المصادر، فإننى أقدم هنا المصادر الرئيسية التى رجعت إليها فى كتابة السيرة الحالية: ترجمة سير للقرآن الكريم فى مجلدين، تاريخ العالم (سلسلة مود). مجلد رقم ١، كتاب جيبون عن سقوط الإمبراطورية الرومانية، مجلد ٣. كتاب بريدو عن حياة محمد ﷺ، وكتاب يحمل العنوان نفسه ألفه "بولينفيليير"، وكتاب أخر يحمل العنوان نفسه فى سلسلة مكتبة المعلومات المفيدة رقم ٤٥. وقاموس بايل التاريخى، مادة محمد، وتاريخ الشرقيين لهوتنجر، وتاريخ الأسرات الحاكمة لأبى الفراجى، بترجمة بوكوك. وكتاب مرجان: شرح الإسلام فى مجلدين، وكشف حقيقة الإسلام لفوستر فى مجلدين. والمكتبة الشرقية لدير P.7 بلوت. وكتاب رايكوت: الوضع الحالى للإمبراطورية العثمانية. وكتاب تاريخ العرب والمسلمين السرسرية لأوكلى، فى مجلدين. ومجموعة محاضرات هُويت.. وترجمة "لى" لكتابات الموقر هـ.مارتين المثيرة للجدل. وكتاب "هويتيكر" عن أصول الآريوسية. وكتاب "فيبر" عن النبوة والنبوءات، فى ثلاثة مجلدات. ورحلات بكنجهام وكيبل وبركهارت ومادن فى بلاد الشرق».

٣- تأثير عمله الدينى عليه. لقد كان واعظًا بارعًا فى الجدال والمناظرة، وراعيًا لإحدى الكنائس فى "إنديانا بولس" أستاذ اللغة العبرية والآداب الشرقية فى جامعة نيويورك، وله مؤلفات وأبحاث فى شرح أسفار العهد القديم. وكل هذا أثر على تفكيره، وجعله يتخذ موقفًا متجنيًا على نبينا بشكل خاص، وعلى العرب بشكل عام، ثم على الكنيسة الشرقية وكل ما يخالف العقيدة التى ينتمى إليها، أى الكنيسة الغربية.

وإذا كنا نعتبر من إيجابيات هذا الكتاب أنه اعترف بأن العرب يرجع أصلهم إلى

(١) راجع مؤلفه: "محمد مؤسس الدين الإسلامى"، ص٩٤.

إسماعيل -عليه السلام- معتمداً فى ذلك على نصوص من العهد القديم، ومخالفًا فى ذلك طائفة من المستشرقين الذين أنكروا هذه النسبة. ومع ذلك فما لبث أن هاجم هذا الجنس، ورماه بأحط الأوصاف، وهذه ملحوظة مهمة يجب أن نأخذها فى اعتبارنا ونحن نتحدث عن هذا الكتاب وعن مؤلفه.

يقول "بوش": «نضيف هنا مقارنة تبين التشابه بين طبيعة العرب فى كل العصور، وطبيعة جدهم الأعلى إسماعيل: سيكون إنسانًا وحشيًا، يده على كل واحد، ويد كل واحد عليه». ويقول فى موضع آخر من الكتاب: «إن ثروة عبد الله بن عبد المطلب -والد الرسول ﷺ- قد سُلِبَت؛ لأن السلب خاصية من خصائص العرب»(١).

كذلك نجد هذا الفهم السلبى عن العرب عندما يتحدث عن ميراث النساء، فيقول: «إن العرب الوثنيين نزّاعين لمعاملة الأرامل والأيتام بطريقة غير عادلة، وهم يميلون إلى القول بأن الميراث يجب على القادرين على حمل السلاح، بل كانوا يرتبون لاعتبار الأرملة جزءًا من ممتلكات الرجل، تورث كما تورث باقى الممتلكات».

(١) شتان بن هذا التصور الغريب لطبيعة سيدنا إسماعيل، وبين ما رواه القرآن الكريم عنه وعن طاعته لله وطاعته لأبيه عندما قال له أبوه برواية القرآن الكريم: ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات:١٠٢]، وقيامه بمساعدة والده فى بناء الكعبة. يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة:١٢٧-١٢٩]. ولم نجد فى سور القرآن الكريم إلا مدحًا وتقديراً لكل الأنبياء بما فيهم إسماعيل وموسى وعيسى، ولكننا -للأسف- نجد الإساءة إلى الأنبياء، بل وإلى الحق -سبحانه وتعالى- نفسه هو إحدى السمات المتواترة فى العهدين القديم والجديد.

ورغم أن العرب اشتهر عنهم الكرم وحماية الضعيف ونصرة الحق، إلا أنه كان بهم الكثير من العيوب التى أرسل الله نبيه لهدايتهم ونصحيحها، وليس من شك فى أنها ضبطت بعد بعثة الرسول ﷺ إليهم.

ومعروف أن هذا موجود فى الشريعة اليهودية -وعلى حسب علمى- لم يكن سائداً فى بلاد العرب، ولكن الحقد الذى يملأ نفسه ضد العرب والمسلمين هو الذى يؤثر على كتاباته.

٤- نلحظ كذلك فى هذا الكتاب النزعة العنصرية الواضحة لهذا الكاتب، وتناقضه فى فهم شخصية الرسول ﷺ، فهو من ناحية يعتبره "دعيًا" وليس نبيًا، لكننى ألاحظ فى كثير من الصفحات فهمه بشكل آخر. فهو يقول: «ربما كان محمداً فى الأصل مبرأ من أية دوافع شريرة متأصلة فى شخصيته وأكثر من هذا فربما كان نتيجة لتأملاته، مخلصاً بوازع من نفسه، ونتيجة لإيمانه بأن الله واحد لا شريك له، ونتيجة إيمانه بأن بقية العالم قد أفسد هذا التوحيد (أشرك مع الله آخرين)، فعمل على تخليص قومه والعرب جميعًا من عبودية هذا الخطأ (الشرك بالله) أما وقد كان هذا دافعًا فى البداية، مصحوبًا بخيال خصب وحماسة حارة، فربما وصل به الأمر فى النهاية إلى تأكده الجازم واقتناعه اليقينى بمهمته بوصفه مكلَّفًا من الله -سبحانه- ليكون أداة لإصلاح عظيم رائع، وكان من الطبيعى أن تؤدى به ظروف تنسكه (اعتزاله للعبادة) إلى ترسيخ هذه المعانى بشكل أعمق فى عقله ونفسه. ومن المفترض أنه -بهذه الطريقة- بدأ مهمته، لكنه قد وجد نفسه قد حقق نجاحًا فاق ما كان يتوقعه، وزادت شعبيته وقوته، وطغى أخيراً حبه لنفسه على أمانته، وفاق طموحه إخلاصه وتقواه، وراحت خططه تتسع وتزداد كلما حقق نجاحًا. لقد بدأ مشروعه بدافع التقوى فأصبح فى خاتمة المطاف مُدَّعِيًا عنيداً، وحاكمًا (امبراطوراً) بلا مبادىء منغمسًا فى الملذات».

وهكذا نجد تفسيراً غريبًا، يتحول الرسول من رجل مؤمن مخلص حامل رسالة إلى شخص دعىّ عنيد، وحاكم بلا مبادىء منغمس فى الملذات!!

أى ملذات تلك التى انغمس فيها الرسول ﷺ؟! هل كان عاكف على شرب

الخمر، أو زير نساء؟! هل النبى المتقشف الذى كان يطوى أيامًا لا يدخل الطعام فى بيته؟ هل عرف ناديه المنكر أو الفساد؟! -حاشا لله-، ثم من أين أتاه هذا المشروع -على ما يسميه بوش- للسيطرة على الناس وعلى العالم بعد ذلك وهو ثاوٍ فى غار حراء يتأمل ويفكر؟!

إنه مما يؤسف له أن أضعف أجزاء هذا الكتاب، هو الجزء الذى يتردد فيه المؤلف بين مدح الرسول ﷺ وفهم دوافعه الخيّرة فى إصلاح الفساد الذى تفشى فى قومه وفى العالم، ثم قوله فى نفس الصفحة أنه تحول إلى مخادع متكبر، دون أن يفسر أبدًا هذا الانطلاق من الخير إلى الشر بهذه السرعة.

ومع ذلك، فإنه لا يساورنى أدنى شك فى أن هذا الكتاب مغرض، وتمتلىء نفس مؤلفه بالحقد والكراهية للرسول ﷺ وللمسلمين، على ما يتضح من موقفه من كثير من القضايا التى سنتناولها فى هذا البحث

أولاً: قضية أمية الرسول ﷺ:

تتضح قراءة بوش المغرضة للقرآن من زوايا عديدة ، بل إنه يخرج عن الموضوعية تمامًا عندما يقول: «إن أتباع محمد -رغبة منهم فى المبالغة فى مواهب نبيهم- عزوها إلى قوى خارقة، ورغبة منهم فى إضفاء مزيد من الإعجاز على القرآن الكريم، فإنهم يؤكدون عمومًا على أن محمدًا كان يجهل القراءة والكتابة تمامًا». ويستدل بقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾[العنكبوت:٤٨].

وتعتبر قضية أمية الرسول ﷺ إحدى القضايا المحورية التى تصدى لها هذا الكاتب المغرض، وكان كل همه من إثارتها إثبات أن الرسول ﷺ كان يجيد القراءة والكتابة، لذا فهو الكاتب للقرآن الكريم، وإن لم يستطع أن يفسر كيفية وصوله إلى مثل هذه المعلومات، والتى لا يتسنى معرفتها إلا لمن قرأ فى الكتب السابقة، أى التوراة

والإنجيل. وبالنسبة لمعرفة الرسول ﷺ للقراءة والكتابة، فهى قضية خلافية، وقد ورد بشأنها العديد من الآيات، منها:

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾[العنكبوت:٤٨].

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[الأعراف:١٥٧].

يستدل المؤلف المغرض من هذه الآيات إلى أن الرسول ﷺ صُوِّر فى القرآن الكريم على أنه لا يعرف القراءة والكتابة، وهو يردد السخف الذى قرره بأن القرآن كتبه محمد، لذا كتب هذه الآيات ليثبت أنه لم يكن يعرف القراءة والكتابة. ويرى -أى بوش- أن الرسول ﷺ كان يعرف القراءة والكتابة؛ لأنه يعيش فى بلاد العرب وهى بلاد تجارية، وتحتاج إلى كتابة المعاملات وتدوينها بدقة حتى لا تضيع المعاملات. ويشير إلى آية .﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلاَّ تَرْتَابُوا إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ

عَلِيمٌ﴾[البقرة:٢٨٢]. فالرسول الذى يكتب القرآن ذكر هذه الآية التى تفضح دعوى أميته فى نظر المؤلف.

ويقول أيضًا: «لكن آخر ما نتوقعه من القرآن الكريم -وهو ادعاء بكل ما فى الكلمة من معنى- أن يكون صادقًا دالاً على الحقيقة». فهناك أدلة كثيرة من هذا الوحى الزائف-على حد زعم المؤلف- تدلنا على أن الكتابة كانت شائعة بين العرب فى تلك الأيام» ويستدل بآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾. ويستدل على أن محمداً كان يعلم القراءة والكتابة بالآتى:

* أن على بن أبى طالب كان يعلم القراءة والكتابة، بل كان من كُتَّاب الوحى، وكان يعيش مع محمد فى بيت واحد، فهل يعقل أن أبى طالب علَّم ابنه ولم يعلم ابن أخيه؟

* أن محمداً يظل يعمل بالتجارة، والتجار يشعرون فى كل وقت بحاجتهم إلى تسجيل معاملاتهم ويخشون أن تفلت من الذاكرة أية أجزاء منها، وكانت مكة ملتقى حركة تجارية واسعة؛ لذا كانت القراءة والكتابة لازمة لأهلها إلى حد كبير. وهناك من يقول بأن الرسول ﷺ كان يعرف الكتابة والقراءة، ولكنه يفسر قوله تعالى ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾ [العنكبوت:٤٨] بأن الرسول ﷺ ما كان يتلو قبل القرآن أى كتاب من كتب أهل الكتاب، سواء التوراة أو الإنجيل، حيث لم يترجما إلى العربية إلا فى القرن التاسع عشر، والآية الكريمة لا تعنى جهل النبى بالقراءة والكتابة، وإنما تعنى أن الرسول ﷺ لم ينقل القرآن نقلاً عن الكتب السابقة، وإنما أتاه القرآن من لدن حكيم خبير(١).

(١) يقول الله -تعالى-: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ۝ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[الفرقان:٣-٦]. وهذا القول عن القرآن الكريم قديم وقد رد عليه المولى بهذه الآيات وغيرها. وأشاروا إلى أن أحد الأعجميين كان يعلمه القرآن، ورد القرآن مع ذلك بقوله تعالى: ﴿لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ =

ثانيًا: مصدر القرآن الكريم

إن هذا الكاتب -مثل غيره من الكُتَّاب المسيحيين، الذين كتبوا عن الرسول محمد ﷺ- يهتم بحكاية عابرة ترد فى كتب السيرة مقتضبة غالبًا، وهى لقاء محمد وهو فى رحلة تجارية فى بلاد الشام للراهب بحيرا. فهذا الراهب اكتشف أنه سيكون نبيًا، وسيكون له شأن كبير، وحذر الراهب عم النبى من اليهود. ويردد أن هؤلاء الكتاب يرون أن هذا الراهب -بحيرا- هو الذى درس لمحمد تاريخ الكتاب المقدس «اليهودى والمسيحى» وما به من عقائد، وأنه واضع خطة هذا الدين الجديد الذى هو مزيج متنافر من اليهودية والمسيحية. يدحض المؤلف هذا الزعم ويقول أنه لا يصدق.

ونحن نؤيده فى ذلك تمامًا، ولكنه هو وبعض الكتاب المسيحيين يرون أن هذا الشاب لابد أنه تَلَقَّى فكرة مفصلة عن تكوين دين جديد وكيفية الدعوة إليه من بحيرا الراهب.

لكنه يقول: «لا ندرى كيف ساعد آخرون محمدًا ﷺ فى تدبيج القرآن الكريم. إننا لا نستطيع الوصول إلى حقيقة هذا الأمر بشكل مُرضٍ فى أيامنا هذه، ولا نستطيع أن نحل هذه المشكلة، أو بتعبير آخر لا نستطيع أن نصل فيها إلى نتيجة مرضية».

ورغم وصوله إلى هذه النتيجة، نجده يقرر أن النبى ﷺ راح يظهر بين الحين والحين سورًا من القرآن باعتبارها وحيًا إلهيًا، وكان ذلك متضاربًا -فى رأيه- مع فكرة أنه متعصب مخادع، مع عدم قدرته على الإتيان بالمعجزات.

إن هذا الكاتب لا يستطيع أن يفسر كيف وجد القرآن بيد النبى محمد ﷺ؛ لأنه

= أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل:١٠٣]، وهكذا حسم القرآن الكريم هذه الفرية بتأكيده على أن القرآن الكريم وحى ونزل باللغة العربية، ولم ينزل أى كتاب آخر بهذه اللغة، كما أن الأمية تفسر تفسيرات مختلفة، فهى لا تعنى فقط الجهل باللغة العربية، وإنما تعنى أربعة تفسيرات:

الأول: وهو المعنى المباشر من الأمى أى الذى يجهل القراءة والكتابة.

والثانى: العرب جميعًا سموا بهذا الاسم (أميين) لجهلهم بالكتب السماوية خاصة كتب أهل الكتاب.

والثالث: سُموا بذلك أميين نسبة إلى أم القرى، فهم أميون نسبة لذلك.

والرابع: براء العقاد على أنه نسبة إلى الأمية.

ينكر نبوته وينكر أنه أوحى إليه، فهل هناك تصور فى العقل وإفتئات على العقل أكثر من هذا؟! إنه لا يستطيع أن يفسر لنفسه أو لغيره هذا الكم الضخم من المعلومات والقصص وأسس الأخلاق، وخبر من سبقنا، وعلم من سيلحقنا، إنه كتاب جامع للمعجزات والإشارات الكونية، وأسس التشريعات والأحكام الكلية. لا يستطيع بوش أن يفسر كيف تجمع هذا الكم الهائل من المواعظ والحكم والتشريعات بيد محمد ﷺ، لذا عجز عن التفسير واكتفى بالقول بأنه «دَعِيّ» أى ادعى النبوة، لماذا؟ لقد كان يعيش مرتاحًا فى وطنه مكة، يأتيه رزقه رغداً من الرعى ثم من التجارة، وعرض عليه قومه أن يجمعوا له مالاً ليكون أغناهم، وعرضوا عليه أن يجعلوه زعيمهم، وعرضوا عليه كل ما يمكن أن يرضى أى إنسان.. لكنه رفض، وكان قوله الحاسم لعمه: «والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه».

إنه صادق ورب الكعبة، وإنه نبى عظيم، بل أفضل الأنبياء وخاتمهم، وجاهد فى الله حق جهاده حتى بلَّغنا الرسالة، وأدى الأمانة حتى أتاه اليقين.

إنه عجز عن النظر إلى الحق، لذا رأى شيئًا معجزًا، ورفض أن يقر بسبب الإعجاز وأن هذا كله من لدن حكيم عليم، رغم عدم قدرته على تفسير مصدر القرآن الكريم من غير الوحى بالطبع.

ثالثا: تقويم "بوش" لرسالة النبى بشكل عام

يقرر بوش أن محمدًا واحد من أبرز الرجال وأكثرهم جدارة بالالتفات. وهنا يقول: «لقد انتهت المهمة الدنيوية لأكثر المدعين -وهو وصف طالما أطلقه بوش على الرسول الكريم- نجاحًا وتصميمًا. لقد استطاع بطموحه الواسع أن يوجه المذاهب الوطنية فتطورت بداياته المتواضعة إلى ذروة القوة بين العرب. لقد قام بثورة من أعظم

الثورات التى عرفتها البشرية، ووضع أساس امبراطورية، استطاعت فى ظرف ٨٠ عامًا فقط أن تبسط سلطانها على ممالك وبلاد أكثر وأوسع مما استطاعته روما خلال ٨٠٠ سنة». كما يبدى دهشته من صعود دينه وانتشاره السريع واستمراره ورسوخه الدائم.. وهذه شهادة من واحد من الأعداء، تظهر عظمة الرسول ﷺ، وعظمة ما أداه للبشرية من خدمات.

والأكثر من ذلك أهمية أنه يفسر هذا الصعود والتفوق بأن الله -سبحانه وتعالى- كان يخصه برعاية كبيرة؛ لأن النجاح الذى حققه لا يتناسب مع إمكاناته، ولا يمكن تفسيره بحسابات بشرية معقولة. ويؤكد هذا بقوله: «لا مناص إذن من القول أنه كان يعمل فى ظل حماية الله وعنايته. لا تفسير غير هذا لتفسير هذه الإنجازات ذات النتائج المبهرة، ولا شك أنه يجب علينا أن ننظر للإسلام -فى أيامنا هذه- بوصفه شاهداً قائمًا ينطوى على حكمة غامضة لله سبحانه وتعالى، حكمة لا تفهمها عقول البشر أو على الأقل لا تفهمها عقول البشر حتى يتحقق الغرض منها».

وهذه شهادة واضحة من أحد كبار رجال الدين المسيحى على أن الله -سبحانه وتعالى- كان راعيًا لمحمد ولنجاحه الكبير.. لكن هذا لا يغير من المحاولات المستميتة لهذا الرجل -بوش- لإثبات أن محمداً دعى، أى لم يكن مرسلاً، وأنه انتحل القرآن الكريم ولم ينزل عليه من السماء.

والواقع أن الفصل الخامس عشر من هذا الكتاب يتعرض للإنجازات غير العادية، التى حققها محمد ﷺ فى حياته، وبالطبع باعد المؤلف بين هذه المنجزات وبين أن الرسول ﷺ يُوحى إليه. ولعل ما يميزه فى هذا الشأن عن كثير من المستشرقين هو تأكيده أن محمداً ﷺ ذُكر فى التوراة وفى الإنجيل. فقد أكد أن النبوءات اليهودية والمسيحية تؤكد أن نبينا سيناطح جند السموات، وأنه هو النجم الذى هوى، ويشير إلى الآية الكريمة: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا

﴿يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾[النجم:١-٤].

ورغم أن المؤلف أورد ما سبق فى سياق وصف فيه نبينا -عليه أفضل الصلاة والسلام- بكلمة خبيثة هى (الدَّعى)، إلا أنه فى أحيان كثيرة تحدث عنه واصفًا إياه بالنبى وأحيانًا بالرسول، وذلك فى سياق فهمه لعقيدة أن الأمور مقدرة سلفًا، وأن القضاء والقدر -خيره وشره- من الله سبحانه، وأنه لا يكون فى كون الله إلا ما يريد. وما يريده الله سبحانه -على حد فهم بوش- هو أن ينتشر الإسلام، ولكن إلى حين يعود بعده المسلمون إلى حظيرة الكنيسة المسيحية وبعدها يعود المسيح ابن مريم -عليه السلام- ليحكم فى الألفية.

رابعًا: حديث الإفك

فى تتبعه المفصل لسيرة النبى محمد ﷺ، يتعرض لزوجاته فيذكرهن بالاثم واحدة واحدة، ومن الواضح أنه يعتمد على ترجمات كتب السيرة، مثل: ابن إسحق، وابن هشام. ويعرض لحديث الإفك، فلابد من التركيز على أن بوش ينظر دائمًا فى دراسته إلى ما يمكن أن يكون عيبًا فى حياة الرسول من وجهة نظره، غير أنه قريب هنا من نصوص القرآن الكريم، يفسرها حسبما يتراءى له..

انظر إلى تفسيره لآيات الإفك من سورة النور. إنه يورد قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ...﴾[النور:١١].

فهو يعلق على هذه الآيات بقوله: «وقد أشيع ما يفيد عدم إخلاص عائشة -رضى الله عنها-، ولم تزل هذه الوصمة تمامًا عنها حتى أيامنا هذه. وعلى آية حال، فإن النبى لم يصدق ما نُسب إليها.

وهو هنا يذكر الحادث، وبين عدم التصديق له من قبل النبى ﷺ، ويجعل الآية دليلاً على ذلك، فهو يريد أن يدلل من ذلك على أن النبى ﷺ هو كاتب القرآن. يتبين من ذلك أن "بوش" مغرض، فرغم قراءته للسيرة وكيف أن الرسول ظل حزينًا بسبب

ما يُشاع عن زوجته، ولكن الوحى أنقذها، وفرض عقوبات طُبِّقَت على من تناول عرضها وشرفها، ثم أعطى للمسلمين درسًا معبرًا فى ضرورة سلامة بنية المجتمع الإسلامى، والحرص على عدم إشاعة الفاحشة فيه.. لا يتحدث بوش عن شىء من ذلك ربما لتفاهة ما يمكن أن يُنسب إلى الأعراض فى المجتمع الأمريكى، ولكنه لىٌّ للحقائق على كل حال.

خامسًا: من معالم شخصية النبى محمد ﷺ

نظرًا لدراسة بوش لسيرة النبى ﷺ دراسة واضحة، فقد استطاع أن يلم بمناقبه وبالصفات الخلقية الرفيعة له، وقد وصف ذلك فى كتابه، لكنه عندما يتحدث عن كل صفة وعن شخصية الرسول بشكل عام، لا يخلو أبدًا من لمزه والإساءة إليه بطرق مختلفة.

فهو يقول: «يمكننا أن نوافق على أنه كان حاد الذهن، حصيفًا ذكيًا، حاد الذاكرة، بارعًا فى فهم الطبائع البشرية». ويعترف أيضًا بأنه كان عذب الحديث لطيف المعشر، كما لم يكن ثرثارًا ولديه قدرة فائقة على جذب الأصدقاء والأتباع وربطهم بشخصيته. ويرى أنه وهب شخصية متفوقة زاد تفوقها مع تقدم العمر، ومع ذلك فإن هذه الشخصية العظيمة المتفوقة لا تسلم من لسان هذا الكاتب المفترى وقلمه، فهو يقول إن محمدًا ربما لا يكون أكثر من إنسان عادى لو عاش فى المحيط الأوروبى المتحضر؛ لأن البلاد التى بزغ فيها نجمه كانت تتسم بالفظاظة والبربرية. كذلك فإن تاريخ محمد ﷺ يظهر أن التعصب والطموح والشهوة هى الدوافع التى تحركه، بالإضافة إلى العواطف والانفعالات المتأججة فى صدره -من وجهة نظر الكاتب-، ويرجع ما يعتبره انحرافًا عن الطباع السوية إلى ظروف عصره وإلى طباع قومه. فهو يعدد زوجاته كما كانوا يعددون، ويقتل كما يقتلون، بل يقول عبارة ضخمة وغير صحيحة على الإطلاق، وهى: أن الرسول «لم يراع القواعد الأخلاقية التى قال بها هو نفسه والتى فرضها على

الآخرين بأوامر صارمة مرعبة. لقد أساء استعمال حقوق النبوة التى ادعاها ليستر إسرافه فى حياته الشخصية». وهذا الوصف الكاذب اللعين لا دليل عليه عند هذا الرجل إلا فى تعدد زوجات النبى ﷺ بأكثر مما هو مسموح بشكل عام للمسلم العادى.

وهو هنا يستند إلى قراءة مغرضة وشاذة لبعض آيات القرآن الكريم، بل ولا يخجل هذا المغرض من القول:

«ويمنعنا الحياء من الدخول فى تفاصيل هذا الجانب من حياة محمد ﷺ وشخصيته (يقصد الجانب المتعلق بالزواج وملك اليمين)، لكن القارىء يستطيع من من خلال ما ذكرناه آنفًا أن يدرك كيف استغل النبى نبوته بوصفها أداة لإشباع الرغبات الحسية. ومن الأمثلة الصارخة ما حدث من اتصاله بالجارية المصرية مارية القبطية. لقد وصل خبر هذا الحب المحظور (الاتصال بملك اليمين) لمسمع إحدى زوجاته الشرعيات، بل لقد رأت بعينها ما حدث (أى هذا الاتصال الجنسى) فوبخته توبيخًا مريرًا فوعدها مقسمًا -ليهدّئها- ألا يعود لهذا. لكن طبيعته غلبت عليه بعد ذلك بوقت غير بعيد، فلجأ إلى الوحى ليغطى هذا الخزى فكان لابد من نص قرآنى يُحلّه من قسمه الآنف ذكره. وتلك صفحة سوداء لوثت القرآن الكريم ومؤلفه (يقصد محمدًا ﷺ) من وجهة نظر هذا المغرض.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[التحريم:١-٢].

ويقول هذا المدعى: «هنا نجد الأمر يتناقض مع ما يفرضه النبى على أتباعه، فنحن نقرأ فى القرآن الكريم ما فرضه عليهم فى الآيات التالية:

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ

عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[النحل: ٩١-٩٢].

وفى السورة نفسها: ﴿وَلا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[النحل:٩٤].

هذه مجرد أمثلة من الطبيعة العامة للقرآن الكريم، إن الجزء الأكبر منه -إلى حد كبير فى فهم المؤلف- قد صيغ لتحقيق أغراض خاصة ليكون ذريعة قلما تفشل إذا تعذرت الذرائع الأخرى، فجبريل ينزل بوحى جديد -دائمًا- مطابق للغرض المطلوب تحقيقه، إن شرع النبى فى مشروع جديد، وإن واجه اعتراضات جديدة، وإن كانت هناك صعوبات يجب حلها أو تجاوزها إن نشب نزاع بين أتباعه.. لذا فإننا نجد -كنتيجة حتمية لهذا- اختلافات وتناقضات فى هذا الكتاب (يقصد القرآن الكريم) يصعب إنكارها. ومفسرو القرآن والمسلمون عامة يعرفون هذه الحقيقة لكنهم يبررون ذلك بقولهم" إذا ناقض الوحى اللاحق الوحى السابق فإن الوحى اللاحق نسخ أو ألغى الوحى اللاحق"، وهناك أكثر من مائة وخمسين آية ينطبق عليها هذا (حكم الناسخ والمنسوخ) بل إن الدّعي نفسه (يقصد محمداً ﷺ)[1] يؤكد هذا، ففى القرآن الكريم:

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[البقرة: ١٠٦].

(١) قضية النسخ قضية خلافية فى القرآن الكريم لدى الأصوليين والأصولية، فمنهم من قال بعدم وجود أى نسخ، وقام بالتوفيق بين الآيات التى يبدو فيها التعارض الذى أدى إلى النسخ. ولدى الآخرين وقع النسخ فقط فى بعض أحكام التشريعات (تشريع الخمر مثلاً). أما آيات العقيدة وأخبار من قبلنا، فلا نسخ فيها على الإطلاق. وعمومًا لا نعرف من أين أتى المؤلف بوقوع النسخ فى مائة وخمسين آية. إن النسخ لم يقع إلا فى آيات معدودات مثل: «الصيام، الخمر، بعض أحكام الميراث» فقط لا غير.

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾[النحل:١٠١].

وإذا وُجه المسلمون المعاصرون بهذا -كما حدث أثناء نقاش هنرى مارتين معهم- أجابوا: هذا الاعتراض تافه لا جدوى منه لأن الله -سبحانه- يراعى دائمًا ما هو لازم لعبيده، ولا شك أن الآيات المنسوخة نزلت فى وقت اختلفت أحواله عن أحوال لاحقه كان لها مقتضيات أخرى. فالله واهب الشريعة الإلهية لابد أن تنظر إليه بوصفه معالجًا روحيًا لعبيده، تمامًا كما يصف الطبيب لمريضه الدواء المناسب لعلته..»

وهذه قراءة شاذة ومغرضة للقرآن الكريم؛ لأنها تتمشى مع اتجاهه العام فى القول بأن القرآن الكريم مُختلق وكتبه بشكل أو بآخر سيدنا محمد ﷺ. ولم نقرأ فى كتب السيرة ما يشير إليه من اتصاله الجنسى بمارية القبطية، إذ من المسموح به شرعًا إتيان الأمة؛ لذا لا أعرف علام يعيب الكاتب على النبى حق الاتصال ولماذا جعله غير مشروع؟! ولماذا تؤنبه إحدى زوجاته عليه؟، فآيات القرآن الكريم تعطى لكل المسلمين هذا الحق، وعلى رأسهم النبى محمد ﷺ.

كما إن سيرة النبى محمد ﷺ فى الزواج لا تجعل أى إنسان منصف يوجه هذا الاتهام إليه، فالنبى ﷺ عاش مع خديجة -رضى الله عنها- التى كانت تكبره بخمسة عشر عامًا، لمدة ربع قرن، لم يتزوج عليها أحد، وهناك مبررات كثيرة أدت إلى زيجاته الأخرى، وهذه المبررات معروفة جيدًا لدى كل كُتَّاب السيرة من العرب وغير العرب المنصفين.

سادسًا: طبيعة الدعوة الإسلامية فى نظر بوش

يعتبر "بوش" أن العقائد الأساسية التى يدعو إليها محمد ﷺ هى: أنه لا إله إلا الله، ولا معبودَ سواه، وأن عبادة الأصنام شىء غبى بغيض ويجب الكف عنه سريعًا. يقول بوش:

«والسورة رقم ١١٢ فى القرآن الكريم عنوانها إعلان وحدانية الله (المقصود سورة الإخلاص)، وهى تحظى بتوقير شديد من المسلمين، وعلى وفق ما يروى عن النبى فهى تعادل ثلث القرآن، ويُقال إن الله أوحى بها إجابة على سؤال قريش عن صفات الله الذى يدعوهم محمد لعبادته. وهى -أى سورة الإخلاص- تتكون من جملة واحدة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ وتتردد هذه العقيدة تباعًا فى سور القرآن وآياته والمؤلف (يقصد واضع القرآن) لا يهدف بهذا التكرار مجرد تخطئة تعدد الآلهة والوثنية اللتين كانتا شائعتين آنئذ بين أمم الشرق، وإنما هو يوجه أيضًا ضربة قاضية للعقيدة المسحية القائلة بأن المسيح هو ابن الله (الابن الوحيد لله).»

إن محمدًا ﷺ مثله فى ذلك مثل آخرين فى عصور أخرى، لم يستطع أن يتصور عقيدة المسيحيين فى نسبة المسيح إلى الله، أو بتعبير آخر لم يستطع أن يفهم فكرة بنوّة المسيح لله أو انحداره منه مع أن هذه الفكرة لا تؤثر بشكل مباشر فى حقيقة أن الله جل جلاله واحد أو بتعبير آخر حارب محمد فكرة التثليث مع أنها -فى نظر المؤلف- لا تؤثر مباشرة فى التوحيد الأساسى للذات العليا.

ويواصل المؤلف كلامه: وفيما يرى محمد أن أكبر السخافات هو اعتقاد أن المسيح ابن الله أو أنه مساو للآب (الله) فى الندية والأزلية. وعلى هذا فإعلانات العهد الجديد (الأناجيل وملاحقها) فيما يتعلق بشخص المسيح وطبيعته هاجمها واضع القرآن الكريم -فى نظر المؤلف- بلا هوادة لأنه لم يكن لديه الصدق والموضوعية أو القدرة على فهم الفرق بين عقيدة الثالوث الأقدس (كون الآب والابن والروح القدس إلهًا واحدًا) وعقيدة التثليث التى تعنى وجود ثلاثة آلهة منفصلين (أى الفرق بين عقيدة الترينيتى وعقيدة التريثزم). لنقرأ فى القرآن الكريم:

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾[سورة الإخلاص].

و المفهوم أن الفقرة الأولى فى الآيـة تعنى ألا تغلو فى دينكم برفض المسيح، كما فعل اليهود أو برفعه لدرجة مساوية لله كما فعل المسيحيون. قال تعالي:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾[النساء:١٧١].

وفى القرآن الكريم أيضًا فى سورة المائدة الآية رقم ١٧ : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

وفى الآيتين ٧٢ و٧٣ من السورة نفسها (المائدة) نقرأ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلاَّ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

وفى الآية ٧٥ من السورة نفسها: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾. وفى القرآن الكريم نجـد أيضًا فى السـورة التاسعـة (التوبة) ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة:٣].والواقع أن المؤلف يشيـر إلى كل هذه الآيات فى كتابه، ويعلق عليها بالقول:

«بهذا المبدأ الأساسى فى العقيدة الإسلامية، ربط محمد وجوده واعتبر نفسه نبى الله الحقيقى والوحيد منذ موسى وعيسى، ففى القرآن الكريم (سورة الجاثية) الآيتان

١٦ و١٧: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾

وفى الآية التالية من السورة نفسها نقرأ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾.

وأكد محمد ﷺ أن هدف رسالته ليس إدخال نظام دينى جديد تمامًا، وإنما إعادة دين الآباء والأنبياء القدامى من آدم حتى المسيح، فهو الدين الوحيد الصحيح ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾[الشورى:٧].

وفى سورة البقرة آية ١٣٦ وما بعدها: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾.

يقول المؤلف: «لقد راح محمد يدعو إلى إحياء العقيدة الصحيحة القديمة ليرسخها من جديد. وذلك بالدعوة إلى تطهيرها من وثنية العرب وتحريفات اليهود والنصارى. لقد قدم محمد -لفترة- حقيقة أن كتابى العهد القديم (التوراة وملاحقها) والعهد الجديد (الأناجيل وملاحقها) كانت فى الأصل وحيًا من الله إلا أنها حُرِّفَت -ويا للخجل- بعد ذلك، وأن النسخ الموجودة الآن غير جديرة بالتصديق أبدًا، وبالتالى فهو قلَّما يقتبس منهما فى القرآن» أ.هـ...

والواقع أن الدين الحق هو دين الإسلام، وأن الرسائل السابقة قد أنزلت من السماء إلى الأرض لهداية البشر، وأن إحدى المعجزات التى تدل على صدق العقيدة

الإسلامية هى اعتراف الإسلام بكل هذه الرسالات، وجعل الإيمان بها جميعًا أحد الشروط الأساسية لتحقق الإيمان.

وهناك أدلة كثيرة على تحريف اليهودية والمسيحية، وكان هناك فريق من المسيحيين يوحدون الله ولا يشركون به شيئًا، وقضية التثليث هى قمة التحريف للرسالة، والقرآن الكريم يجعل من يؤمنون بها كفرة.

❊ ❊ ❊

خاتمـــة

أردت التركيز على بعض الأفكار التى تتصـل بالقراءة الغربية للقرآن الكريم، حيث إنها جاءت من أحد الكهنة المرموقين من ناحية، ومن ناحية أخرى هو كاهن تربى فى إحدى الكنائس، وكان من غرائب الأمور أن يصل ابنه وحفيده إلى أعلى المناصب فى الولايات المتحدة الأمريكية. ولا شك أن أى إنسان عادى لابد أن يتأثر بوالده بشكل أو بآخر، خاصة إذا كان الجد له تأثير دينى على من حوله.

والواقع أن جورج بوش -حاكم الولايات المتحدة الحالى والذى يقضى دورة ثانية وأخيرة فى الحكم- قد أخذ الكثير من أفكار جده، خاصة تلك الأفكار التى تعادى الإسلام ونبى الإسلام، لقد أعلنها حربًا صليبية ضد الإسلام والمسلمين بعد أحداث ١١ سبتمبر وإن قدم تبريرات تعطى لهذه الكلمة مدلولاً آخر.

وقد ركزنا على المسائل التى تتصل بالقراءة الشاذة لكثير من آيات الكتاب الكريم -أعنى القرآن-. فهذا الكاتب لم يقرأ العربية، واعتمد على ترجمات للقرآن الكريم، والمترجم إذا نقل بآراء مغرضة فلا يمكن أن يأتى بالحقيقة. لذا فإننا نستدل على الصورة الذهنية لدى تفكير هذا الرجل كما وجدت؛ لنعرف كيف يفكر الغرب الأمريكى فى الإسلام ونبيه.

إن الفرية الكبرى التى نسمعها دائمًا فى كل ملتقى فكرى فى الغرب، أن القرآن كُتب بيد محمد ﷺ؛ لذا كثيراً ما كان يأتى بالآيات التى تدعم موقفه، وتبرر كل خطأ يرتكبه، أى أن الإسلام ليس برسالة، والقرآن ليس منزلاً من عند الله -سبحانه وتعالى-.

ومع ذلك، فلقد رأينا الارتباك والتناقض فى كثير مما كتبه هذا الرجل، فهو لا يعرف كيف وصل النبى ﷺ إلى هذه الثروة الضخمة من الهدى والعلم ونور الدعوة. ولا يصدق مثلاً دعاوى بعض المستشرقين الذين قالوا: إنما علمه "بحيرا" الراهب؛ لأنه لا يعقل أن هذا الرجل قد أعطى للنبى ﷺ كل هذه الثروة فى مقابلة أو مقابلتين،

فضلاً عن اختلاف اللغة، إذ ليس من المفترض أن "بحيرا" هذا كان يتحدث العربية وعلّم النبى بها. وهكذا وقف الرجل حائراً وهو يتحدث عن المصدر الذى استقى منه القرآن الكريم؛ لأنه رفض فكرة الوحى.

ويبدو التناقض عند هذا الرجل فى موقف آخر، فهو يعتبر وجود النبى عقابًا نال المسيحيين بسبب انحرافهم عن جادة الصواب، وأن من شأن وجوده أن ينبههم إلى ما وقعوا فيه من أخطاء، وأن المسيحيين سيعودون إلى دينهم الحق بعد ذلك، وأن المسلمين أنفسهم سيعتنقوا المسيحية. وهو يحاول -فى تردد آخر- أن يضع القواسم المشتركة بين القرآن، دين العهدين القديم والجديد. والواقع أن هذا الازدواج فى التفكير يدل على العمى الذى عاش فيه هذا الرجل -بوش-، والذى يعيش فيه من خلفه فى هذا الفكر الشاذ حتى الآن. فهو بين إنكاه وبين الاعتراف بأنه رجل صالح وأن عناية الله ترعاه، وأن انتصاره فى غزوتىْ أحد والخندق رغم التفاوت الكبير فى القوة والاستعدادات بينه وبين أعدائه، لهو أمر لا يمكن أن يتم إلا بعون من الله وبإرادته، لذا يصرح بأن الله وقف معه، وأن الله أراد له الانتصار، وأنه حقق فى ٨٠ سنة ما لم تحققه روما فى ٨٠٠ سنة.

كما أوضحنا فى البحث القراءات الخاطئة والمغرضة لكثير من نصوص القرآن الكريم، خاصة فى حديث الإفك، وفى زواج الرسول ﷺ، وفى قتل بعض الأسرى، وإن كان التروى أيضًا فى هذه المفاهيم واضح؛ لأنه يمتدح الرسول كثيراً فى خلقه وفى تعامله مع عدوه، وفى تأثيره على طائفة واضحة من الناس الذين التفوا حوله وآمنوا به، وتحملوا المشاق والصعاب لنُصرته، ثم فى تقريره بأنه كان «زير نساء»، وأنه كان مدعيًا كما يقول بوش، تعالى الله عما يشركون.

إن قناعتى بعد قراءة هذا الكتاب هى أننا يجب أن نبذل جهداً كبيراً لترجمة أصول ديننا بشكل واضح جلى إلى اللغات الأخرى، ويجب أن تكون المكتبة الإسلامية باللغات الحية ثرية وواضحة. كما إن الدول والمنظمات والجامعات المنتشرة فى العالم الإسلامى يجب أن تنهض بقوة لسد هذا الفراغ.

والله ولى التوفيق،،

القسم الخامس
عروض الكتب

قراءة فى كتاب
محمد ﷺ أعظم عظماء العالم
لأحمد ديدات ومايكل هارت

د/ محمود السيد حسن داود(*)
ترجمة: أ/ على الجوهرى

الكتاب الذى بين أيدينا من إصدارات مكتبة الأسرة (القراءة للجميع) عام ٢٠٠٥م، سلسلة الفكر، وهو يضم دراستين مهمتين تدوران حول عظمة رسول الإسلام ورسول الإنسانية جميعًا، سيدنا محمد ﷺ. **أما الدراسة الأولى**، فإنها تتمثل فى ترجمة الفصل الأول من كاب المفكر الأمريكى "مايكل هارت": «العظماء مائة وأولهم محمد»، وفى هذا الفصل يضع المفكر الأمريكى رسولنا محمد ﷺ على قائمة أكثر الأشخاص تأثيراً فى العالم؛ لأنه استطاع أن يحقق النجاح الكامل على المستويين الدينى والدنيوى، كما استطاع أن يحقق تألقًا منقطع النظير، وبذلك كان رسول الله ﷺ هو الشخص الأكثر تأثيراً فى التاريخ الإنسانى.

وأما الدراسة الثانية، فهى للمفكر المسلم "أحمد ديدات"، والذى عرف بشجاعته وجرأته والدفاع عن الإسلام، والرد على الأباطيل التى يثيرها أعداؤه. وقد سبق هاتين الدراستين تصدير لمكتبة الأسرة بينت أهمية موضوع الكتاب الذى صدرت الطبعة الأول منه عام ٢٠٠٢م، وأن رسولنا الكريم (موضوع الدراستين) ليس قدوة للمسلمين فحسب، بل هو قدوة للناس أجمعين، ومقدمة للمترجم، والتى بينت أن رسول الإسلام كان له خصوم كالوا له الاتهامات الزائفة والأقاويل والأكاذيب، كالقول بأنه ساحر أو لص أو لم يستطع الوصول إلى كرسى البابوية فاخترع دينًا جديداً لينتقم من زملائه، لكن الله قد قيّض له من الكتاب وقادة الفكر -شرقًا وغربًا- من يدافع عنه، ويرد هذه التهم الفاسدة والأباطيل الكاذبة، ومن هؤلاء "مايكل هارت" الذى يجعل من نبى الإسلام أعظم العظماء بلا منازع.

(*) أستاذ القانون الدولى المساعد، كلية الشريعة والقانون بدمنهور - جامعة الأزهر.

وقد جاءت الدراسة الأولى بعنوان: «محمد ﷺ (٥٧٠-٦٣٢) مركزة فى البداية على سبب اختيار محمد ليكون على رأس قائمة الأشخاص الأكثر تأثيراً فى العالم، وقد أرجعت ذلك فى المقام الأول إلى أن معظم الذين أثروا فى العالم من الشخصيات المهمة قد وُلدوا وتكاملت معالم شخصياتهم فى أوساط ذات صبغة حضارية، وأتيحت لهم فرصة التمتع بثقافة رفيعة المستوى كل فى عصره الذى بزغ فيه نجمه، أما محمد ﷺ فقد وُلد فى مكة فى الجزء الجنوبى من شبه الجزيرة العربية، والتى كانت -آنذاك- منطقة بالغة التخلف الحضارى بالنسبة إلى بقية أرجاء العالم، إذ كانت بعيدة كل البعد عن مراكز التجارة والفن والعلم، هذا فضلاً عن كونه وُلد يتيمًا ونشأ فى ظروف بالغة التواضع، وكان أميًا لا يقرأ ولا يكتب، والناس من حوله يعبدون الأصنام والأوثان، ويؤمنون بآلهة متعددة، ولا يوجد من يشجعه أو يؤهله ليكون مجرد شخص مرموق أو متميز بين الناس.

ثم عرض لطرف من سيرة الرسول ﷺ، حيث أُوحى إليه فى سن الأربعين من عمره، وظل يدعو إلى الإسلام أصحابه وذوى قرابته سراً لمدة ثلاث سنوات، ثم بدأ يدعو علنًا إلى هذا الدين الصحيح، وحينما شعرت السلطات فى مكة بأنه قد أصبح وأتباعه مصدر إزعاج شديد لهم فى مكة، هاجر إلى المدينة، حيث كثر أتباعه وأصبح هنالك ذو قوة سياسية عظيمة، وذو نفوذ وسيطرة جعلت منه حاكمًا يفرض آرائه وأحكامه على الحياة بالمدينة، وبعد الهجرة جرت عدة معارك انتهت بعودة الرسول ﷺ إلى مكة منتصراً، وتحقق له فتح مكة التى شهدت تحولاً سريعًا من القبائل العربية نحو الدين الجديد، ولم ينتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى إلا وهو الحاكم الفعلى لكل جنوب شبه الجزيرة العربية.

وفى العهد الأول للدولة الإسلامية -وبعد موت رسول الله ﷺ، قامت الجيوش الإسلامية بعدد من الفتوحات الكبرى فى التاريخ البشرى فى شمال شرق شبه الجزيرة العربية، حيث تقع امبراطورية فارس، وفى شمال غرب شبه الجزيرة العربية أيضًا حيث

تقع امبراطورية الرومان، ثم تم لهم انتزاع مصر، ولم يكتف العرب بذلك، بل اجتاحت الجيوش بعد ذلك شمال إفريقيا، ثم اتجهت هذه الجيوش شمالاً، حيث عبروا مضيق جبل طارق، واستولوا على بعض الأراضى الأسبانية والفرنسية، واستطاع العرب بتعاليم نبيهم محمد ﷺ أن يستخلصوا لأمتهم امبراطورية تمتد حدودها من الهند إلى المحيط الأطلسى، وهى أكبر امبراطورية عرفها التاريخ حتى الآن.

واليوم على الرغم من أن عدد المسيحيين فى العالم يصل إلى ضعف عدد المسلمين، إلا أن محمداً ﷺ يمثل مكانة أعلى وأهم من مكانة عيسى -عليه السلام- فى تاريخ البشرية، ويرجع ذلك إلى أمرين مهمين أو سببين رئيسيين، السبب الأول كما يقول المؤلف: «أن محمداً ﷺ قد لعب دوراً أكثر أهمية فى تأسيس وتطوير الدين الإسلامى من الدور الذى لعبه عيسى -عليه السلام- فى تأسيس وتطوير المسيحية». والسبب الثانى: «أن محمداً ﷺ كان قائداً دنيوياً كما كان مؤسساً لدين جديد، ولم يكن ذلك هو شأن المسيح -عليه السلام». ويخلص المؤلف من ذلك كله إلى تقرير العظمة لرسول الله ﷺ، بل إنه أعظم القادة تأثيراً فى التاريخ البشرى، فيقول: «وباعتبار أن محمداً ﷺ كان يعتبر بحق القوة الدافعة وراء الفتوحات العربية، فمن الجائز لنا أن نعتبره بحق جديراً بأن يكون هو أعظم القادة السياسيين تأثيراً فى كل عصور التاريخ البشرى.

لكن مما يمكن أن نأخذه من المثالب التى وردت بهذه الدراسة التى قدمها مايكل هارت ما يلى:

* اعتباره هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة «هروبًا» ومما قاله فى ذلك: «وعندما بدأ يكسب أتباعًا لدينه الصحيح ببطء، أصبحت السلطات فى مكة تعتبره إزعاجًا خطيراً، وفى عام ٦٢٢م خوفًا على سلامته هرب إلى المدينة...». ويقول أيضًا: «وجرت تسمية هذا الهروب باعتبار أنه الهجرة وكان نقطة تحول فى حياة محمد ﷺ، إلا أن الهجرة لم تكن هروبًا كما بين، لكنها كانت إذنًا من الله عز وجل- وانطلاقًا بالدعوة الإسلامية إلى مرحلة جديدة، هى مرحلة إقامة الدولة الإسلامية فى

المدينة، وقد صرح الرسول ﷺ نفسه بذلك عندما قال لصاحبه أبى بكر: «لقد أذن الله لى بالهجرة» فناداه صاحبه: الصحبة يا رسول الله، فقال الرسول ﷺ: «الصحبة يا أبا بكر».

* اعتبار أن محمداً ﷺ هو صاحب القرآن الكريم، والقرآن مجموعة من المتأملات الذاتية. وفى ذلك يقول: «لا جدال فى أن محمداً ﷺ هو صاحب الكتاب السماوى أو القرآن الكريم، وهو مجموعة من التأملات الذاتية التى كان محمد يعتقد أنها قد أُوحيت إليه مباشرة من الله -سبحانه وتعالى-». ويقول أيضًا: «.. والقرآن الكريم - بناء على ذلك- يمثل إلى أكبر حد يمكن تصوره أفكار محمد ﷺ وتعاليمه، وتتمثل فيه إلى حد كبير وبكل دقة كلماته». لكن الصحيح الذى نؤمن به ونعتقده هو أن القرآن الكريم إنما هو كتاب الله -عز وجل-، وهو يتضمن كلامه الأزلى القديم المتعبد بتلاوته والمتحدى بأقصر سورة منه، وليس تأملات ذاتية لمحمد ﷺ، كما لا يمثل قصورًا لأفكاره وتعاليمه، بل كل ما فى القرآن الكريم من لفظ ومعنى إنما هو من قِبَل الله -عز وجل-، وقد تضمن الشريعة الخاتمة التى أُرسل بها رسول الله ﷺ إلى العالمين، ويثبت ذلك المولى عز وجل فى أول سورة الجاثية والأحقاف، فيقول عن تنزيله: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾، وفى أول سورة غافر: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾، وفى سورة الدخان: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾، وفى سورة الحاقة يثبت المولى أن القرآن الكريم هو كتابه، ولا يستطيع محمد أن يتقول على الله شيئًا من عند نفسه، فيقول: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۝٤٣ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾.

* اعتبار أن الفتوحات الإسلامية قريبة الشبه من الفتوحات المغولية التى قام بها جنكيز خان، فيقول: «.. والفتوحات الوحيدة التى يمكن مقارنتها بالفتوحات الإسلامية هى الفتوحات المغولية فى القرن الثالث عشر التى تعزى أساسًا إلى تأثير جنكيز خان»، مع أنه -كما يعلق المترجم- لا وجه للمقارنة بين من كانوا يحملون رسالة ربهم ليبلغوها

إلى الناس جميعًا، وبين تلك الهجمة الشرسة للمغول أعداء الدين والثقافة والأخلاق والمبادىء، شتان بين هؤلاء وأولئك، وبين أهداف الفتوحات الإسلامية التى تدخل فى قول الله -تعالى-: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾، وبين أهداف المغول التى لم ترصد البشرية من ورائها إلا تاريخًا أسودًا وحقدًا دفينًا للإسلام والمسلمين.

وقد جاءت الدراسة الثانية التى يتضمنها هذا الكتاب للمفكر الإسلامى الكبير "أحمد ديدات" بعنوان: «محمد ﷺ أعظم عظماء العالم» منطوية على ثلاثة فصول.

وفى **الفصل الأول** الذى جاء بعنوان «وإنك لعلى خلق عظيم»، بين فى البداية كيف بدأت الكتابة فى موضوع هذه الدراسة، حيث سبق الكتابة عدد من المحاضرات التى أداها فى نفس الموضوع، بدعوة من بعض الجمعيات الإسلامية، منها ما هو فى مدينة دانهوسر شمال ناتال، ومنها ما هو فى مدينة بريتوريا العاصمة الإدارية لجمهورية جنوب إفريقيا، وغير ذلك، وقد شجعه على الخوض فى موضوع هذه الدراسة ما كتبه المؤرخ الفرنسى "لامارتين" حول نبى الإسلام، وأنه أعظم رجل عاش على وجه الأرض، ثم ما كتبه المؤرخ الأمريكى أيضًا "مايكل هارت" فى كتابه «أعظم مائة شخص تأثيراً فى التاريخ البشرى». وقد عرض طرفًا مما جاء فى هذا الكتاب الأخير، حيث جعل نبى الإسلام الشخصية الأولى أو أول العظماء المائة الأكثر تأثيراً فى العالم، وجعل المسيح -عليه السلام- الشخصية الثالثة، ثم جعل موسى -عليه السلام- أيضًا الشخصية الأربعين، ويبرر ذلك صاحب الكتاب بأن محمدًا ﷺ هو الذى لعب الدور الأكبر فى تأسيس الدين الإسلامى، وكان لدوره أثر كبير يفوق ما قام به غيره. كالمسيح -عليه السلام- الذى تقاسم مع القديس بولس شرف تأسيس الديانة المسيحية، كما أن عيسى -عليه السلام- لم يكن له أتباع كثيرون فى حياته، وهذا هو ما جعله بالكاد -على حد تعبير المؤلف- يحتل رقم ثلاثة بين شخصيات الكتاب.

وعلاجًا لنفس الموضوع، قام الكاتب القدير بعرض ما قامت به مجلة "تايم"

الأمريكية فى عددها بتاريخ ١٥ يوليو ١٩٧٤م، والتى كان موضوع عددها يدور حول أعظم قادة فى التاريخ. وقد بدا أن كل من شارك فى الدراسة التى أجرتها هذه المجلة لم يستطع أحد منهم أن يتجاهل محمداً ﷺ، ومن هؤلاء الجنرال "جيمس جافين" رجل القوات المسلحة الأمريكية، الذى يقول: «من بين القادة الذين أحدثوا أعظم تأثير فى العالم عبر الأجيال أعتقد أن أبرزهم هو محمد ﷺ وعيسى المسيح -عليه السلام-». ومن هؤلاء أيضًا المحلل النفسى الأمريكى "جول مارسان"، والذى وضع بعض المعايير الشخصية والتى قدمها بمثابة وظائف لا يقوم بها إلا من يتصف بالعظمة، وهذه الوظائف هى:

الوظيفة الأولى: أن يحقق مصلحة للجماعة التى يقودها.

الوظيفة الثانية: أن يوفر لأتباعه نظامًا اجتماعيًا يشعر فيه الناس بالأمن.

الوظيفة الثالثة: أن يمد أتباعه بمجموعة من العقائد الصحيحة.

وبتحليل كل الشخصيات العالمية المهمة على ضوء هذه المعايير أو الوظائف، يصل إلى تفضيل محمد ﷺ على سائر الشخصيات، فيقول: «ربما كان أعظم قائد فى كل عصور التاريخ هو محمد ﷺ، فهو وحده الذى جمع المزايا الثلاثة والوظائف الثلاث للقائد، وكان موسى -عليه السلام- أقل منه درجة».

ويفسر المفكر الإسلامى ديدات شهادة هؤلاء المنصفين من الأمريكيين -المسيحيين واليهود على السواء- لصالح رسول الإسلام محمد ﷺ بأن ذلك إعمالاً لقول الله -عز وجل- وهو يخاطب نبيه محمد ﷺ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح:٤].

ويعبر عن ذلك بقوله: «الأصدقاء والأعداء والعلماء المنصفون من أتباع الأديان الأخرى مجبرون على أن يزجوا المديح والثناء والاحترام لنبى الإسلام العظيم ﷺ، كما لو كانوا مدفوعين إلى ذلك بقوة قاهرة خفية».

وفى نهاية هذا الفصل يقدم الكاتب عددًا من الشهادات المنصفة لنبى الإسلام ﷺ، والتى تؤكد رفعته وعلوه على العالمين، وهى قليل من كثير، نختار منها:

شهادة البروفيسور الهندى "ديوان شانر شارما" فى كتابه «أنبياء من الشرق» عام ١٩٣٥م، والتى يقول فيها بالصفحة رقم ١٢٢: «.. كان محمد ﷺ هو روح الرحمة، ولقد ظل تأثيره باقيًا خالدًا على مر الزمان، لم ينسه أحد من الناس الذين عاشوا حوله، ولم ينسه الناس الذين عاشوا بعده».

وأما الفصل الثانى، فلقد جاء بعنوان «فيما مضى من التاريخ»، وفيه يحكى المؤلف "ديدات" ما حدث منذ أكثر من مائة وخمسين عامًا، وعلى وجه التحديد عام ١٨٤٠ عندما قدم "توماس كارلايل" سلسلة من المحاضرات التى تمس الدين الإسلامى حول« الأبطال وعبادة البطل»، هذا فى الوقت الذى كان الكلام فيه عن الإسلام ورسول الإسلام محمد ﷺ جريمة لا تغتفر، وكان من بين هذه المحاضرات المحاضرة المثيرة التى خطط لها ليلقيها على المسيحيين المنتمين إلى الكنيسة الإنجيليكانية، وجاءت هذه المحاضرة عن محمد ﷺ بعنوان: «البطل عندما يكون نبيًا من الأنبياء»، وفى هذه المحاضرة استطاع كارلايل أن يطلق سراح كثير من الحقائق المضيئة المشرقة والمتصلة بالبطل الذى اختاره مثالاً لبطولة الأنبياء فى مجال النبوة، وكيفية أداء الأنبياء لرسالة السماء فى شخص سيدنا محمد ﷺ، وذلك بناء على أن المدح ينبغى أن لا يحرم منه يستحق المدح. وهذا على وجد التحديد ما يعنيه اسم «محمد» ﷺ، إذ أنه يعنى بالضبط: الشخص الجدير بالحمد والمدح والثناء.

ولقد نجح "كارلايل" فى وصف النبى محمد ﷺ وفى الدفاع عنه،وفى رد التهم الزائفة التى كان يرددها الغرب المسيحى لتشويه صورته، ومن أهم ما ركز عليه فى وصف النبى ﷺ:

* أمانته وإخلاصه، وفى ذلك يقول: «.. كانت أمانة الرجل العظيم وإخلاصه فى حمل

الأمانة من النوع الذى لم يكن يستطيع أن يجيز فيه لنفسه أن يتحدث عنه أو يطربه، بل إنه على النقيض من ذلك كان كل وعيه منصرفًا إلى الحذر من أن تتسلل إلى نفسه ذرة من ذرات انعدام الأمانة...».

* وفاؤه، وفيه يقول: «.. كان وفاؤه ﷺ لا تحده الحدود، إنه لم ينس أبدًا زوجته الطيبة الكريمة الأخلاق خديجة، ولما سألته السيدة عائشة عن سر وفائه لها قال: [لقد آمنت بى إذ كفر بى الناس، وآوتني إذ رفضنى الناس، وصدقتنى إذ كذّبنى الناس، ورُزقت منها الولد وحرمتموه منى]».

ومن أهم التهم التى ردها وأبطلها وأثبت عدم صحتها:

* تهمة الزيف، حيث يتهم رسول الله ﷺ بتأسيس دين زائف غير صادر عن الله - سبحانه وتعالى-، ويجب عن ذلك فى رد هذه التهمة بأن الرجل المزيف الذى لا يعرف أسس البناء لا يستطيع أن يبنى بيتًا من الطوب والحجارة، وإذا بناه سيصبح بعد قليل كومة من الزبالة، لكن محمدًا ﷺ بنى صرحًا متينًا كبيرًا دام أكثر من اثنى عشر قرنًا، وآوى إليه أكثر من مائة وثمانون مليون مسلم -حسب عهد توماس كارليل-، ومثل هذا البناء يشير إلى أن محمدًا ليس رجلاً مزيفًا؛ لأن الغش لا يدوم اختفاؤه، والكذب سرعان ما يظهر بهتانه.

* تهمة السيف، حيث يُتّهم رسول الله ﷺ بأنه قد نشر الإسلام بحد السيف، لكنه يثبت أن مثل هذا القول يعد خرافة مضحكة عارية من الصحة، وبعيدة كل البعد عن الحقيقة بل يثبت أن نضال محمد ﷺ وانتصاره على جيوش أعدائه الكافرين الأشرار قد جعلت محررى دائرة المعارف البريطانية يعلنون أن محمدًا ﷺ هو «من أعظم الشخصيات الدينية نجاحًا فى التاريخ»؛ لأن انتصار محمد رغم قلة أعوانه وأنصاره لم يكن راجعًا إلى السيف كما يطلق أعداؤه، وإنما يرجع إلى إرادة الله وحده والقادر على كل شىء، وهذا هو قوله سبحانه ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[الشرح:٤].

وأما الفصل الثالث والأخير، فقد جاء بعنوان «أسرع الأديان نمواً اليوم». ويواصل الحديث فيه عن انتشار الإسلام المذهل، إذ هو الدين الأكثر انتشاراً فى الولايات المتحدة الأمريكية وفى بريطانيا، وإن أرجع أعداء الإسلام ذلك إلى السيف، إلا أن "كارلايل" يعلق على ذلك بأنه السيف حقًا، ولكنه سيف الحق والعدل والمعقولية، إنه سيف يتمثل فى نبوءة حقيقية وآية قرآنية يقول فيه الحق سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾[الفتح:٢٨].

وكما انتشر الإسلام فى العهود السابقة، فإن المؤلف يؤكد أنه سيسود ويزداد انتشاراً فى العالم فى العهود المعاصرة، وسيكون هو الدين الغالب بين الأديان الأخرى، ويشير إلى ذلك أن عقائد الإسلام ومبادئه يتم الأخذ بها والتسليم بصوابها فى مختلف النظم الأخرى، وأن كثيراً من الحقائق التى كانت تلقى معارضة شديدة من قبل، أصبحت الآن جزءاً من منظومة الحقائق العلمية المعترف بها، ومن هذه الحقائق: الأخوّة بين كل البشر، وحق المرأة فى الميراث، واحترام المعابد ودور العبادة بالنسبة لكل الأديان، وتحريم شرب الخمر، وغير ذلك.

وبذلك تثبت العظمة لرسول الله ﷺ بلا جدال، وكما أشاد بها "كارلايل"، فإن الشاعر الفرنسى "لامارتين" يثبتها ويشيد بها أيضًا، لتوافر هذه المعايير الثلاثة بها: عظمة الغاية والهدف، وبساطة الوسيلة، وتحقيق النتائج الباهرة التى أذهت العالم كله، وبالتركيز على هذه المعايير الثلاثة، لا نستطيع أن نجرؤ على أن نقارن بين أى رجل من عظماء التاريخ كله وبين رسول الله ﷺ. وذلك هو قول الله سبحانه وتعالى عن رسول الإسلام محمد ﷺ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾، حيث تنبه الآية إلى أن الله قد رفع شأنه، وقد أجمع على ذلك أهل الرأى فى الشرق والغرب.

ولا يمكن أن يقلل من عظمة محمد ﷺ ما رآه المروجون للدعاية المسيحية من أن المسيح قد فاق البشر جميعًا فى مجال الرحمة والصفح عن آثام البشر وخطاياهم، وذلك

لأن الرحمة فى جانب عيسى -عليه السلام- لا معنى لها بجوار ما صدرت عن محمد ﷺ؛ لأنها صدرت عن عيسى وهو لا يزال ضحية فى أيدى أعدائه، أما رسول الإسلام فلقد مارس هذه الرحمة وهو قوى منتصر قادر على أن ينفذ رأيه فى أعدائه، كما هو واضح فى فتح مكة، عندما قال لهم: «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

وهكذا يثبت الكتاب العظمة لرسول الله ﷺ على سائر صفحاته وبأقلام غير المسلمين من المفكرين فى الشرق والغرب، ولا يعد ذلك إلا تقريراً لبعض جوانب هذه العظمة التى ذكرها الله -عز وجل- فقال فى حق رسول الإسلام محمد ﷺ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم:٤].

قراءة فى
استراتيجية التقريب بين المذاهب الإسلامية

أ/ وليد عبد الماجد كساب(*)

الاختلاف سنة كونية من سنن الله -عز وجل-، ومن ثم كان أمراً وارداً، بل ومشروعًا فى بعض الأحيان، وقد أرسى الإسلام للاختلاف مبادئ وآدابًا تقوم على احترام الآخر وتقديره، ونهى عن الاختلاف الذى يؤدى إلى الشقاق، ويستنزف قوى المسلمين وطاقاتهم.

وفى هذا الإطار تقوم المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بالعمل على التقريب بين المذاهب الإسلامية على اختلاف مشاربها، وتباين اتجاهاتها، وهى المحاولة التى بدأت فى القرن التاسع عشر على يد جمال الدين الأفغانى، ومحمد رشيد رضا، ثم ظهرت كعمل مؤسسى فى الأربعينات من القرن العشرين بإنشاء دار التقريب بين المذاهب الإسلامية فى القاهرة، وإصدار مجلة "رسالة الإسلام".

وامتداداً للدور الرائد للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة فى التقريب بين المذاهب الإسلامية المختلفة، قامت بإعداد مشروع مستمد من روح الشريعة الإسلامية، ومستوحى من مقاصدها على أسس علمية مدروسة، يتضمن خلاصة ما انتهى إليه الفكر الإسلامى فى هذا العصر، وهذا العمل يعتبر ثمرة ندوتين عقدتا فى عامى ١٩٩١م، و١٩٩٦م، كانتا القاعدة لتطوير التفكير فى الخروج بوثيقة تحدد الهدف الأساسى من التقريب والمفهوم العلمى له، وقد أقرهما المؤتمر الإسلامى لوزراء الخارجية فى دورته الثلاثين المنعقدة فى طهران مايو ٢٠٠٤م.

والكتاب الذى بين أيدينا "استراتيجية القريب بين المذاهب الإسلامية" يبدأ بتمهيد يتضمن أهم المرتكزات التى تقوم عليها تلك الاستراتيجية، وهى:

أولاً: شروط سلامة الاستراتيجية.

(*) عضو رابطة الأدب الإسلامى العالمية.

ثانيًا: الأسس الفكرية والعلمية للتقريب.

ثالثًا: أهمية التقريب بين المذاهب الإسلامية.

رابعًا: فضل التقريب فى استقرار الأمة الإسلامية وتماسكها.

خامسًا: مسؤولية التقريب فى العالم الإسلامى.

سادسًا: الاختلاف فى الأصول والفروع.

أما الفصل الأول الذى جاء تحت عنوان "**فقه الاختلاف وجهود التقريب بين المذاهب الفقهية**"، فيتناول الاختلاف بين المسلمين وأثره على وحدة الصف المسلم، ويشدد على ضرورة التوحد والائتلاف، وهذا ما دعا إليه الإسلام، وطبَّقه السلف فى احترامهم لآراء مخالفيهم؛ ولذا قال المصنفونَ فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من أصحاب الشافعى وغيره: «إن المسائل الاجتهادية لا تنكر باليد، وليس لأحد أن يلزم الناس باتباعه فيها، ولكن يتكلم فيها بالحجة العلمية، فمن تبين له صحة أحد القولين تبعه، ومن قلد أهل القول الآخر فلا إنكار عليه».

إن الحفاظ على الأخوة مع اختلاف الآراء أمر مَرْجُوٌّ، ويُستفاد من أخبار أئمتنا وعلمائنا السابقين ما يدل على أنهم كانوا -رحمهم الله تعالى- يحافظون على المودة والأخوة مع اختلاف مسالكهم وآرائهم، وما أكثر ما نقل من ذلك.

ويتناول هذا الفصل أيضًا، جهود التقريب بين المذاهب الإسلامية المختلفة، وآداب الاختلاف كما ظهر فى مناظرات العلماء ومحاوراتهم، والجهود التى بذلت خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الميلادى.

وحول "**مفاهيم التقريب ومصادره**" يدور **الفصل الثانى** الذى يختص بتحديد مفاهيم بعض المصطلحات الأساسية التى تقوم عليها هذه الاستراتيجية باعتبارها مصطلحات تعبر عن المعانى الأساسية المتضمنة مقاصد محدودة ومدلولات معينة، وذات صلة خاصة بأهداف عملية للتقريب مثل:

* مفهوم الاستراتيجية.
* مفهوم التقريب.
* مفهوم المذاهب.
* مفهوم الخلاف والاختلاف.
* مفهوم المسائل.

وتتضمن الاستراتيجية إشارة وجيزة إلى مصادر التقريب بين المذاهب الإسلامية، حيث قسمت الأدلة بحسب اعتبارات أصولها إلى أقسام منها:

١- من ناحية النقل والعقل، فإنها تنقسم إلى:

أ- أدلة نقلية، مثل الكتاب والسنة النبوية، ويلحق بهما مثبت عليه إجماع الصحابة، وما يثبت فيه إجماع السلف الصالح، وشرع من قبلنا.

ب- أدلة عقلية: كالقياس، والمصالح المرسلة، والاستحسان، والعرف، وسد الذرائع، والاستصحاب، والعقل.

٢- من ناحية الاتفاق عليها والاختلاف حولها، فإنها تنقسم إلى:

أ- أدلة متفق عليها وهي: الكتاب والسنة النبوية الصحيحة.

ب- أدلة مختلف فيها: وهي ما عدا ذلك من الأدلة.

وفي الفصل الثالث: "تطور المذاهب الإسلامية"، يتناول الكتاب نشأة المذاهب والفرق الإسلامية، فيتوقف في البداية عند المجالات السياسية والعقدية والفقهية لدوافع أساسية لظهور الفرق والمذاهب المختلفة.

ويفرق الكتاب بين المذهب والفرقة، حيث يرى المذهب مجموعة مبادئ وآراء متصلة ومنسقة لمفكر واحد أو لمدرسة فكرية، وكما يكون في الفقه يكون في الفلسفة أو العلم أو الآداب، أما الفرقة، فإنها جماعة تربطها معتقدات معينة، فلابد للفرقة من جماعة تحمل مقالاتها ونظرياتها.

ويتحدث الفصل ذاته عن نشأة الفقه والمذاهب الفقهية، وأهم الأسس التي يقوم

عليها كل مذهب ورجاله، سواء كان المذهب لأهل السنة أم للشيعة.

أما المحور الثانى من الفصل الثالث، فيدور حول دور أصول الفقه فى التقريب بين المذاهب، وتتمثل أهية دور علم الأصول فى التقريب بين المذاهب فى أمرين:

الأول: إبراز المبادئ المتفق عليها من قبل أئمة المذاهب، والعمل على صياغتها فى مصنف خاص يصلح أن يكون أساسًا لمدونات عصرية فى تنظيمها، وتلتزم بمقتضيات الأصول المتفق عليها من حيث التنظير والتطبيق، وهذا العمل يتطلب دراسة وافية يشترك فى وضعها مجموعة من المتخصصين.

المذهب الثانى: الانطلاق من مبادئ أساسية من شأنها أن توجه عملية التقريب والتوفيق بين الالتزام الدقيق بأوامر الشريعة ونواهيها، مع الحرص على الاختيار فى نطاق دائرة الشريعة بين الحلول العملية التى تراعى مصلحة الأمة وعزتها، وبين منافع كل الأفراد، وتحقق رغباتهم المشروعة.

وحول "**فقه المذاهب الإسلامية وضوابط الاختلاف فيه**" يأتى المحور الثالث، حيث يبدأ بتعريف الفقه وتقسيماته، وحكم الاختلافات الفقهية، حيث يقرر أن الاختلاف فى فروع الأحكام الشرعية جائز، إذ لا دليل على امتناعه، وقد اختلف الصحابة -رضوان الله عليهم- واختلف من جاءوا بعدهم، وتلك سنة الله -عز وجل-.

كما يتناول بعض الضوابط المهمة التى تتعلق بموضوع الاجتهاد ومجاله، وهو كل حكم شرعى ليس فيه دليل قطعى، وضوابط أخرى تتعلق بالمخالف حيث يشترط فيه العلم والفقه وغيرها من الصفات اللازمة لمن يتصدى للاجتهاد.

ويعرض الفصل الرابع لميادين التقريب حيث يحاول الإجابة على تساؤل مهم: أين سيتم تنفيذ استراتيجية التقريب بين المذاهب، ومن أين ستنطلق برامج التطبيق العملى وأنشطته؟ وأين سيتم تنفيذ خطط التقريب بين المذاهب الإسلامية وبرامجه، كما يتناول الفصل أهم وسائل التقريب وتتمثل فى:

١ - الحوار الفكرى.

٢- ميادين البحث والدراسة.

٣- الإعلام ووسائل الاتصال.

٤- التأليف والتحقيق والنشر.

٥- الاهتمام بالجاليات الإسلامية.

وعن "أهداف التقريب" يدور الفصل الخامس، حيث تتلخص أهم الأهداف فيما يلى:

١ - السعى الجاد المبرمج لتضييق الهوة الخلافية بين المدارس الاجتهادية الإسلامية.

٢ - إثبات أن الخلاف بين المذاهب والفرق الإسلامية المختلفة لا يعنى الاختلاف فى جوهر النصوص التشريعية القطعية، وإنما هو اختلاف فى الفروع فقط.

٣- التأكيد على أن التقريب لا يعنى تذويب المذاهب ودمجها، وإنما يعنى إيجاد وجهات نظر موحدة تجاه بعض القضايا، خاصة القضايا الرئيسية.

كما يوجز هذا الفصل أهداف تلك الاستراتيجية على الوجه التالى:

١ - جعل التقريب بين المذاهب الإسلامية هدفًا إسلاميًا متجددًا، يعنى بتحقيقه الدول الإسلامية المختلفة.

٢ - الارتقاء بثقافة التقريب المذهبى والفقهى لدى الأجيال الإسلامية.

٣- إبراز الدور المتكامل بين المذاهب الفقهية القائمة، ودوره فى الارتقاء بالأمة.

٤ - حصر مواطن الخلاف فى المسائل والقضايا الظنية وردها إلى مصادرها الصحيحة، ومن ثم إزالة كافة الشكوك التى تثار حول نوازع الاختلاف العقدى.

٥ - العمل على تذويب الغلو والتعصب المذهبى بين كافة الاتجاهات حتى لا تذهب ريح المسلمين سدى.

٦- مضاعفة الجهود الهادفة للوقوف أمام التيارات المعادية والتصدى لها.

ويأتى الفصل الأخير تحت عنوان: "سبل تنفيذ استراتيجية التقريب"، ويتناول أهم وسائل تنفيذ تلك الاستراتيجية، وهى كما يلى:

١ - إقرار الاستراتيجية وتبنيها بشكل رسمى على مستوى الحكومات والمؤسسات.

٢- استمرارية الحوار المتأني والمتعمق في مسائل التقريب وقضاياه، عن طريق عقد الندوات والمؤتمرات وحلقات النقاش.

كما تضع الاستراتيجية بعض الإجراءات العملية على المستوى الوطني أم لا، ثم على المستويين الإقليمي والدولي.

وبعد،،

فقد كانت تلك قراءة موجزة لاستراتيجية التقريب بين المذاهب الإسلامية المعدة من المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، والتي أقرها المؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية في دورته الثلاثين في طهران عام ٢٠٠٣م، وهذه الخطة بلا شك جهد مشكور يذكر للمنظمة، فيشكر، وينبغي أن تبذل المنظمة جهداً كبيراً لتنفيذ هذه المرئيات، فكم من توصيات ومشروعات ظلت حبيسة الأدراج وأسيرة البيروقراطية..

❊ ❊ ❊

القسم السادس
التعريف بالجامعات
الأعضاء

جامعة دمشق

جامعة دمشق هى كبرى الجامعات الأربع القائمة فى القطر العربى السورى وأقدمها ، وهى الجامعة الأم التى ترجع نشأتها الأولى إلى مستهل القرن العشرين ، وقد دخلت فى العقد التاسع من عمرها وهى لا تزال ماضية فى رفع راية الفكر والعلم والمعرفة غير متوانية أو مترددة ، وهى لشد ما تحرص على أن تقبس من نورها وتنهل من معينها الأجيال العربية من جميع أقطار الوطن العربى وكذلك الطلبة الأجانب ، وإذا كانت جامعة دمشق تقف اليوم شامخة عالية البنيان متكاملة الكليات فإنها بدأت السير فى دربها الطويل بخطوات وئيدة متأنية ، ثم تسارعت خطواتها لتحقق من التقدم والتوسع ما تزهو به وتفخر.

إن تاريخ أية جامعة لا ينفصل عن تاريخ بلدها ، فلأحداثه ووقائعه دورها الكبير فى هذا التاريخ ، وقد ترك تاريخ سورية الحديث آثاره وبصماته على مسيرة جامعة دمشق.

ومن هنا كان لا بد لنا كى نتعرف على تطور هذا الصرح العلمى الشامخ ، من سرد موجز لتاريخ حياته التى يمكن أن نجمل مراحله بما يلى :

فى عام ١٩٠١ أقر إنشاء مكتب مدرسة للطب فى دمشق ، وقد افتتحت هذه المدرسة التى تعد النواة الأولى للجامعة فى عام ١٩٠٣ وضمت فرع الطب البشرى وفرع الصيدلة وكانت لغة التدريس فيها اللغة التركية.

فى عام ١٩١٣ افتتحت فى بيروت مدرسة للحقوق كان معظم أساتذتها من العرب ولغة التدريس فيها اللغة العربية ، ثم نقلت هذا المدرسة عام ١٩١٤ إلى دمشق كمان نقلت فى عام ١٩١٥ مدرسة الطب إلى بيروت وأعيدت مدرسة الحقوق إلى بيروت فى أواخر سنى الحرب العالمية الأولى.

وتم افتتاح معهد الطب ومدرسة للحقوق فى دمشق عام ١٩١٩ الأول من شهر كانون الثانى والثانية فى شهر أيلول.

وفى عام ١٩٢٣ سميت مدرسة الحقوق معهد الحقوق ، وربط معهدا الحقوق والطب والمجمع العربى ودار الآثار العربية بمؤسسة واحدة تحت اسم الجامعة السورية ، ثم فصل فى عام ١٩٢٦ المجمع العربى ودار الآثار عن الجامعة.

وفى عام ١٩٢٨ أنشئت مدرسة الدروس الأدبية العليا وربطت إدارتها بالجامعة ثم أصبح اسمها عام ١٩٢٩ مدرسة الآداب العليا التى أغلقت عام ١٩٣٥/ ١٩٣٦ .

عهد الاستقلال

ما إن انزاح كابوس الانتداب عن سورية وجلت عنها الجيوش الأجنبية حتى تنفس التعليم الصعداء وأخذ هذا المرفق يحظى بالاهتمام المتزايد ويولى العناية البالغة ، وسرعان ما دبت فى هذا المرفق حياة جديدة نشطة أدت إلى نموه وتطوره فاتسع نطاقه وامتدت رقعته وزاد تألقه فدعمت المؤسسات التعليمية القائمة وأحدثت معاهد وكليات جديدة ، وعدلت الأنظمة الجامعية تعديلاً جذرياً لتتمكن الجامعة من استقبال الأعداد المتزايدة من الطلاب وأحدثت اختصاصات جديدة ليكون بالإمكان اللحاق بركب التقدم العلمى والحضارى.

وبدءا من عام ١٩٤٦ لم تبق الجامعة مقتصرة على معهدى الطب والحقوق بل أحدثت فيها كليات ومعاهد عليا فى اختصاصات جديدة ليكون بالإمكان اللحاق بركب التقدم العلمى والحضارى.

وبدءاً من عام ١٩٤٦ لم تبق الجامعة مقتصرة على معهدى الطب والحقوق بل أحدثت فيها كليات ومعاهد عليا فى اختصاصات أخرى وأصبحت مؤسسات التعليم العالى حتى العام ١٩٥٨ عام الوحدة بين مصر وسورية وقيام الجمهورية العربية المتحدة كالآتى :

معهد الطب ، معهد ، معهد الحقوق ، كلية العلوم ، كلية الآداب ، المعهد العالى للمعلمين ، كلية الهندسة بمدينة حلب ، كلية الشريعة ، معهد العلوم التجارية.

وفى عام ١٩٥٨ صدر قانون جديد لتنظيم الجامعات فى إقليمى الجمهورية العربية المتحدة الشمالى والجنوبى عدل بموجبه اسم " الجامعة السورية" فأصبح "جامعة دمشق"

وأحدثت فى الإقليم الشمالى جامعة ثانية باسم "جامعة حلب" وبصدور اللائحةالتنفيذية لهذا القانون فى عام ١٩٥٩ أصبحت جامعة دمشق تتألف من الكليات الآتية : كلية الآداب ، كلية الحقوق ، كلية التجارة ، كلية العلوم ، كلية الطب ، كلية طب الأسنان ، كلية الهندسة ، كلية التربية ، كلية الشريعة وبات من حقها أن تمنح شهادات فى الدراسات العليا.

وفى عهد الوحدة ارتفع عدد طلاب الجامعة وعدد أعضاء هيئتها التدريسية وازداد تعاون الجامعات فى الإقليمين ونشط بينهما تبادل الأساتذة والطلاب ، وبعد أن انفصمت عرى الوحدة عام ١٩٦١ ، لم يطرأ فى عهد الانفصال تطور ملحوظ فى الوضع الجامعى اللهم إلا فى نطاق الأنظمة الجامعية فقد عدلت لتتلائم مع الوضع الذى قام فى البلاد ، واستمر التعليم الجامعى على حاله إلى قامت ثورة الثامن من آذار ١٩٦٣ فشهد التعليم العالى فى سورية ولا سيما بعد الحركة التصحيحية عام ١٩٧٠ عناية وازدهاراً لم يعرفهما من قبل ، فقد أولى السيد الرئيس الخالد حافظ الأسد قائد الحركة التصحيحية جميع قطاعات التعليم العالى عناية خاصة وأولاها الرعاية التى تتناسب والدور الكبير والآمال العريضة التى يعقدها عليها فى بناء المستقبل الأفضل لشعبنا وأمتنا. وكان حظ جامعة دمشق من كل ذلك كبيراً فكان الدعم للكليات القائمة وإنشاء الأقسام الجديدة فيها واستكمال التخصصات الأخرى وإحداث المعاهد المتوسطة الملحقة بالكليات والسعى الحثيث لتجهيز كل هذا المؤسسات بأحدث المخابر والأدوات فأصبحت جامعة دمشق تتكون من:

كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، كلية الاقتصاد ، كلية التربية ، كلية الحقوق ، كلية الزراعة ، كلية الشريعة ، كلية الصيدلة ، كلية الطب ، كلية طب الأسنان ، كلية العلوم ، كلية الفنون الجميلة ، كلية الهندسة المدنية ، كلية الهندسة المعمارية ، كلية الهندسة الميكانيكية والكهربائية ، المعهد العالى للتنمية الإدارية ، وحظيت معظم الكليات والمعاهد بمبان جديدة.

وتم تشييد عدد من الوحدات السكنية للطلاب والطالبات فى مدينة باسل الأسد

الجامعية وهناك عدد آخر قيد الإنجاز ، كما تم تشييد بناء مستقل خصص سكناً لممرضات العاملات فى المشافى الجامعية.

هذا وقد أوليت الدراسات العليا عناية خاصة وخصت باهتمام بالغ بافتتاح عدد من دبلومات الدراسات العليا فى اختصاصات مختلفة ودبلوم التأهيل ، كما افتتحت درجة الماجستير فى معظم الاختصاصات ودرجة الدكتوراه فى بعضها وإلى جانب كل ذلك ظلت جامعة دمشق ملتزمة بمبدأ لم تحد عنه ، هو مبدأ صلاح اللغة العربية للتدريس فى مختلف الاختصاصات تعزيزاً للدور القومى العربى الذى تنهض به ، ورفدت عدداً من الجامعات فى الوطن العربى بعدد من أساتذتها إعارة أو ندباً أو زيارة وألف أساتذتها مئات من الكتب الجامعية باللغة العربية وضعت بين أيدى الطلاب ليجدوا فيها بغيتهم مما ييسر عليهم الدراسة.

وبعد .. فهذه لمحة سريعة عن حياة جامعة دمشق التى تجد أن ما حققته من إنجازات كان دون طموحها ، فهى لا تزال تتطلع إلى مستقبل أكثر إشراقاً وأشد تألقاً ، وترنو إلى يوم تستطيع فيه أن تزهو أيضاً بما يقوم بين ظهرانيها من بحث علمى يكون لمنجزاته شأن كبير.

* * *

جامعة القاهرة

مع اشتداد ساعد الحركة الوطنية المصرية فى أوائل هذا القرن انبرت نخبة من قادة العمل الوطنى ورواد حركة التنوير والفكر الاجتماعى فى مصر أمثال محمد عبده، ومصطفى كامل، ومحمد فريد، وقاسم أمين، وسعد زغلول، لتحقيق حلم طالما داعب خيال أبناء هذا الوطن، وهو إنشاء جامعة تنهض بالبلاد فى شتى مناحى الحياة، وتكون منارة للفكر الحر وأساسا للنهضة العلمية وجسرا يصل البلاد بمنابع العلم الحديث، وبوتقة تعد فيها الكوادر اللازمة فى كافة التخصصات لمشاركة العالم فى تقدمه العلمى؛ ولكن هذه الأمنية وجدت معارضة شديدة من جانب سلطات الاحتلال البريطانى خاصة من عميدها اللورد كرومر الذى أدرك أن إنشاء جامعة فى مصر يعنى إيجاد طبقة مثقفة من المصريين تدرك أن الاستقلال ليس مجرد تحرير الأرض، وإنما هو تحرير الشخصية المصرية وانطلاقا بها فى مراقى المدينة والحضارة، وعلى الرغم من ذلك فإن هذه المعارضة لم تفت فى عضد المتحمسين للفكرة، فسرعان ما أخذ بزمام المسألة لجنة من الوطنيين الذى بذلوا التضحيات وتحملوا المشاق حتى خرجت الفكرة إلى النور وأصبحت واقعا ملموسا، وتم افتتاح الجامعة المصرية كجامعة أهلية فى الحادى والعشرين من ديسمبر ١٩٠٨ فى حفل مهيب أقيم بقاعة مجلس شورى القوانين حضره الخديوى عباس الثانى وبعض رجالات الدولة وأعيانها.

وفى مساء يوم الافتتاح بدأت الدراسة فى الجامعة على هيئة محاضرات، ولما لم يكن قد خصص لها مقر دائم وقتذاك فقد كانت المحاضرات تلقى فى قاعات متفرقة كان يعلن عنها فى الصحف اليومية كقاعة مجلس شورى القوانين، ونادى المدارس العليا، ودار الجريدة حتى اتخذت الجامعة لها مكانا فى سراى الخواجة نستور جناكليس الذى تشغله الجامعة الأمريكية حاليا.

ونتيجة للمصاعب المالية التى تعرضت لها الجامعة خلال الحرب العالمية الأولى انتقل مبناها إلى سراى محمد صدقى بميدان الأزهار بشارع الفلكى اقتصادا للنفقات.

وقد كافحت الجامعة الوليدة لتقف على قدميها، ولكى تتمكن من إعداد نواة لهيئة التدريس بها بادرت بإرسال بعض طلابها المتميزين إلى جامعات أوربا للحصول على إجازة الدكتوراة والعودة لتدريس العلوم الحديثة بها وكان على رأس هؤلاء المبعوثين طه حسين، ومنصور فهمى، وأحمد ضيف، كما أنشأت الجامعة مكتبة ضمن نفائس الكتب التى أهديت لها من داخل البلاد وخارجها.

ونتيجة لما حققته الجامعة الأهلية من آمال كبار عبرت عن تطلعات المصريين، فقد فكرت الحكومة فى عام ١٩١٧ فى إنشاء جامعة حكومية وألفت لجنة لذلك أشارت بضم المدارس العليا القائمة إلى الجامعة فضمت مدرستا الحقوق والطب إلى الجامعة فى ١٢/ ٣/ ١٩٢٣، وتم الاتفاق بين الحكومة وإدارة الجامعة الأهلية على الاندماج فى الجامعة الجديدة على أن تكون كلية الآداب نواة لهذه الجامعة.

وفى ١١ مارس ١٩٢٥ صدر مرسوم بقانون إنشاء الجامعة الحكومية باسم الجامعة المصرية وكانت مكونة من كليات أربع هى الآداب، والعلوم، والطب، والحقوق، وفى العام نفسه ضمت مدرسة الصيدلة لكلية الطب.

وفى عام ١٩٢٨ بدأت الجامعة فى إنشاء مقار دائمة لها فى موقعها الحالى الذى حصلت عليه من الحكومة تعويضا عن الأرض التى بها الأميرة فاطمة بنت الخديوى إسماعيل للجامعة.

وفى ٢٢ أغسطس عام ١٩٣٥ أصدر المرسوم الملكى بقانون رقم ٩١ بإدماج مدارس الهندسة والزراعة والتجارة العليا والطب البيطرى فى الجامعة المصرية.

وفى ٣١ من أكتوبر عام ١٩٣٥ صدر مرسوم بإلحاق معهد الأحياء المائية بالجامعة المصرية.

وفى عام ١٩٣٨ انفصلت مدرسة الطب البيطرى عن كلية الطب لتصبح كلية مستقلة.

وفى ٢٣ من مايو عام ١٩٤٠ صدر القانون رقم ٢٧ بتغيير اسم الجامعة المصرية إلى جامعة فؤاد الأول.

وفى ٢٤ من ابريل عام ١٩٤٦ صدر القانون رقم ٣٣ بضم كلية دار العلوم إلى الجامعة.

وفى ٢٨ سبتمبر عام ١٩٥٣ صدر مرسوم بتعديل اسم الجامعة من جامعة فؤاد الأول إلى جامعة القاهرة.

وفى عام ١٩٥٥ انفصل قسما الصيدلة وطب الفم والأسنان عن كلية الطب لتصبح كل منهما كلية مستقلة، وفى العام نفسه أنشئ فرع لجامعة القاهرة بالخرطوم ورفرفت أعلام الجامعة على جنوب الوادى.

وتوالى إنشاء الكليات بعد ذلك فبدأت الدراسة بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية فى العام الجامعى ٦٠/ ١٩٦١ .

وفى عام ١٩٦٢ أنشئ معهد الدراسات والبحوث الإحصائية، وكذلك أنشئ فى نفس العام معهد العلاج الطبيعى الذى تحول فى يناير ١٩٩٢ إلى كلية العلاج الطبيعى.

وفى عام ١٩٦٤ أنشئ المعهد العالى للتمريض وألحق بكلية الطب، وفى عام ١٩٦٩ أنشئ المعهد القومى للأورام وفى عام ١٩٧٠ أنشئت كليتا الإعلام والآثار ومعهد البحوث والدراسات الأفريقية.

وفى عام ١٩٧٩ أنشئ معهد التخطيط الإقليمى والعمرانى وتحول إلى كلية التخطيط الإقليمى والعمرانى فى عام ١٩٩١م.

وفى عام ١٩٨٧ تم إنشاء معهد البحوث والدراسات التربوية بجامعة القاهرة، وفى ١٢ من سبتمبر ١٩٩٤ صدر القرار رقم (٢٨٧ب) بإنشاء المعهد القومى لعلوم الليزر الذى يعتبر أول معهد عال لعلوم الليزر وتطبيقاته فى العالم العربى. ثم أنشئت كلية الحاسبات والمعلومات عام ١٩٩٦م.

ولم يقتصر دور الجامعة على خدمة البيئة المحيطة بها بل امتد إلى المحافظات القريبة منها فأنشأت الجامعة فرعا لها فى محافظة الفيوم يضم كليات التربية، والزراعة، والهندسة، والخدمة الاجتماعية، والدراسات العربية والإسلامية، والسياحة والفنادق، والآثار، والعلوم. كما أنشأت فى فرع الفيوم وبنى سويف كليات: التجارة، والحقوق،

والطب البيطرى، والعلوم، والآداب، والتربية، والصيدلة واستقل فرع بنى سويف عام ١٩٨٣م.

ولاتزال مسيرة البناء والنماء ماضية فى طريقها لتقوم جامعة القاهرة -كما كانت دائما - بدورها الرائد فى نشر العلم والمعرفة.

❊ ❊ ❊

الـــوثـائـق

البيان الختامى والتوصيات لندوة
"الإسلام بين الوسطية والتشدد"
مواجهة للفكر المتطرف

انعقدت بمقر جامعة الأزهر بمركز الاقتصاد الإسلامى ندوة علمية عن «**الإسلام بين الوسطية والتشدد.. مواجهة للفكر المتطرف**» تم تنظيمها بالتعاون بين جامعة الأزهر .ورابطة الجامعات الإسلامية ومؤسسة اقرأ الخيرية، يوم الأحد ٩ ربيع الآخر ١٤٢٧هـ الموافق ٧مايو ٢٠٠٦م، تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف، وبحضور كل من: فضيلة الأستاذ الدكتور/ على جمعة محمد مفتى الجمهورية، فضيلة الأستاذ الدكتور/ احمد محمد الطيب رئيس جامعة الأزهر، وسعادة الشيخ/ صالح عبد الله كامل رئيس مجلس أمناء مؤسسة اقرأ الخيرية، سعادة الأستاذ الدكتور/ جعفر عبد السلام الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية، والأمين العام لمؤسسة اقرأ الخيرية، وحضرها لفيف من العلماء والباحثين ورجال الصحافة والإعلام.

وقد أكد المتحدثون على مجموعة من الحقائق وهى:

١- أن الإسلام دين الوسطية، وهو يحدد المبادىء والأسس التى يهتدى بها الإنسان فى أن يسلك سلوكًا حسنًا فى علاقته بمجتمعه وبمختلف المجتمعات، وأن الأمة الإسلامية هى أمة وسط؛ لذا تتميز على سائر الأمم لقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[البقرة:١٤٣].

٢- أن الإسلام يعترف بالآخر ويقر بكامل حقوقه والتزاماته، ولا يحاربه؛ اتباعًا لقوله

تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[الممتحنة:٨].

٣- أنه يجب على المسلمين -حكامًا وشعوبًا ومنظمات وأجهزة إعلام- أن يستعينوا في ذلك بالكتاب والسنة وسيرة النبي ﷺ في التعريف بالإسلام ووسطيته، كما يجب أن تقيم الدول الإسلامية ركائز سياساتها داخليًا وخارجيًا على الوسطية المستنيرة التي تتبلور في التعاون مع الآخر، إعمالاً لقوله تعالى ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[المائدة:٣].

وقد عقدت الندوة أربع حلقات نقاشية على النحو التالي:

* تناولت الحلقة الأولى «الوسطية في الفكر الإسلامي»، برئاسة سعادة الأستاذ الدكتور/ عوض مستور الشبيتي، والورقة الأساسية مقدمة من سعادة الأستاذ الدكتور/ جعفر عبد السلام، والمتحدثون هم: فضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم، فضيلة الشيخ/ محمود عاشور، فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد الدسوقي.

* أما الحلقة الثانية فتناولت «تحليل فكر العائدين من خلال مؤلفاتهم»، وقد ترأس الجلسة فضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم، والورقة الأساسية مقدمة من فضيلة الأستاذ الدكتور/ علي جمعة مفتي الجمهورية، والمتحدثون هم: فضيلة الأستاذ الدكتور/ إسماعيل الدفتار، فضيلة الأستاذ الدكتور/ القصبي زلط، وسعادة الأستاذ الدكتور/ محمد عبد الحليم عمر.

* وقد تناولت الحلقة الثالثة: «تصحيح الفكر بالفكر» برئاسة سعادة الأستاذ الدكتور/ محمد عبد الحليم عمر، والورقة الأساسية مقدمة من فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد كمال إمام، والمتحدثون هم: معالي الأستاذ الدكتور/ علي النملة، وسعادة الأستاذ الدكتور/ رأفت غنيمي الشيخ، وسعادة الأستاذ/ منتصر الزيات.

* أما الحلقة الرابعة والأخيرة، فقد تناولت «التعاون الدولي لمكافحة الإرهاب»، برئاسة

معالى الأستاذ الدكتور/ على النملة، والورقة الأساسية مقدمة من سعادة الأستاذ الدكتور/ إبراهيم العنانى، والمتحدثون هم: سعادة الأستاذ الدكتور/ جعفر عبد السلام، وفضيلة الأستاذ الدكتور/ محمود داود.

وبعد انتهاء هذه الحلقات النقاشية، توصل العلماء المشاركون إلي التوصيات التالية:

١- نشر الفكر الإسلامى الذى يعتمد على الوسطية فى مناهج التعليم والجامعات والمعاهد العلمية فى مختلف أنحاء العالم

٢- إعداد كتاب إرشادى يُعرِّف بمفهوم الوسطية فى الإسلام ويحدِّده من مُختلف جوانبه، ويصحِّح الالتباسات والشبهات التى باتت تحجب الشفافية عن المعرفة بهذا الدين، وترجمته إلى مختلف اللغات، وتعميمه على المدارس والمعاهد والكليات كمادة ثقافية.

٣- عقد سلسلة من المؤتمرات والندوات والحلقات النقاشية للتعريف بالوسطية كشرعة ومنهاج، وتبيين مخاطر الفكر المتطرف على الأمة الإسلامية.

٤- إعداد كتيبات يقوم بتأليفها نخبة من العلماء؛ لشرح وتوضيح مفاهيم الوسطية من جهة، والفكر المتطرف والإرهاب من جهة أخرى، مع إبراز الآليات المناسبة لتفعيل الوسطية كمفهوم يعالج هذه الظواهر السلبية.

٥- إعداد برامج للدعوة الإسلامية تركز على مفاهيم الوسطية والرحمة، والتدرج بالناس نحو المعرفة الواضحة بالإسلام.

٦- تكثيف البرامج الإعلامية التى تعرِّف بوسطية الإسلام ومرونته بما يتناسب مع معالجة قضايا المجتمعات المعاصرة فى مختلف المواقع الجغرافية والمناخات الثقافية.

٧- تكثيف جهود التعريف بالإسلام ومبادئه، وشرح وسطيته وفقا لمفاهيم واضحة ومحددة، عن طريق المؤتمرات والندوات، ونشر المكتبات العلمية والثقافية، واستخدام شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) لبث هذه الأعمال، ونشر رسائل

مُركزة عن الوسطية في الإسلام بأقلام كبار العلماء بمختلف اللغات.

٨- تنظيم معسكرات وورش عمل للشباب، تركز على تفعيل مفاهيم الوسطية فى الحياة الاجتماعية والثقافية، فى إطار التعايش المشترك بين الشباب من مختلف الأقطار.

٩- تنظيم مسابقات ثقافية بين الشباب بهدف تنمية الوعى والاهتمام بمعرفة منهج الإسلام فى الوسطية والاعتدال والرحمة.

١٠- دعوة الجهات المختصة فى البلاد الإسلامية للعمل على خلق المناخات الاجتماعية والسياسة الاقتصادية التى تعمل على إشاعة روح التسامح والاعتدال، وخاصة بين الشباب، وذلك من خلال منظومات اقتصادية وسياسية واجتماعية لحل المشكلات التى يعانى منها الشباب.

١١- ضرورة تعزيز التعاون الدولى للقضاء على ظاهرة الإرهاب عن طريق تفعيل العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين مختلف دول العالم، والعمل على تنفيذ قرارت الأمم المتحدة بتحويل نسبة من دخول الدول الغنية إلى الدول النامية.

١٢- تنبه الندوة إلى أهمية حسم المنازعات التى تدور فى مختلف أنحاء العالم بشكل عادل، وتجنب الازدواجية والكيل بمكيالين من قِبل الدول الكبرى فى حل هذه المشكلات.

١٣- نشر أعمال ندوة «**الإسلام بين الوسطية والتشدد**» باللغات الثلاث: العربية والإنجليزية والفرنسية.

١٤- تكوين لجنة برئاسة أ.د/ جعفر عبد السلام الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية لمتابعة تفعيل هذه التوصيات.

والله ولى التوفيق،،

* * *

بيان رابطة الجامعات الإسلامية
الصادر عن ندوة
"العدوان على لبنان والشرعية الدولية"
المنعقدة بجامعة الأزهر فى ٦ أغسطس ٢٠٠٦م

إن رابطة الجامعات التى تضم فى عضويتها مائة جامعة إسلامية، وباعتبارها منظمة دولية تعبر عن آراء الجامعات الإسلامية الأعضاء، التى تمثل منارات فكرية تتفاعل مع قضايا الأمة الإسلامية بالفكر والبحث العلمى والرؤية الموضوعية.

وبالنظر إلى الأحداث والمستجدات الراهنة على الساحات اللبنانية والفلسطينية والعراقية وغيرها من المناطق الإسلامية المستهدفة.

وبمتابعة العدوان الصهيونى السافر على دولة لبنان وفلسطين، بذرائع وهمية وحجج مدحوضة لا تستند إلى شرعية دولية، وتخالف مخالفة سافرة القوانين الدولية التى ارتضتها شعوب العالم حين أصدرت ميثاق الأمم المتحدة لتنقذ البشرية من ويلات الحروب.

فقد عقدت رابطة الجامعات الإسلامية ندوة عن **"العدوان على لبنان والشرعية الدولية"** وذلك بمقرها بجامعة الأزهر بالقاهرة.

وبمناقشة قانونية وموضوعية وعقلانية من السادة أساتذة الجامعات وعلمائها ومفكريها الذين لهم مكانة علمية عالمية مرموقة.. أصدرت رابطة الجامعات الإسلامية هذا البيان:

أولا: اعتبار العدوان الصيهونى على لبنان وفلسطين عدوانًا على الأمة العربية والإسلامية؛ لأنه عدوان على القيم والموروثات وأماكن العبادة مسيحية وإسلامية، وإزهاق لأرواح بريئة، وتدمير مُدبَّر، وسفك دماء الأطفال والنساء والشيوخ بغير سند من القانون الدولى أو الشرائع السماوية السمحة، ومن ثم يستوجب هذا العدوان إدانته من كل دول

العالم وشعوبها، وهو ما ظهر جليًا فى مظاهرات الاستنكار والرفض فى كثير من دول العالم وأنصار الحق والعدل والسلام.

ثانيًا: أن موقف الولايات المتحدة السافر والمؤيد للعدوان الإسرائيلى، والداعم له بكل صور الدعم المادى والمعنوى، ومنع مجلس الأمن وإعاقته عن مباشرة صلاحيته فى وقف القتال بما يعد نكوصًا عن أداء مهمته الأساسية فى حفظ السلم والأمن الدوليين. إن هذا الموقف من الولايات المتحدة لا يعتبر فقط دعمًا للعدوان، بل يرقى إلى مستوى المشاركة الفعلية فى التخطيط والتنفيذ، وهو ما ترفضه الشعوب العربية والإسلامية؛ لتعارضه مع العدل والإنصاف، وخروجه على مبادىء الشرعية الدولية،.

ثالثًا: إن هذا العدوان الصهيونى الأمريكى على الأمة الإسلامية قد كشف عن محاولات استعمارية جديدة فى ظل نظام العولمة، تستند إلى مفاهيم مغلوطة يُراد تمريرها لتحقيق أهداف غير مشروعة، واتخاذها ذرائع لتبرير استمرار الاحتلال الصهيونى للمناطق العربية فى فلسطين ولبنان وسوريا، وإعادة السيطرة والهيمنة على مقدرات شعوب المنطقة بما يحقق أهداف أمريكا وإسرائيل، ومن هذه المفاهيم المغلوطة: «الشرق الأوسط الجديد» بدلا من «المنطقة العربية»، بغرض إدخال دولة أخرى كإسرائيل وغيرها بما يؤثر على صلابة وتماسك ووحدة المنطقة العربية، وإطلاق مصطلح «الإرهاب» على كل حركة مقاومة مشروعة تستند إلى حقوق قانونية تؤكدها المواثيق الدولية وحقوق الإنسان، والتعبير «بخطف» جنود إسرائيليين بدلاً من «أسْر» باعتبارهم جنودًا إسرائيليين يوجدون داخل أراض عربية فى فلسطين ومزارع شبعا.

ومن ثم تدعو الندوةُ أجهزةَ الإعلام العربية إلى عدم الانسياق وراء هذه المفاهيم المغلوطة، والتمسك بتثبيت المفاهيم الصحيحة فى الذهن العربى والإسلامى. فحركتا حماس وحزب الله وغيرها حركات للمقاومة الوطنية الشريفة، تعمل على تحرير الأراضى العربية فى فلسطين ولبنان من الاحتلال الإسرائيلى، ومن ثم تستحق الدعم والتأييد من كل الشعوب العربية والإسلامية وكل أنصار الحق ودعاة السلام فى

العالم.

رابعًا: تدعو الندوة إلى إعادة النظر فى الواقـع العربى والإسلامى، مما يتطلب من علمـاء الجامـعات أداء دورهم المأمـول فى استنفـار الطاقـات الهائلة للأمـة (البشـرية والمادية وثرواتها الـطبيعـية)، ووضع البرامج العـلمية والخطط التى تحـقق التكامل بين عناصر القـوى فى أمتنا الإسلاميـة، وتوظيفها فى منظومـة تكاملية تعزز ثقـة الشعوب العربيـة فى قدراتها وإمكاناتهـا؛ للوقوف فى مواجـهة الخطط والبرامج الأجنبـية التى تستهدف التسلط والسيطرة على أمتنا الإسلامية. وفى هذا الصدد فإن رابطة الجامعات الإسلامـية قد سبـقت إلى تكريس جهود علمائهـا لوضع الأسس العلمية للتـحديات الحضارية الـتى تواجه الأمة الإسلاميـة فى القرن الحادى والعشـرين، وأصدرت بذلك مراجع قيّمة يمكن الاستفادة منها.

خامسًا: مطالبة الشعوب الإسلامية باتخاذ مـواقف عملية لدعم حركات المقاومة بما فيـها «حماس، وحـزب الله»، وإعلان ذلك صراحـة فى مواجهـة إعلان الولايات المتحدة الأمريكية بدعم العدوان الصهيونى، وتزويده بالقنابل الذكية والأسلحة الفتاكة لقتل الأبرياء. ومـن سبل المقاطعـة الشعبية: مقـاطعة البضـائع والمصالح الإسـرائيلية والأمـريكية، وإحـياء مكتب المقـاطعة العـربيـة الكائن بدمشق، ودعـمه ومنحـه كافـة الصلاحيات التى تكفل له مقاطعة كافة الشـركات التى تتعامل مع إسرائيل.

سادسًا: مطالبة الإعـلام العربى بكل أشكاله الـرسميـة والمستقلـة بإبراز الصورة الهمـجية والوحـشية لـلعدوان الإسرائيلى المدعـوم أمريكيًـا، وفضح ذرائعه ومـبرراته الواهيـة، وتشجـيع ورفع الروح المعنوية للمـقاومـة، وعدم الانسـياق وراء المغـالطات والمفـاهيم المغلوطة التى يرددها الإعـلام الغربى والصـهيـونى لتكوين رأى عام عـالمى صحـيح يتفق مع الشرعيـة الدولية وحقوق الإنـسان والمواثيق الدولية، والتأكـيد على المخـالفات القـانونيـة التى ترتكبهـا إسـرائيل فى الأراضى المحـتلة تحت سمع وبصـر العالم، كـذلك ما ترتكبـه ضد الهـيئـات الدولية العاملـة فى الأراضى المحتلة لتـقديم العون الإنسانى.

سابعًا: تدعو الرابطة إلى تكوين مجموعات من أساتذة القانون الدولى والمحامين الدوليين تتولى ممارسة دعاوى الحقوق القانوية لدى المحاكم الدولية والإقليمية ضد الاعتداءات والانتهاكات الإسرائيلية فى الأراضى المحتلة. وفى هذا الصدد تطالب الرابطة منظمات الإغاثة ومؤسسات الإنقاذ والدفاع المدنى فى الأراضى المحتلة وجامعة الدول العربية بتوثيق وتسجيل الاعتداءات الإسرائيلية؛ لتكون تحت نظر هذه المجموعات القانونية.

ثامنًا: تناشد الرابطة الدول العربية والإسلامية بالنظر فى الانسحاب المؤقت من الأمم المتحدة -ولو لفترة زمنية-؛ احتجاجًا على المؤامرات التى تُحاك ضدها من قبل الدول الكبرى، وتقاعس الأمم المتحدة وعلى رأسها مجلس الأمن عن القيام بدورها الطبيعى فى حفظ السلام والأمن الدوليين، بل واتخاذ هاتين المنظمتين العالميتين أداة لتنفيذ المخططات الصهيونية والأمريكية ضد دول المنطقة العربية.

تاسعًا: تناشد الندوة جامعة الدول العربية أن تقوم بنفسها، وبالتنسيق بين منظمة المؤتمر الإسلامى والدول العربية والإسلامية، وكذا الدول والصديقة فى العالم؛ لتقديم كافة المساعدات الكفيلة بإعادة الإعمار للقطر الشقيق لبنان، وتكوين مجموعات من النقابات المهنية للقيام بهذه المهمة بالتعاون مع الجامعات فى الدول العربية والإسلامية.

عاشرًا: تدعو الندوة وزراء الإعلام العرب لاجتماع عاجل؛ لوضع خطة إعلامية عالمية لكشف الممارسات الصهيونية فى الأراضى المحتلة، من خلال وقائع هذه الحرب على فلسطين ولبنان، والتى تظهر القسوة والعنف والصلف الذى تمارسه القوات الإسرائيلية، خاصة مذبحة قانا الثانية، وتعمُّد قتل الأطفال وقتل العاملين بالأمم المتحدة والجهات الإغاثية المختلفة، وبث هذه الصور فى كافة وسائل الإعلام، ودعوة بعضها للاطلاع على آثار الدمار الشامل واستعمال الأسلحة المحظورة دوليًا بتشجيع من الولايات المتحدة نفسها وبدعم منها؛ وذلك لفضح صورة العدوان للرأى العام العالمى، الذى يجرى تضليله حاليًا تحت مزاعم مغلوطة عن حق إسرائيل فى الدفاع عن النفس، وتحرير لبنان.

حـادى عـشـر: ضـرورة اطلاع مثـقفى الغـرب، ومـؤسسـات المجتـمع المدنى فى الغرب، بل ورجل الشارع فى الغـرب والشرق من خلال استخـدام البريد الإلكترونى «E-mail»، حيث يجب على العـلماء والمثقفـين وقادة المنظمات غـير الحكوميـة إرسال حقائق العدوان الإسرائيلى الإجرامى البشع على لبنان مدعمًا بالصور.

ثانى عـشـر: عـقد مـؤتمرات فى الغـرب حـول عدوان إسـرائيل، بالتـعـاون مع الجامعات هناك ومع المراكز الإسلاميـة ومنظمات حقوق الإنسان، على أن تعرض فى هذه المؤتمرات أفلام واقعية تعكس ما اقترفته إسرائيل من آثام (المقاومة بالكلمة).

ثالث عشر: تدعو الندوة الدول العربية والإسلامية أن تتـخذ التدابير المناسبة ضد المصالح الإسرائيلية فى المنطقة فى النواحى التالية:

١- إعـادة النظر فى إمـدادها بوسـائل الطاقـة، كـالغـاز والبـترول، وهى السلع الاستراتيجية ذات الفعالية المتميزة فى الصراع.

٢- إعـادة النظر فى الاتـفـاقـيـات المبـرمـة بين بعض الدول الـعـربيـة والكيـان الصهيونى، خاصة اتفاقية السـلام المصرية الإسرائيلية عام ١٩٧٩م، واتفاقية السلام مع الأردن، واتفاقيات الكويز، والاتفاقيات ذات الطابع التطبيعى بين مصر وإسرائيل.

رابع عشر: وإذ تدعو الندوة إلى تأييد الشـعب اللبنانى فى موقفه الثابت من الهـجمة العدوانية الإسـرائيلية الشرسة بدعم من الولايات المتحـدة الأمريكية، تطالب الندوة الدول العربيـة بألا تعتبـر هذا العدوان مـوجهًا ضـد لبنان أو فلسطين وحدهمـا، وإنما هو عدوان مبيَّت يستهدف المنطقة العربية كلها، وإخضاعها للهيمنة والسيطرة الأمريكية والإسرائيلية، وهو ما تجلـى فى الربط بين العدوان وإعـادة ترتيب المنطقة وإطلاق شـعار «الشرق الأوسط الجديد». ومن ثم يجب الوقوف العربى والإسلامى الجماعى ضد هذا العدوان بالنظر إلى أبعاده ومقاصده الآنية والقادمة.

خامس عشر: تؤكد الندوة أن هذه الهجمة العدوانية الشرسة لابد أن تستنفر فى الأمة

الإسلامية والعربية طاقاتها النضالية، وأن تستشعر خطورة الأهداف التى ترمى إليها القوى الاستعمارية الجديدة، من تحقيقها حاضراً ومستقبلاً، ومن ثم ضرورة الدعوة إلى التوعية الشاملة بالأخطار التى تحدق بالأمة فى حاضرها ومستقبلها، والتبصير بالأطماع السافرة والمستترة، وعدم الركون إلى ثقافة السلام وحدها؛ لأن أعداء الأمة هم فى الحقيقة أعداء السلام.

سادس عشر: وتؤكد الرابطة أنها بحكم طبيعتها العلمية واتصالها الوثيق بعلماء الأمة ومفكريها فى شتى المجالات، أنها ستكون بمثابة بيت خبرة لهذه الأمة الإسلامية، تمدها -دولاً وشعوبًا- بكل البحوث والدراسات والاستشارات القانونية إقليميًا ودوليًا. وتؤكد الندوة أن الأمة الإسلامية التى واجهت من قبل جحافل المغول والتتار وانتصرت عليهم ودحرتهم، لهى قادرة -بعون الله وبفضل إيمانها المطلق بالعدل والحق والسلام- أن تنتصر وأن تقوى على مواجهة كل الأخطار.

ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز..

❊ ❊ ❊

القسم
الإفرنجى

directions of U.N. in which Afghanistan itself is member State, as well as Arba and Islamic nations, which will exclude any possibility of deliberate crime.

Conclusion:

Since international control over terrorist is absent, the international community should send a message to the terrorist groups around the world that the environments as well as the civil personnel and properties should be excluded from being victimized by their acts, otherwise they should lose any kind of support or protection. However, states, as members of the international community, should be bound by the international and humanitarian rules protecting humans and the environment. Any act of reaction against terrorism should be taken in a safe and environmentally sound way. Humans causalties and environmental destruction should be minimized and avoid.

International efforts in fighting the terrorism should be organized. A new international organization specialized in organizing the fight against terrorism shuld be created. An accepted definition of the act of terrorism should be adopted. A task of force specialized in armed intervention should be established. Another task of information collectors should be formed and given the power to access into financial system of each suspected nation. Exchange of information among nations should be reinforced. An international conference, to resolve all the international problems that have been used as pretext by the terrorists, should take place.

commentary to suspected States and requires respond and positive action regarding these comments. This body would establish solid anti-terrorism relation between the United Nations members prior to any terrorist attack, assist each others to avoid, prevent ant eliminate it.

The United Nations Security Council should stand behind its resolutions, to assure certain resolution was completely executed. For example, if the Security Council took much serious steps to assure the full application of its Resolutions No. 1267/1999 and 1333/2000, none of the events of September 11th would have place.

The jurisdiction of prosecuting terrorists should be subject to an international convention to settle this question. For instance, the jurisdiction of the ICC should be extended to directy include terrorism crimes, instead of only consider them as war crimes.Until that time, the Security Council, similar to the ICTY and ICTY, should establish and an hoc body to prosecute individual suspected to commit terrorist activities within AlQaeda group.

And finally, using the force to fight the terrorism in the territory of States that not comply with the Security Council resolutions should be attributed only to the United Nations armed forces, who have the right to enforce the rules of international law, including the fight against terrorism. A victimized State when use military force to fight the terror may, unde the influence of revenge, commit war crimes against the population and their environment, with out any supervision of the international community. However, the U.N. military forces will use their force to enforce the roles of law, not to punish the harboring nation and their environment. The U.N. military force will work under the

dissatisfaction for the way that the international community is dealing with this issue. Another number of activities occurred to express dissatisfaction towards the question of Irelands. The international community in view to final and satisfying settlement must intensively examine these questions and others more around the world. This settlement would increase the front fighting the terrorism, where involved parties in such question wil participate in the fight, and cut the road for any one who uses these questions as pretext to commit violent acts against any nation. For example, if the Palestinian question is settled, the PLO, voluntarily and not under the Israeli threat, will intensively adhere to the international community to fight the terrorism, not allowing Osama Bin Laden to use the Question of Palestine as an excuse, and may send troops to fight beside the American military the battle against the terrorism .But now most of the Palestinians, including Chairman Arafat's Cabient, even if they do not express their feelings, the are happy from rising the Palestinian issue by Osama Bin Laden.(170)

An international fund should be established, and funded through the frozen assets, international organization, States and individual donations. This fund should be established withlin the United Nation cadre to finance anti-terrorism operations, collect intelligence information about terrorist groups around the world, lead the efforts of fighting the terrorism, and requires annual reports of the State members regarding their efforts to fight the national and international terror, present its own commentary and other members

(170) It was reported directly after the September 11th terrorist attack that some Palestinian celebrated the tragedy. Cnn.com, *Attacks draw mixed response in Mideast*, Sept. 12, 2001, available at<http://www.cnn.com/2001/WORLD/europe/09/12/mideast.reaction/index.html> (last visit Dec. 7, 2001)

attorney general said: "justice has been done in the case. But the main question is wheter the criminal justice system is in itself the right response"[168]

Similarly, Afghanistan refused to hand over Osama bin Laden to United States and proposed to try him before neutral Islamic tribunal in a neutral third contry, which has been rejected by the U.S. in tow different occasion.[169] The United States, instead of using the military force, risking the life of its military personnel, destroying the environment in Afghanistan, and causing human casualties, shoud have negotiated the offer, in view to prosecute Osama bin Laden under the jurisdiction of neutral State, such as Netherlands.

What should be done to avoid future terrorist activities, assure the prosecution for terrorists and the faire trial?

Section Five

What should done to avoid future environmental effects of terrorism

To avoid any future terrorist activities, an international body should created within the United Nations to follow up the terrorist issues, lead the fight against such crime, prepare for the prosecution and punishment of the perpetrators.

This body should examine the world international problems, in view to provide and assist a quick and faire solution. For example, number or terrorist activities took place to express

---

(168) Id.

(169) John Lancaster, Afghanistan Offers to Try Bin Laden. in Possible Prelude to Expulsion, WASH. POST, Oct. 30, 1999, A22, available at 1999 WL 23311884; A Test for Taliban, supra note (161) at A23.

question. The host State do not trust the procedures in the victimized State and requires to prosecute them under its jurisdiction. Afghanistan offered to prosecute Osama bin Laden under its national jurisdiction, and punish him if convicted, (161) which has been rejected by the U.S.

Afghanistan, as Muslim country, should be subject to the Islamic Convention for Combating the Terrorism, which requires all the Contracting States to arrest perpetrators of terrorist acts and prosecute or extradite them.(162) Article 3 (II)(B)(5) of the Convention encouages cooperation between the concerned organs in the member States, and citizens, in order to help uncover terrorists and arrest them.

Under the international community's pressure,(163) Libya handed over the two Libyan nationals,(164) who were suspected of conducting the 1988 bombing of Pan Am Flight 103 over Lockerbie, (165) to be prosecuted in the Netherlands, a neutral country, under the jurisdiction of the Scotch law. Recenly, the three Scottish judges voted unanimously to find Al-Megrahi guilty and sentenced him to life imprisonment.(166) However, the second Libyan, Fhimah, was acquitted.(167) Following the verdict against the two Libyans charged in the bombing William P.Barr, the

---

(161) A Test for the Taliban, WASH. POST, Sept. 19, 2001, A23, available at 2001 WL 27733392, [hereinafter *A Test for Taliban*].

(162) THE OIC CONVENTION ON COMBATING INTERNATIONAL TERRORISM, supra note (9) art. 3 (II)(B)(I).

(163) S/RES/731/ (1992) January 21, 1992 "The Security Council Condemns Destruction of Pan American flight 103".

(164) Abdelbaset Mohammed Al-Megrahi, and Al-Amin Khalifa Fhimah

(165) Wedgwood, *supra* note (59) at 574.

(166) Johnston, Anti-Terror Weapon, *supra* note (159) at A12.

(167) Id.

crime, "bank robbery or a homicide [...]It should be dealt with by military force [...]" [159] But, that does no nean the exclusion of terrorist judicial rights. And since there are fears from prosecuting according to the American legal system, an international court should have the jurisdiction over such crimes.

The most critical part in the military commission is that such commission has jurisiction over foreigners only. Horrible terrorist activities can occur by citizens of the United States, such as the explosion of federal building in Oklahoma by Timothy McVeigh. [160] The situation got worst when an American was fighting beside AlQaeda, who will be excluded from the competence of the commission because he is not foreigner. Here, the same crime is committed in partnership between two persons, one will be tried under the United States jurisdiction, one by the military tribunals without benefiting from most of the defense rights granted by the American legal system, and the second will benefit from these rights, and the difference based only on the citizenship. This will constitute a precedent for other States to prosecute their nationals under different rules of law than foreigner involved in terrorist activities.

Prosecting the terrorist is a mission that can be eased by different kind of support and cooperation of the international community. State to prosecute them. Some time there exist disagreement regarding the extradition and the prosecution

---

(159) David Johnston, Courts a Limited Anti-Terror Weapon, N.Y. TIMES, February 1, 2001, at A12 [hereinafter Johnstio, Anti-Terror Weapon].

(160) The FBI : A Comprehensive Reference Guide 95 (ATHAN G. THEOHARIS ET AL. EDS., 1999).

to prevent terrorists from finding safety in "sympathetic States" that are unwilling to prosecute them despite the international pressure. (158) The difference between States legal system may reflect on the terrorist conviction and the nature of his punishment, where he might be freed or convicted in a symbolic punishment. In contrast, under the pressure of being victim of an act of terrorism, the State may ignore the terrorist right provided in its national legal system, prosecute outside the cadre of its judicial system, or punish without prosecution. Therefore, such crime should be submitted to an international jurisdiction, prosecutes publicly under the rules of the international law, with assuring all the right will be granted.

Since the existing legal structures often allow perpetrators to avoid punishment, victims to remain without a remedy and the environment to be left wrecked the United States decided to bring perpetrators to justice or bring justice to them. After the Septmebr 11th terrorist activities, the United States formed military commission to try and prosecute terrorists involved in this tragedy. Some argued that the establishment of such commission to try terrorist includes violation and express unconfidence in the judicial system of the United States to deal with such crimes. The American administration believes that, until terrorist are exteminated, the United States remain in war, and in war military tribunals are competent to try the enemy. Furthermore, trying the terrorists on the American soil threaten the United States safety to be subject to future terrorist activities seeking the free of the terrorists.

Certainly, terrorist activities should not be dealt as a regular

(158) Wallace F. Warriner, *The Unilateral Use of Coercion Under International Law: A Legal Analysis of the. United States Raid on Libya on April* 14, 1986 37 NAVAL. REV. 49, 78-79 (1988).

obstacle to establish one by the United Nations Security Council, to judge the suspeccted terrorist according to the law of war, and to avoid any request of different governments to prosecute their citizens involved in AlQaeda.

Despite the absence of such ad hoc tribunal, the International Criminal Court has competence to prosecute crimes of war.[157] However, the dilemma here is that the United States is not yet ratifying the Statute of the ICC, which exclude the right or the court to examine questions in volve non member States. Therefore, the United States should ratify the Statute of the ICC as soon as possible to give the court jurisdiction to prosecute terrorist for committing war crimes. But, it seems that the U.S. seeks to prosecute the terrorists of September 11th and all AlQaeda members under U.S. military commission.

From the previous examination of the terrorism, the international character to the terrorism is predominated, which excluded the national jurisdiction of any State, including the United States, from examining such matter. Practically, States witness acts of terrorism react based on its national security and protection of its own nation, and give themselves the priority right to prosecute and punish the perpetrators according to their national jurisdiction.

b) Internal Criminal Responsibility

The internal criminal responsibility of the terrorist can be argued by his State, States supporting the terrorist, or by the State who claim jurisdiction over his prosecution. It is agreed that no State should protect terrorists, even if they are its citizens, in order

(157) ROME STATUTE, supra note (155) art. 8

committed in peace time or in times of armed conflict, because even if it is committed in peacetime it is an act of war and would necessarily lead to an armed conflict. For example, the act of terrorism committed in September 11, 2001 against the United States led to the war in Afghanistan. So there is no reason to exclude terrorist activities of peacetime from being defined as war crimes.

Committing war crime requires submitting the perpetrators to the jurisdiction of ad hoc or permanent international tribunals. In the present time, there is no ad hoc tribunal that has jurisiction over terrorist activities committed against the U.S. But, there is no legal

---

Intentionally directing attacks against civilian objects, that is, objects which are not military objectives; (iii) Intentionally directing attacks against personnel, installations, material, units or vehicles involved in a humanitari assistance or peacekeeping mission in accordance with the Charter of the United Nations, as long as they are entitled to the protection given to civilians or civilian objects under the international law of armed conflict; (iv) Intentionally launching an attack in the knowledge that such attack will cause incidental loss of life or injury to civilians or damage to civilian objects or widespread, long-term and severe damage to the natural environment which would be clearly excessive in relation to the concrete and direct overall military advantage anticipated;(v) Attacking or bombarding, by whatever means, towns, villages, dwellings or buildings which are undefended and which are not military objectives;[...] (ix) Intentionally directing attacks against buildings dedicated to religion, education, art, science or charitable purposes, historic monuments, hospitals and places where the sick and wounded are collected, provided they are not military objectives; (xiii) Destroying or seizing the enemy's property unless such destruction or seizure be imperatively demanded by the necessities of war; [...] (xvii) Employing poison or poisoned weapons; (xviii) Employing weapons, projectiles and material and methods of warfare which are of a nature to cause superfluous injury or unnecessary sufering or which are inherently indiscriminate in violation of the international law of armed conflict, provided that such weapons, projectiles and material and methods of warfare are the subject of a comprehensive prohibition and are included in an annex to this Statute, by an amendment in accordance with the relevant provisions set forth in articles 121 and 123;[...] (e) Other serious violations of the laws and customs applicable in armed conflicts not of an international character, within the established framework of international law, namely, any of the following acts: (i) Intentionally directing attacks against STATUTE OF THE INTERNATIONAL CRIMANAL COURT, arts. 7 & 8 (1998) 37 I.L.M. 999 (1998).

(156) Spencer J. Crona & Neal A. Richardson, *Justice for War Criminals of Invisible Armies: A New Legal and Military Approach to Terrorism,* 21 OKLA. CITY U.L. REV. 349, 356-66 (1996).

2) The Criminal Responsibility of the Terrorists

The terrorists can be subject to criminal responsibility within the international legal system as well as the internal.

a) International Criminal Responsibility

Internatinal criminal rules can be applied over terrorists whenever they commit a crime that has international characters in violation of international instruments such as attaciking an international organization's building, using unlawful techniques and methods of war, attacking civilians and civil objects, destroying internationally protected sites and monuments. These acts can be classified in international law as war crime, crime against peace, or crimes against the humanily.(155) The international community should cooperate to respond to terrorist acts, by considering such acts war crimes, rather than treating them as crimes within the national criminal jurisdictions.(156) It is war crime whether

(155) Article 5 of the ICTY and 3 of the ICTR provide that the Tribunals shall have the power to prosecute persons responsible for the following crimes"[...] (a) murder;(b) extermination; (c) enslavement, (c) enslavement;(d) deportantion;(e)imprisonment;(f) tortue; (h) persecutions on political, racial and religious grounds;(i)other inhumane acts." S.C.Res. 808, U.N. SCPR, 48th Sess., 3175th mtg. at 28, U.N.Doc. S/INF/49 (1993) [hereinafter ICTY Statute]; S.C. Res. 955, U.N. SCOR, 49th Sess., 3453rd mtg. at 2, U.N. Doc. S/RES/95 (1994) [hereinafger ICTR Stanute]. Article 7 & 8 of the ICC Statutes provide that "[...] crime against humanity means any of the following acts when committed as part of a widespread or systematic attack directed against any civilian population, with knowledge of the attack: (a)Murder; (b) Extermination; [...] 2. For the purpose of paragraph 1: (a) "Attack directed against any civilian population" means a course of conduct involving the multiple commission of acts referred to in paragraph I against any civilian population, pursuant to or in furtherance of a State or organizational policy to commit such attack; [...]" "[...] war crimes means: (a) Grave breaches of the Geneva Conventions of 12 August 1949, namely, any of he following acts against persons or property protected under the provisions of the relevant Geneva Convention: (i) Willful killing;[...] (iii) Willfully causing great suffering, or serious injury to body or health; (iv) Extensive destruction and appropriation of property, not justified by militay necessity and carried out unlawfully and wantonly; (viii) Taking of hostages. (be) Other serious violations of the laws and customs applicable in international armed conflict, within the established framework of international law, namely, any of the following acts: (i) Intentionally directing attacks against the civilian population as such or against individual civilians not taking direct part in hostilities; (ii)

damage to recover direct expenses or losses such as medical expenses, lost wages, diminished property values, or nonmonetary reparation such as oil spill cleanup or a revegetation areas.(154)

Transmitting the monetary compensation requires time, to find out the involved parties in such crime, to enforce harboring State to admit responsibility for such acts, and finally to collect the requested compensation. That does not mean that the environment and the site of the terrorist act should last destroyed, polluted and full of human bodies until compensations received, but the State can Start directly to clean up and rebuild the affected sites. Both the terrorists and the involved States, every one according to his responsibility, should pay the charge's bill of the cleanup and reconstruction.

Wealthy States, like the United States, are capable to finance the cleanup and rebuilding charges, some other State may do not have the finacial ability to finance these charges, does that mean that their environment should last polluted and destroyed until receiving the compensation. Surely no, where frozen assets or terrorists around the world can be used to finance these operation of rescuing the environment.

Fighting the terrorism without capturing the terrorist themselves and held them responsible risk to enhance a future terrorist activities. Therefore, capturing the terrorists and criminalize them in view to be locked in jail is a major task in fighting terrorism.

---

(154) Sanford E. Gaines, *International Principles for transnational Environmental Libility: Can Developments in Municipal Law Help Break the Impasse?*, 30 HARVARD. INT'L L. J. 311, 324, fn. 65 (1989) [hereinafter Gaines, *International Principles*].

activity, the satisfaction would be varied, destroying of training camps, closing terrorist financial institution, freezing terrorist assets, handing over suspected terrorists, and/or apolgy. In the acts of terrorism no apology can be accepted only if the suspected State undeliberately was assisting the terrorists and positively modify its attitude to join the international efforts in the fight against the terror. Otherwise, if the State deliberately assist, finance, harbor, protect the terrorists and refuses to comply with the international community's requirements to eliminate the terrorist activities under its jurisdiction, then there will be no place for the apology.

Restitution is the best measure that should take place after cracking down of the terrorism. Restitution as the best measure to protect the environment, it can reestablish the nation's bride. For example, cleaning up the ground zero in New York, Pentagon, St. Petersburg, and rebuilding the WTC twin towers and the Pentagon damaged side would stand as an American sign for any future tentative of terrorism, remind any person of the end of Taliban, AlQaeda and any other future terrorists. Finally, in view to repair and relief the harm that caused by the terrorist activity, compensations should be transmitted to the damaged party. The U.S. acknowledges that compensations should be transmitted to the damaged party.The U.S. acknowledges that compensation is the preferred and practical form of reparation, and it has a priority over restitution in practice.(153)"Securing commpensation for an injured party is an undisputed objective of liability principles. Indeed, compensation defines the essence of the classic tort case, in which the injured party sues the allegedly responsible party for monetary

(153) Paraguay v. U.S., 37 I.L.M. (1998) 468.

by the Taliban government, which let no choice before American Administration only to use the armed forces The American military operation in Afghanistan started October 7, 2001, and lasted up to the moment of preparing this paper. Military force was succeeded to achieve most of the requirements imposed prior to the military action, the training camps were completely destroyed, the aid workers were released,(151) and AlQaeda members whether killed, arrested or under the run.(152) However, most the AlQaeda and Taliban, including Mulla Omar and Osama bin Laden, were not been captured.

Once the harboring States voluntarily or under the international pressure comply with the international will, the terrorists were arrested or killed, who will be responsible for the humans lives and environment that were targeted by the terrorist activity.

c) Restitution, Reparation and Compensation for the Aftermath

Once the responsibility proved against the States under any of the forecited pretexts, it has to face the financial responsibility for the damage that caused by the acts of terrorism. As a result of the international responsibility, States, after stopping the violation voluntary or under the international pressure, should satisfy, restitute and/or compensate for the damage of the terrorism.

Accordign to the nature of State involvement in the terrorist

(151) Cnn. com, U.S. says senior Taliban leaders captured, Nov. 15, 2001, <http://www.cnn.com/2001/US/11/15/gen.war.against.terror/index.html> (last visit Dec. 17, 2001).

(152) Chris Tomlinson, Militia Declare Victory Over al Qaeda: No Sign of Bin Laden, WASH. POST, Dec. 16,2001. available at <http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/articles/A50685-2001Dec16.html> (last visit Oct. 16, 2001).

Despite the ineffectiveness of some international sanctions they are less harmful to the humans and the environment than the use of military force.

b) Military Action

As a result of being victim to an act of terrorism, States have the right to use military force, unilaterally or mutually, under the pretext of individual or collective defense.(148) Moreover, international organizations can use military forces to enforce the rules of international law. The United Nations and North Atlantic Treaty Organization (NATO) are the most involve international organizations in the military operations.

Some States, when refuse to comply with the international law rules, do not give the international community any choice only to use the force against them. Fror example, on April 15, 1986, the United States bombarded some training camps in Libya, in view to express its opposition to the Libyan support and finances to some Palestinian terrorist goups, such as the Front Popular for the Liberation of Palestine and Abu Nidal Organization, and its role in explosion that took place in Germany, in a discotheque frequented by American servicemen.(149) Finally, after the events of September 11th, the American President, George W. Bush, required from the Taliban regime to destroy the terrorism camps in Afghanistan, hand over the leaders of AlQaeda and to relese the aid workers detained in Afghanistan.(150) Non of these requirements were voluntarily met

---

(148) U.N. CHARTER, *supra* note (140) art. 51; S.C. Res. 1368/2001, prar. 3, 4370th mtg., Sept. 12, 2001, [hereinafter S.C. Res. 1368/2001].

(149) See, Gregory Francis Intoccia, American Bombing of Libya: An International Legal Analyses, 19 CASE W. RES. J. INT'L L. 177 (1987) [hereinafter Intoccia].

(150) The President's Statement before the Congress, supra note (95).

imposed sanctions over Iran, which was involved in terrorist activity against Americans,(144) and providing a group in the United States.

International sanctions affect the country's system. But some experienced sanctions proved that second class of the population is the most affected by the international sanctions, menwhile the suspected terrorists and their supporters of the government do not suffer from the effects of the sanctions. This the case of Iraq, where the criminals who commit terror activities during the occupation of Kuwail do not suffer any loss from the sanctions, and their leader Saddam Hussein still building new palaces and exaggerating in celebrating his birthday parties.

Afghanistan was subject to the U.N. sanctions since 1999, when Taliban insisted not to hand over Osama Bin Laden. The Security Council imposes sanction over Taliban regime by it Resolution No. 1267/1999.(145) These sanctions were intensified by the Security Council Resolutin No. 1333/2000.(146) None of these procedures were effective to affect the taliban ability to harbor AlQaeda. But once that act of terrorism was committed and the damages were occurred, the Security Council adopted Resolution No. 1373/2001 to eliminate the terrorism funding to AlQaeda.(147) This Resolution worked, not because it adds new elements in the fight against the terrorism, but because the victim was honorable and strong State and the damages were severe.

---

(144) The Iran and Libya Sanctions Act of 1996, 50 U.S.C.A. § 1701 (West Supp. 1996); See, J.P. Wooten, at 92 fn. 155; Tim Weiner, 'Weiner,'War on Americans' is Declared, Denver Post, Aug. 23, 1998, at A1.

(145) S/RES/ 1267 (1999), 4051st mtg, Oct. 15, 1999.

(146) S/RES/1333 (2000), 4251st mtg, Dec. 19, 2001

(147) S/RES/1373 (2001), 4385th mtg, Sept. 28, 2001

to impose sanctions over States harboring the terrorism. [139] For example, according to powers accorded to the Security Council of the United Nations, [140] it imposed international sanctions over States suspected to harbor and assist the terrorism, such as Resolutions No. 748/1992 and 883/1993, [141] imposed sanctions over Libya to hand over suspected terrorists in blowing up the Pan Am Flight 103 over Lockerbie.

However, imposing international sanction by a State or a group of affected States, without being approved by an international organization, could be subject to international argument. It is the right of each State, without any restriction, to design the level and nature of its foreign relations with other States. The State has the right to indicate the level of diplomatic relations, commercial exchange, cultural and military relations with other States. However, according to the international principle of equal treatment, the suspected State has the right to respond with similarly procedures.

In response to the evidences linking Libya to the December 27, 1985 Rome and Vienna bombings,[142] the United States imposed economic sanctins over Libya.[143] The United States also

---

(139) Walter Gray Sharp Sr., *The Use of Armed Force Against Terrorism: American Hegemony or Impotence?* CHI. J. INT'L L. 37, 43 (2000)

(140) CHARTER OF THE UNITED NATIONS, arts. 41 & 42, June 26, 1945 1 U.N.T.S. XVI [hereinafter U.N. CHARTER].

(141) S/RES/748 (1992), Mar. 31, 1992; S/RES/883 (1993), Nov. 11, 1993

(142) Libya according to American evidence also involved in the "bombings of airline offices in Rome and Vienna [took place] on December 27, 1985, [and] left twenty dead and over eighty injured." Trwhitt, A New War-And Risks, U.S. NEWS & WORLD REP., April 28, 1986, 20, at 23; N.Y. TIMES, Dec. 31, 1985, at A1, col.4

(143) 31 C.F.R.§50. 101- 807 (1986) (U.S. Department of Treasury regulations prohibiting imports, exports, transportation or travel to or from Libya; performance of contracts supporting projects in Libya; and extension of any credit or loans to the Government of Libya).

Similarly, since certain proves pointing that most of the terrorists of September 11th were trained in Afghanistan, [137] then the acts committed in Afghanistan (training) under any legal or illegal pretext, harmed other nation's environment, such as the United States of America, is enough element to hold the Afghani government internationally responsible for the transboundary pollution.

As a result of the responsibility, State may subject to international sanctions, whether imposed by international organization or the coalition of States. The international community may make pressure over the responsible State by imposing international sanctions, military action, and finally may require restitution, rehabilitation, and compensation.

a) International Sanctions

The international sanctions are legal measures uned by the international community to enforce the rules of law. They can be defined as "measures taken against one or more countries to force a change in policies, or at least to demonstrate a country's opinion about the other's policies."[138] International sanctions might be used under the umbrella of an international organization or by a group of affected States. Adopting international sanctions by an international organization would give these sanctions wide international approval. The Security Council of the United Nations has the power

---

(137) Cnn.com, UK offers new bin Laden evidence, Nov. 14, 2001, <hattp://www.cnn.com/2001/WORLD/europe/11/14/inv.britain.proof/index html> (last visit Dec. 3, 2001)

(138) Foreign Affairs and National Defense Division, Congressional Research Service, Economic Sanctions to Achieve U.S. Foreign Policy Goals: Discussion and Guide to Current Law (1997).

group, as long as it does not harm other nation's interests, citizens or the environment, should not be subject to the international efforts to fight the terrorism. This kind of activity should be subject to the internal laws of the State, and other States should not intervene in the internal affairs of the State. Other States can intervene only if such activities were expanded beyond the States borders or threats other nations' interests, citizens, or environment. The terrorist activities of AlQaeda did not present a legal base for international military action against Afghanistan only when such activities harmed other nations interests, and environment. Principle 21 of the Stockholm and Principle 2 of the Rio were general about the source of activity that cause transboundary pollution, so it can be illegal and legal as well. The absolute responibility is a great bases to eliminate the confrontation between different ideologies regarding what can be considers as terrorist act that held States responible and the heroic acts that are considers as nations right. In both cases, since terrorist acts damage other nation's environment, State that was the source of these acts should be held internationally responsible, because it is incapable to prevent such acts from harming other nations humans and environment.

For example, without discussing the issue of Plaestinian right of self-determination, and oppose the occupation, the Organization of Liberation Palestine(OLP), as a legal representative of the Palestinians, should be held responsible for acts committed against Israel, even if they claim that they are practicing the right of self-determination, because diplomacy is the only way of resolving international questions. Act of force should be limited within the territories supervised by the OLP, and only the diplomacy should be shown beyond these territories.

President's requests by destroying the terrorist training camps, handing over AlQaeda leaders to be judges before the United States Justice, and to release the western relief workers that are destained in Afghanistan.(136) If they did so their responsibility will stand only for the portion of the damages that are not covered by the terrorists themselves. Similarly, Chairman Arafat had the chance to avoid the late Israeli military strikes of December, 2001, by proceeding earlier detention of suspected terorists listed in Israeli lists provided to Arafat and Taliban, the first started to join the international efforts to fight the terrorism, but Taliban continue to refuse such adhesion. Despite this attitude, Israel continues to declare that such procedures are too much too late, and disconnect any official contact with Arafat.

Since the question whether certain act is considered an act of terrorism or herisom is subject to great confornation between nations, would this confrontation shield perpetrators from being accountable for violence and threat of violence? The respond is negative, and States that harbors those heroes can be held responsible too, but on different legal base.

b) Absolute Responsibilty

It is time to predominate peace over the globe. Peace cannot predominate without holding each State responsible for the activities that conducted under its jurisdiction, whether legal or illegal. Acts of force committed within the nations territory from its own citizen should not be subject to international responibility. For example, terrorist activities committed by the Spain separatists

(136) The President's Statement before the Congress, *supra* note (95).

When State deliberately harbors the terrorism, helps and hides them, it can be held responsible for such acts, because it violates the rules of international law regarding the fight against the terrorism. Like the Taliban regime, in Afghanistan, they hosted AlQaeda members, provide them with their needs, exchange with them intelligence information, train together and even fight together. There is tentative to compare the PLO auttitude to the attitude of the Taliban regime. (132) These tentative are based on the fact that Hamas and the Islamic Jihad Group, declared its responsibility for most of the suicide bombing operation in Israel, (133) especially the recent ones that took place on December 1 and 13, 2001, and killed twenty-six civilian and injured hundreds.(134) The position of President Yasser Arafat was described similar the position of Mulla Omar the Chief of Taliban where the first is harboring Hamas and the Islamic Jihad Group and the second harboring AlQaeda.(135)

In this situation, the State is internationally responsible, and its responsibility along with the terrorists' responsibility. Since without Afghanistan's help, AlQaeda terrorist group will not find a place to train their personnel or to plan their crimes. Despite this responsibility, the State may reduce its international responsibility, and begins a new era, by joining the international community's efforts in the fight against the terrorism. For example, Taliban had a chance before the military operation to respond to the American

---

(132) Id., at 2.

(133) Lee Hockstader, *Israeli Troops Attack Arafat Sites*, WASH. POST, De. 14, 2001, A42.

(134) Editorial, *Tosing Arafat Overboard*, N.Y.POST, Dec. 13, 2001, at 36, available at 2001 WL 30092088; Uri Dan, Andy Geller & Bridget Harrison, Slaughter in Jerusalem from Twin Suicide Blasts, N.Y. POST, Dec. 2, 2001, at 8, available at 2001 WL 30091191.

(135) Cnn. interview with the Israeli Consulate spokesman in the United States, Dec. 2 , 2001.

cooperating with the internationally responsible, States can avoid such responsibility by cooperating with the international efforts to arrest the perpetrators and bring them to justice. For example, after the September 11th, Kuwail avoided such responsibility by joining the international efforts in fighting the terrorism, where suspected accounts were frozen in Kuwait, intelligent information were shared with the concerned States,(128) the citizenship of AlQaeda Spokesman, Suleiman Abu-Ghaith, was withdrawn,(129) and number of young Kuwaitis were recently prevented from traveling to Afghanistan, detained and investigated. All these procedures prove that the Kuwaiti assistance of terrorism was undeliberated, and new procedures were useful and major in eliminating any future terrorist activities, which should shield Kuwait from international responsibility in assisting the terrorism.

(4) Deliberately Harboring the Terrorists:

Harboring the terrorist is a new term that has been used, after the September 11th terrorist acts, by the American President Bush.(130) It became frequent and one of the international law term. In another occasion the Prime Minister of Israel, Ariel Sharon, used the same term to describe the attitude of the PLO in hosting some Islamic groups that look to achieve their goal in destroying the State of Israel.(131)

---

(128) *The Government Activates the Supervision over the Sharity Accounts, and Deal Positively with the American Demands*, ARAI ALAAM NEWSPAPER (Kuwait, in Arabic), Sept. 9, 2001, at 1.

(129) *The Council of Ministers Decided to Withdraw Abu-Ghaith Citizenship*, ALWATAN NEWSPAPER (Kuwait, in Arabic), Oct. 15, 2001.

(130) This concept was frequently used by the American President and his Cabinet during the period of time that followed the Sept. 11, 2001, attacks on the United States.

(131) Uridan & Bedorah Orin, *Sharon Sounds Battle Cry for His Own War on Terror*, N.Y. POST, Dec. 2, 2001, at 2. available at 2001 WL 30091146.

them. Despite the standing of the State responsibility, State could minimize its responsibility by joining the international efforts in fighting the terrorism.

(3) States Passive Assistance to Terrorist Activities:

Unfortunately, some States know that terrorists groups are based on their territory, training, or conducting researches to produce arms of mass destruction, but the are passive, and look the other way. In the occurrence case, the pasive attitude of the State should be considered as a fault, and the State's responsibility is base on the fact that, in a certain time, it was able to stop or eliminate the risk of terrorist activities, but its negligence undeliberately prepare the climate and the suitable circumstances for the terrorists to commit their crime. This is like the situation in most of the Arab and Islamic countries, such as Kuwait and Saudi Arabia. They knew that some of the charity money is going to help terrorists but, as a maximum measure to fight the terror, they may criticize such actions only Moreover, they knew that certain number of their citizens traveling to Afghanistan to fight with AlQaeda, and never tried to prevent them or held them accountable. These countries, in view to avoid internal insurgency, take passive attitude to equilibrate between the international obligations to fight the terrorism and the population sympathy with some of the terrorists' reasons.

Here, the State can be responsible for its passivism, since it turns the other wy and undeliberately nourish the terrorism the terrorism and provide it with all the needs to live and spread out all over the globe. Despite the passive attitude that hold these States internationally responsible, States can avoid such responsibility by

Abu Saiyaf, which practicce terrorism within the national jurisdiction of Philippines, but against the Philippines laws.(124) The government of Philippines fights the terrorist group of Abu Sayyaf without being able to capture or eliminate their terrorist activities.

Moreover, after the terrorist activities of September 11th, the President of Philippines came to visit the American President George W. Bush in his efforts to fight the terror and requesting his support to eliminate terrorist activities in her country.(126)

(2) Undeliberately and Negligently States Harboring the Terrorism:

Some countries know that there are terrorists on its land and it could arrest them, but it does not do that because it is not taking it seriously. Here, the negligence is considered a legal basis for States responsibility. An example of negligence is the U.S. attitude prior to the September 11th attacks. The Unites States administration has receeived serious threats, and was subject to a much less dangerous terrorist attacks from AlQaeda, but does not take it seriously, and was satisfied with attacking two sites in Afghanistan and Sudan in 1998.(127) Here, the State can be held responsible for its negligence, since it could arrest the terrorists but it did not take it seriously, until the terrorists find a good time and place to commit their crimes. In this case, the negligence of the State stands behind the terrorist attack. Terrorist attacks could be prevented in earlier stages, if the State was seriours, follows the terrorists, and arrests

(124) Associated Press, *Philippine Troops Kill 6 Muslim Guerrillas,* WASH. POST, Dec. 2. 2001, A26, available at 2001 WL 30329539.

(125) See, Kenzo S. Kawanabe, *Philippines Tighten Visa Ruies to Crack Down on Terrorism,* 10 IMMIGR. L. J. 313 (1996) [hereinafter Kawanabe].

(126) Cnn.Com, *Philippine leader confident in anti-terror fight,* Nov. 20, 2001, available at <http://www/cnn.com/2001/US/11/20/ret.us.philippine.presidents/index.html> (last visit Dec. 3, 2001)

(127) Campbell, supra note (80) at 1089-90.

mission in fighting the terror, by allowing the use of its territory and military bases, provides military, economic and financial contribution to fight the terror, then there will be no legal stand for its international responsibility. For example, Indonesia fought the piracy acts occurred in the Strait of Malacca, and encouraged United States operation that took place in Indonesian territorial sea in the Strait of Malacca.(121) Here there will be no legal to hold Indonesia responsible for the acts of piracy that took place in its territorial sea. Another example, when the U.S. undeliberately has allowed AlQaeda to have bases in its territory, trained them in its own flying schools,(122) using its own airplanes. Again, there was no American cooperation with terrorist, but in contrast their activities were against the U.S. laws and against the government will, which formed international coalition, provide military and financial contribution to fight the terror in Afghanistan. Therefore, there will be no legal bases for the United States international responsibility for hosting the terrorism, especially before States who lost citizens in the events, because the planning and executed were conducted in the United States territory but in violation of its national laws.(123) Moreover, being the most affected nation in the terrorist activity would exclude any possible cooperation with the terrorists. Final example is the Islamic Group of Separates leaded by the militant

(121) "Indonesia, Malaysia, and Singapore have for some time been conducting coordinated anti-piracy patrols off their waters in the Malacca and Singapore Straits that have resulted in a decrease in piratical attacks." See, PIRACY REPORTING CENTER, PIRACY AND ARMED ROBBERY AGAINST SHIPS, Report for the Period of Jan. 1- June 30, 1998 (July 1998), at 1, cited in Zou Keyuan, *Enforcing the Low of Piracy in the South China Sea*, 31 J. MAR. L. & COM. 107, 116 fn. 43 (2000).

(122) Karen De Young & George Lardner Jr, Fla. *Flight Schools Host Many Aspiring Pilots From Abroad; Hijack Suspects Trained Openly, Legally*, WASH. POST, Sept. 14, 2001, A17, available at 20001 WL 27732546.

(123) *See*, Antiterrorism and Effective Death Penalty Act of 1996, Pub L. No. 104-132, 110 Stat. 1214 (1996).

Section Four

The Responsibility for Acts of Terrorism

Causing environmental pollution to other nation's environment, in contradiction to the prohibition of transboundary pollution principle can provide a legal base for addressing State's responsibility. Environmental damage resulted from acts of terrorism can rise two kinds of responsibility, international responsibility of the State, and criminal responsibility of the terrorists. The application of the transboundary pollution over terrorist activities will enlarge the domain of the actual system of responsibility to include terrorists as a kind of pollution.

1) The State Responsibility for Transboundary Pollution of Terrorism

International responsibility of the State can base on the State fault, which called fault responsibility, and can stand without fault, which called strict or absolute liability.

a) Fault Responsibility

In terrorist crimes four patterns of fault can be attributed to a State in view to be held responsible for humanitarian and environmental effects of terrorism:

(1) Harboring the Terrorism Against the State's Will:

Terrorist activities can take place over a State territory and against the State will. Terrorist may use the State's territory to train and conduct researches to produce weapons of mass destruction, in view to harm other nation's environment. In this case, the harboring State will not be held internationally responsible unless it opposes the international efforts to fight the terrorism. Otherwise, if it fought the terrorism and facilitate the international community's

international law"no State has the right to use or permit the use of territory in such a manner as to cause injury be fumes in or to the territory of another or the properties or persons therein."(115) Thus, as a result of the emission of sulphur dioxide by the smelters of the Consolidated Mining and Smelting Company activities, Canada was held liable for the damages produced in the State of Washington by pollution, engendered by the discharge of sulphur dioxide into the atmosphere.(116) The ICJ reaffirmed the same obligation when examined the Corfu Channel Case.(117) In this case, the Court concluded that it is "every State's obligation not to knowingly allow its territory to be used for acts contrary to the rights of other States."(118) In 1972, the Stockholm Declaration and Rio Declaration incorporated the Corfu Channel standard, when respectively Principle 21 and Principle 2 prohibits States from allowing their territory to be used for acts contrary to the rights of other nations.(119)

The Taliban harboring of the AlQaeda camps, offering them the protection and support, and refusing to destroy theirs camps is violation to the rules of law that were established by the precedents case law. These legal bases will hold any source State responsible for environmental damage crossing its borders and harming other nation's environment.(120)

(115) Trail Smelter, supra note (113) at 1965.

(116) Leslie C. Green, *State Responsibility and Civil Reparation for Environmental Damage*, in PROTECTION OF THE ENVIRONMENT DURING ARMED CONFLICTS AT 421 (R. GRUNAWALT ET AL. EDS., 1996) [hereinafter Green, *State Responsibility*].

(117) Corfu Channel Case, UK v. Alb., April 9, 1949, General List No. 1, 1979 I.C.J. 4, <http://www.icjcij.org> (last visit June 21, 2001)

(118) Id., at 22.

(119) Stockholm Declaration, supra note (104) Principle 21.

(120) Francisco Orrego Vicuna, *Final Report Prepared for the Eight Committee of the Institute of International Law by the Rapporteur on the Subject of Environmental Responsibilityand Liability*, 10 GEO. INT'L ENVT'L L. REV. 279, 279 (1998)

Islamic groups does not interfere with the content of Principle 21. But starting from the moment that training activities harm other nation's environment, by planning, training, financing, directing and celebrating acts of terrorism over other nations territory, then the responibility for damages, including the environmental damage, may rise. It would be useful to confirm that harm may occurred through effective terrorist activities as well as a threat of committing such activities.

Despite the inclusion of Principle 21 of the Stockholm Declaration and Principle 2 of the Rio Declaration in non-mandatory instruments (declarations), their content is generally accepted to be a restatement of a general principle of international law. General principles are binding on all States.(111) The U.S. agrees that it shall be bound by principle 21(112) and Principle 2 as well.

c) International Case Law

The responsibility for transboundary pollution principle was first elaborated in the Trail Smelter Case.(113) The Trail Smelter rule has been widely accepted as a statement of customary international law generally applicable to cases of pollution, including media other than air.(114) The Court stated that under the principles of

(111) In Trial Smelter Arbitration, the general principle adopted by the arbitration tribunal, in deciding that any States shall avoid causing transboundary environmental harm to another State, have become one of a State's international responsibility standard.

(112) Restatement (Third) of the Foreign Relations, adopted by the American Law Institute reaffirms the U.S. international obligation under Principle 21 of the Stockholm Declaration in Section 601 (1) (a) in articulating that a State has to conform to generally accepted international rules and standards for preventing, and minimizing harm to another State's environment.

(113) Trail Smelter, (U.S.V. Canada), 3 R.I.A.A. 1911, 1965 (Apr. 16, 1938 & Mar. 11, 1941) [hereinafter Trail Smelter].

(114) See, e.g., 2 RESTATEMENT (THIRD) OF FORELGN RELATIONS LAW OF THE UNITED STATES, 601 reps. Note 1 (1987)

The Rio Declaration represents a restatement and reaffirmation of the Stockholm Declaration. Principle 2 of the Rio Declaration iterates Principle 21 of the Stockholm Declaration, [108] reflecting a general principle of international law that is binding on all States.

Principle 2 of the Rio Declaration relevant to the Transboundary environmental damage is identical to Principle 21 of the Stockholm Declaration.[109] It provides that

> States have, in accordance with the Charter of the United Nations and the principles of international law, the sovereign right to exploit their own resources pursuant to their own environmental and developmental policies, and the responsibility to ensure that activities within their jurisdiction or control do not cause damage to the environment of other states or of areas beyond the limits of national jurisdiction[110]

Principle 21 of the Stockholm Declaration and Principle 2 of the Rio declaration make it clear that States are responsible for acts committed on their territories, or under their jurisdiction, that harm the environment including the environment of other States. Accordingly, nations can be held responsible under those principles for any environmental damage caused by such activities.

Establishing training camps in Afghanistan to train some

---

(108) Principle 2 of Rio Declaration is considered as a general principle of international law, contrary to the whole document, therefore Principle 2 have been examined earlier in Section" A. The Hard International Law."

(109) *United Nations Conference on Environment and Development*, U.N. Doc. A/Conf. 15/26, vol. I (1992) [hereinafter RIO DECLARATION].

(110) Id., Principle 2.

> States have, in accordance with the Charter of the United Nations and the principles of international law, the sovereign right to exploit their own resources pursuant to their own environmental policies and the responsibility to ensure that activities within their jurisdiction or control do not cause damage to the environment of other states or of areans beyond the limit of national jurisdiction.(105)

Principle 21 recognizes the right of each State, without any interference from another nation, to capitalize on its resources, including hosting any activities on their territories. However, this right is restricted by a State's mandatory responsibility not to harm another nation's environment, and not to allow territories under their jurisdiction to do so.(106) This principle is confirmed in the Rio Declaration.

b) Principle 2 of the Rio Declaration

On the occasion of the twentieth anniversary of the Stockholm Conference in 1992, the United Nations sponsored the "Earth Summit" in Rio do Janeiro, Brazil. The Earth Summit adopted the Rio Declaration on Environment and Development, the Climate Change Convention, the Declaration of "non-binding" Principles on Forest Conservation, the Convention on Biological Diversity, and Agenda 21. (107)

---

(105) Id., Principle 21

(106) Aaron Schwabach, *Environmental Damage Resulting from NATO Military Action Against Yugoslavia*, 25 COLUM. J. ENVT'L. L. 117, 132 (2000)

(107) Since the foresaid Principles were expressly "non-binding", it is evident that the States consider the Rio Declaration to be binding to a greater degree as soft law instrument, which contains and restates several general principles of international law.

to this Convention's provisions. This Convention not only considers that terrorism constitutes a severe violation of human rights in freedom and security, but also considers that damage to the environment caused as part of a terrorism act, including the destruction of public properties and public services is also a violation.

This paper will focus only on the violation of the prohibition of the transboundary pollution. The principle of prohibition of transboundary pollution is the main environmental law principle that has been abrogated by the terrorism. How the interpretation of the transboundary pollution can be extended to include the terrorist activities under its jurisdiction.

The State obligation to protect other States' right to be aware of any transboundary pollution, including those resulted from acts of terrorism, is a principle of the environmental law. This principle was elaborated in the Stockholm Declaration, the Rio Declaration and the international case laws.

a) Principle 21 of the Stockholm Declaration

The United Nations Conference on the Human Environment, held in Stockholm on June 16, 1972,[104] adopted a Declaration to protect the environment from any transboundary polution. It requires nations not to harm another nation's environment, when provides that

---

(103) For the purposes of the Convention, terrorist crime means "any crime exected, started or participated in to realize a terrorist objective in any of the Contracting States or against its nationals, assets or interests or foreign facilities and nationals residing in its territory punishable by its internal law." See, THE OIC CONVENTION ON COMBATING INTERNATIONAL TERRORISM, supra note (9) art. 1 (3).

(104) *Declaration of the United Nations Conference on the Human Environment*, U.N.Doc. A/Conf. 48/14 (1972) [hereinafter Stockholm Declaration].

environmental damages. A significant number of environmental rules deal with the environmental effects of the September 11th terrorism crimes. The Arab Convention on the Suppression of Terrorism signed at Cairo, Egypt on April 22, 1998, [98] accords to the environment considerable protection from terrorist attacks, when provides that terrorism is any act or threat of violence that aims "to cause damage to the environment or to public or private installations or property or to occupy or seize them, or [aim] to jeopardize a national resource."[99] It also excludes the destruction of public property and public sevices from being considered as political crimes.[100] Therefore, any environmental destruction, even if committed for political motives, should be subject to be interpreted as a terrorist offense[101]

Since the terrorist activities of September 11th took place under the name of Islam, the attitude of the Islamic Conference Organization should be exposed. The Islamic Convention on Combating International Terrorism strongly excludes"[the] destruction of public properties and properties geared for public services [...]"[102] from being considered as political crimes even when politically motivated. Thus, environmental damage during any act of terrorism is considered a terrorist crime[103] and is subject

(98) THE ARAB CONVENTION ON THE SUPPRESSION OF TERRORISM, Apr. 22, 1998, Cairo, in INTERNATIONAL INSTRUMENTS RELATED TO THE PREVENTION AND SUPPRESSION OF INTERNATIONAL TERRORISM (United Nations Publication, 2001) Sales No. E.01.V.3, at 152 [hereinafter THE ARAB CONVENTION ON THE SUPPRESSION OF TERRORISM].

(99) Id., art. 1 (2)

(100) Id., art. 2 (b) (v)

(101) Terrorist offense means "[a]ny offense or attempted offense committed in furtherance of a terrorist objective in any of the Contracting States, or against their nationals, property or interests, that punishable by their domestic law. "See, Id., art. 1 (3).

(102) THE OIC CONVENTION ON COMBATING INTERNATIONAL TERRORISM, supra note (9) art. 2 (II) (c) (5).

stead of recurring to massive military attacks that may cause another humanitarian and environmental losses, the U.S. adopted a developed measures to eliminate any terrorist activities in the future, or at least make them almost impossible. The United States declared that States have two choices only, wheter to support the U.S. in it war against terror, or support the terror itself.(95) The American President Bush signed an executive order to freeze the assets of suspected terrorists.(96) Such procedures would be able to weaken the terrorist groups and eliminate their activities without causing any harm to innocent people or the environment.(97) If these measures took place, without any side military activities in Afghanistan, terrorist activities will be eliminated, may in longer period of time, but human lives and the environment would not be affected.

The next Section will examine the principle of transboundary pollution prohibition as a main environmental law principle constituent the legal bases for the responsibility of terrorists and the harboring States.

Section Three

Can the Transboundary Pollution Principle Govern the Terrorists of September 11th

The environmental law rules were subject to violation by the terrorist activities of Sept. 11th, which produced severe

(94) Cnn.com, *Progress Made in Freezing Assets: Bush Says*, Oct. 2, 2001, available at <http://www.cnn.com/2001/US/10/01/inv.frozen.assets/index.html> (last visit Dec. 3, 2001)

(95) President George W. Bush, Statement before the Congress, Sept. 20, 200, [hereinafter The President's Statement before the Congress].

(96) See, Exec. Order No. 13224, 66 Feb. Reg (Sept. 23, 2001)

(97) See, Jacqueline Benson, Comment, Send Me Your Money: Controling International Terrorism by Restricting Fundraising in the United States, 21 HOUS. J. INT'L L. 321 (1999)

that involved in the terrorist activities, by supporting, harboring or financing them. Targeting those States by imposing the preventive measures and economic sanctions would weaken the terrorists, eliminate their activities, or make them harmless. It jumps to the mind the questions: why financial institutions, whether in the U.S. or abroad, were allowed to practice their activities according to the law, and suddenly, they were classified as assisting the terrorism.(91) Why Arafat, the head of the Palestinian Authority, was treated as a peace partner and now, under the U.S, approval, is being targeted by Israel air strikes as harboring of terrorism.(92) Do these information were not available prior to the September 11th attack, or these information becomes useful now since the victim is the United States and the damage are severe. Imposing the American sanctions over the Taliban in Afghanistan,(93) with out sanctioning neighboring States that support them render the sanctions ineffective. Therefore, the international community should be much more restrict in imposing sanctions over Taliban, where these sanctions should target all uncooperative States, and those who support Taliban such as Pakistan.

Even if the acts of terrorism took place, States still can fight the terror without harming human lives and the environment. After the 11 September, when the United States started its battle against the terrorism by fighting through long-term battle, reinforce the present economic sanctions and freeze the terrorist funds.(94) In

(91) Mike Allen and Steven Mufson, U.S. Seizes Assets of 3 Islamic Groups: U.S. Charity Among Institutions Accused Of Funding Hamas, WASK. POST, Dec. 5, 2001, A1.

(92) Daniel Williams, Israelis Fire Missiles Near Arafat's West Bank Offices, WASH. POST, Dec. 5, 2001, A1.

(93) Exec. Order No. 129, 64 Feb. Reg. 36, 761 (July 4, 1999).

in stead of attacking Afghanistan and Sudan, the attacks of September 11th would not take place.

In a second step, the international community, log time before any act of terrorist take place, should unify to impose economic sanctions over the terrorists such as AlQaeda, and their host countries such as Afghanistan. The acts of terrorism should be fought by the international community whatever the level of their harm, and not only react if the harm is devere, long lasting, and widespread, because terror start small and end up every huge. For example, none of the present procedures to fight AlQaeda were taken after the attacks against the United States interests in the WTC in 1993, Saudi Arabia in 1996, Tanzania and Kenya in 1998, and U.S.S. Cole in 2000. If the terrorist threats were seriously taken, the dramatical events of September 11th would not taken place. Preventing terrorist activities from occurred is a much important and delicate task. However, succeeding in such task would avoid our generation from living a dramaticalarmed conflict under the pretext of fighting the terror, as happening in the present time in Afghanistan, and avoid the future generation to suffer the effects of armed conflicts or even to involve in terrorist activities.

Fighting always afects human lives and the natural environment. However, fighting a State is much easier task than fighting a group of terrorists connected without limitation of borders, mot of them citizens to different States. This difficulty does not present legal bases of harming and attacking unlimited number of nations, threatening the human lives and the environment there. The terrorists are always known, their camps and activities very easy to find, but very difficult to access. There are always States

Mazare-Sharif prison's revolt.[87] Three more American soldiers were killed and nineteen others were injured by friendly fire, when a 2,000-pounds bomb mistakenly targeted their site.[88] More than ١٠٠ Taliban fighter were killed in Mazar-e-Sharif prison revolt.[89] A g as, the United States still attacking Afghanistan, and still AlQaeda members believe to possess weapons of mass destruction, risk to increase the risk of the use of such weapons or their explosion under the American attacks, which will present greater threat to the human life and natural environment.

Reprisal actions through military forces should not be considered as a primary choice, because it would harm human lives and the environment as much as it can be harmed by the acts or terror itself. Therefore, fighting the terrorism should adopt preventive measures as a first step, especially when the intelligence authorities possessed basic information about possible terrorist attacks. The United States in fighting the terrorism failed to comply with this stage.[90] The United States possessed intelligence information, received threats, and some of the threats occurred against the United States interests abroad in the Gulf of Aden, Saudi Arabia, Nairobi and Kenya, and all what it did was targeting few sites in Afghanistan and Sudan. However, if some of the procedures took place after the September 11th were adopted earlier

(87) Deborao Orin & Maggie Baberman, *CIA Hero's Body Return Today,* N.Y. POST, Dec. 2, 2001, AVAILABLE AT 2001 WL 30091114.

(88) Niles Lathem & Bill Hoffmann, Bomb Mistake Eyed in Gi Tragedy, N.Y. POST, Dec. 7, 2001, available at 2001 WL 30091532.

(89) Susan B. Glasser, 100 Taliban Were Killed After Rebels Took Mazar, WASH. POST Nov. 14, 2001, A20.

(90) Ralph Blumenthal, Tapes Depict Proposal to Thwart Bomb Used in Trade Center Blast, Oct. 28, 1993, available at <http://users.crocker.com/~acacia/text_wtc_fbi.html> (last visit Dec. 10, 2001)

Bin Laden trining camps Afghanistan, [80] and El Shifa Pharmaceutical Factory, in Sudan, [81] which was also suspected as a source of production or transfer of gas chemical weapons and their precursors.[82] The United States knew that the site was used for producing chemical gases and weapons, from the soil sample taken from the factory's ground by an agent.[83] Thus, the attack clearly risked great environmental damage, and could result in the release of a deadly cloud of gas.[84] Similarly, the strike against Taliban and AlQaeda terrorist group in Afghanistan, on October 7, 2001, used several kind of military techniques, including P 52 bombers, which would necessarily cause collateral damage of humans and to the environment as well. Moreover, they used the Daisy Cutter bomb, weighting 1,500 LB over Tora Bora Mountains where they believe that Osama Bin Laden is hidden.[85] The use of such bomb would cause psychological effect,[86] over the human life in the targeted areas as well as the natural environment. The environmental effects of such weapons would be sever, and will last decades. The future generations of Afghanistan will suffer from unexploded ammunitions. Few military personnel of the United States were the casualties is much greater. The United States lost one of its Central Intelligence Agency (CIA) personnel who killed in the

(80) Leah M. Campbell, *Defending Against Terrorism: Legal Analysis of the Decision to Strike Sudan and Afghanistan*, 74 TUL. L. REV. 1067, 1089 (2000)[hereinafter Campbell]; Wedgwood, supra note (59) at 566

(81) Id., at 1090.

(82) Wedgwood. *supra* note (59) at 566.

(83) Id., at 570.

(84) Andrew D. McClintock, *The Law of War: Coalition Attacks on Iraqi Chemical and Biological Weapon Storage and Production Facilities*, 7 EMORY INT'L L. REV. 633, 637-38. (1993)

(85) Steve Vogel, *'Daisy-Cutter' Dropped on Cave at Tora Bora*, WASH. POST, Dec. 10, 2001, available at <http://www.washingtonpost.com> (last visit Dec. 11, 2001) [hereinafter Vogel].

(86) Id.

The Pentagon crashed airplane killing all the 64 passengers and crew members.(75) The five-sided huilding suffered heavy damage, with a portion of the structure collapsing.(76) This building is considered as an American landmark, and a bride of the American nation. Inside the Pentagon, 125 were dead, and 76 were wounded.(77) Witnesses reported that smoke could be seen miles away. (78) The crash of the fourth plane left no alive among the 45 crew members or the passengers.(79) The crash of this airplane caused the less environmental casualty. Beside human casualty, the same liquids and gases that affected New York would pollute the site where the airplane crashed, but unfortunately, this crash does not have had the same concern and attention as those of New York and Washington D.C. There was no assessment for the number of the tress that has been burned, the natural resources around the site, the wild animals that have been affected, or even the level of the pollution in the soil.

If the armed forces were chosen as a method to defeat the terrorism, this method will cause human casualties and evironmental damage as well. This fact was proven through the previous cases of military responses against terrorism activities.

2) The Environmental Effects of Striking Back over Terrorism:

The 1998 American warplanes attack some sites classified as

---

(75) Willman & Miller, *supra* note (3)

(76) Barbara Vobejda, Extensive Casualties' in Wake of Pentagon Attack, <http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/articles/A12920-2001spe1.html> (last visit Sept. 23, 2001) [hereinafter Vobejda].

(77) U.S.A. Today.com, Casualties from Terrorist Attacks, Sept. 24, 2001, available at <http://www.usatoday/com/news/nation/2001/09/11/death-toll.htm>, (last visit Sept. 24, 2001)

(78) Vobejda, *supra* note (76)

(79) Vobejda, *supra* note (4)

(69) and washed into the Hudson River surrounding New Yourk during the heavy precipitation. According to the Environmental Protection Agency (EPA) Reports, toxic chemicals such as dioxins, PCBs, benzene, lead and chromium have been detected in the soil and air arround the roubble of the WTC at levels exceeding federal safety standards.(70) These substances can irritate the lungs, trigger asthma attacks and otherwise aggravate lung conditions, as well as irritate the eyes, nasal passages and throat.(71) Allergists do not believe asbestos is a significant health hazard beyond the very immediate center of the recovery effor.(72) The irritants in the dust can combine with other allergens inthe air to make patients with lung conditions and allergies especially sick, allergists warned.(73) They also urged those with asthma or other chronic lung diseases to wear good quality masks and consult with their physicians quickly if they experience new or worsening respiratory symptoms.(74) It has been also reprted by the CNN that the reported cases of West Nile Virus victims were increased fifty percents since September 11 attacks. Future assessments will necessarily show that even surrounded environment has been also harmed, some species may die or immigrate.

---

(69) Mary J. Shomon, *Post-Terrorist Attack Health Updates: Concerns and Aleris for New Yorkers*, Sept. 15, 2001, available at <http://ad.doubleclick.net/adi/N1684.TMP.com/B43920.2;sz=720x300;ord=0101?> (last visit Sept. 24, 2001) [hereinafter Shomon]. See also, Monona Rossol, Downing From Disater, A paper prepared by,N.Y. ENVT'L L. & JUST. PROJECT in the occasion of Sept. 11,2001 attacks against the United States, Sept. 22, 2001.

(70) Cnn.com, EPA Finds Toxic Chemicals Around WTC Ruins, Oct. 27, 2001, <http://www.cnn.com/2001/US/10/27/rec.attacks.airquality.ap/index.html> (last visit Oct. 27, 2001)

(71) Shomon, *supra* note (69)

(72) Id.

(73) Id.

(74) Id.

The planes crash in the twin towers killed all the 157 passengers and crew members. The explosions sent huge fireballs into the air and spread debris over the city.(64) According to New York City officials, the death toll is 3.096. That figure includes 2.614 people who are missing and presument dead, including the 157 on the two hijacked planes; 482 bodies have been identified.(65) Debris from the collapse of concrete from the twin towers had damaged the surrounding buildings. Gas lines in the areas were affected as well.(66) Flames shrouded the south side of the structure for thirty minutes before it fell.(67) About "2,000 rescue workers have been moving debris at a rate of 3,000 cubic yards a day, but estimated 2 million cubic yards remains." When they tunnel into "the pile," as the wreckage has become known, "it lest in more air and often has the effect of feeding oxygen to the smoldering fires and hot debris."(68) Further massive environmental impacts resulted from September 11th attacks. For instance, the asbestos, pulverized concrete dust, burning plastic, sediment, glass, and the chemical products of combustion, including materials such as rubber, and paper are sprayed after the attacks in the surrounded environment,

(63) CONVENTION FOR THE PROTECTION OF THE WORLD CULTURAL AND NATURAL HERITAGE. Nov. 23, 1972, reprinted in SELLECTED MULTILATERAL TREATIES IN THE FIELD OF THE ENVIRONMENT 276 (A. Kiss ed. 1983) [hereinafter CULTURAL AND NATURAL HERITAGE CONVENTION].

(64) Fowler, *supra* note (4).

(65) Cnn.com, Tributes to fallen Americans, Dec. 10, 2001, available at <http://www.cnn.com/2001/US/12/10/rec.athome.facts.facts/index.html> (last visit Dec. 10, 2001)

(66) CNN.com, *Callapsed Trade Center Towers Still Dangerous*,Sept. 12, 2001, available at <http://www.cnn.com/2001/US/09/11/york. terror/> (last visit Sept. 24, 2001)[hereinafter *Collapsed Trade Center Towers*].

(67) Id.

(68) ABC News.com, *Searching and Hoping Rescue Efforts Continue: Air Pockets Fund, But No Survivors*, Sept. 17, 2001, available at <htt://abcnews.go.com/sections/us/DailyNews/WTC_recovery_010917.html> (last visit Sept. 24, 2001)

marine environment of the Gulf of Aden, its ground, and marine lives. And there is no assessment to be used against the terrorists for their crimes against the environment.

The forecited attacks were committed against the United States, outside its territory. However, the September 11th acts committed by AlQaeda in the United States mainland,(61) and causing severe environmental effects. What increased the harmful of the environmental effects of the September 11th events is that the entire world saw on the air the second airplane when crashed into the second tower while the first tower was on fire, the horrible view of fearful civilians running in the street, and some others were jumping from the 110 stories towers hoping to survive, they also watched both towers when collapsed, and up to the moment of preparing this paper. the daily scenes of the workers who cleanup the site from the rebels occasionally finding human bodies. These scene makes the tragedy of the September 11th the worst ever.

It is the worst, despite the fact that the twin towers were not on the United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization (UNESCO) list, (62) they are considered a historical architectural sites in New York City, each contained 110 stories, and their destruction, even if it does not violate the Convention for the Protection of the World Cultural and Natural Heritage,(63) but destroyed landmarks of the nation's bride. The effect of such crime goes beyond destroying landmark buildings. human lives were lost, and others were injured.

(61) It was the first time in the modern history, after Oklahoma explosion. that an act of terrorist committed to the United States territory. Fowler, *supra* note (4)

(62) The UNESCO establishes a list for the most protected sites in the world, which should be protected according to the provisions of the UNESCO Convention for the Cultural Heritage Protection.

Even if terrorists do not use weapons of mass destruction, they still threat the human life and the environment. For example, the explosion caused by AlQaeda's attack to an American establishment located in Alkobar. Saudi Arabia, in 1996, when a powerful truck bomb tore through apartment buildings at U.S. Air Force complex in Saudi Arabia, killed at least 23 Americans and njured more than 300.(56) The explosion was so powerful, and blasted a crater 35 feet deep and 85 feet across.(57) The Unied States as well as Saudi Arabia have suffered caualties.(58)

AlQaeda also was behind the car bomb explosions took place outside the American embassies in Nairobi, Kenya, and Dar El Salaam, Tanzania, on August 7, 1998,(59) which wounded 4.500 people, killed twelve Americans and 200 or more Kenyans and Tanzanians.(60) and severely destroyed both buildings. There is no doubt that the surrounding environment was affected from such explosion and the buildings' destruction and burning.

Another example is AlQaeda's attack of October 12.2000. against the American Navy's Warship USS Cole in the Gulf of Aden. Yemen. The explosin caused various human causalities when seventeen United States Navy sailors were killed, as well as environmental harm to the Gulf itself. Nevertheless, the involved countries and the international community ignored the environmental damage that resulted from such explosion to the

(56) Houston Chronicle News Services, 23 Die, *Hundreds Injured in Saudi Arabia Explosion*, (June, 25, 1996) <http://www.chron.com/content/chronicle/page1/96/06/26/saudi.html> (last visit Sept. 24, 2001) [hereinafter 23 Die, *hundreds Injured*].

(57) Id.

(58) Id.

(59) Ruth Wedgwood. *Responding to Terrorism, The Strikes Against Bin Laden*, 24 YALE J. INT'L L. 559, 560 (1999) [hereinafter 23 Die, *hundreds Injured*].

(60) Id., at 560.

examination to certain caves, in Afghanistan, illustrated that researches were conducted by AlQaeda to produce chemical, biological, and even nuclear weapons.(48) And finally, Osama Bin Laden, the leader of AlQaeda himself, threatened that his group possesses arms of mass destruction and he will retaliate over a possible American use of similar weapons.(49)

In few cases, terrorist groups already used weapons of mass destruction. For example, two attacks by the Japanese cult, Aum Shinrikyo, involved weapons of modern technology. The first was in 1994, in Matsumoto. in the central highlands of Honshu, Japan, where nerve gas was used in a terrorist attack causing the death of seven civilians and injuring dozens more.(50) The second attack was in 1995 in the Tokyo subway,(51) caused twelve deaths(52) and approximately 5.000 injured.(53) Moreover, a Chechen guerrilla leader, Shamyl Bassayev, informed a Russian television network that four cases of radioactive cesium had been hidden around Moscow. (54) The network discovered thirtytwo kilograms of explosives placed in Moscow's Ismailovo Park.(55)

---

(48) Cnn.com, U.S. *tests for chemical weapons in Afghanistan.* Nov. 27, 2001, available at <http://cnn.com/2001/WORLD/asiapcf/central/11/27/ret.chemical.weapons/index.html> (last visit Nov. 28, 2001) [hereinafter U.S. *tests for chemical weapons in Afghanistan*].

(49) Cnn.com, Nic *Robertson: Bin Laden interview,* Nov. 11.2001, available at <http://www.cnn.com/2001/WORLD/asiapcf/central/11/11/ret.robertson.otsc/index.html> (last visit Nov. 27, 2001)

(50) Alan H. Lockwood, *The public Health Effects of the Use of Chemical Weapons,* in WAR AND PUBLIC HEALTH 93-94 (American Public Health Association, 2000) [hereinafter Lockwood].

(51) Schofield, *supra.*note (19) at 624.

(52) Kevin J. Fizgerald, *The Chemical Weapons Convention: inadequate Protection from Chemical Wafare,* 20 SUFFOLK TRANSNAT'L L. TEV 425, 454 (1997) [hereinafter Fitzgerald. *The Chemical Weapons Conrivenion*]

(53) Lockwood, *supra.*note (50) at 94

(54) See Cameron, supra note (18) at 422.

(55) Id., at 422.

use sophisticated arms that may causes widespread. long-lasting or severe environmental harm.

1) The Environmental Effects of the Terrorist Attacks

Nowadays. "terrorist weaponry has not been limited merely to guns and explosive devices.(44) where the hand of terrorists reaches modern technology, such as Depleted Uranium (DU,) chemical and biological devices. "[T]he House of Representatives Internal Security Subcommittee investigated the DoD's policy of surplus explosives, and found that 26 million pounds have been sold to commercial applicants with almost no controls exerted over the sale. Apparently, some of these explosives have already found their way into the hands of the U.S. domestic terrorists."(45) AlQaeda is one of the terrorist groups that the American authorities believe they possess chemical and biological weapons.(46) This theory was confirmed through simples was taken from sites suspected to be terrorist laboratories. For example, sand samples took from areas surrounding AlShifa facility in Sudan proved that lethal nerve agent VX and other chemical weapons components reserch were conducted in the facility.(47) Another example is in November 2001, some military examination to certain caves, in Afghanistan, illustrated that reserches were conducted in the facility.(47) Another example is in November 2001, some military

---

(44) FRIEDLANDER. *supra* note (12) at 141.

(45) Koziol, *Pentagon Auctions of Explosives Pose a Terrorist Peril*, CHICAGO TRIBUNE, May 15, 1977, Sec. 2, at 4. Col. 3, see FRIEDLANDER, supra note (12) at 141.

(46) Cnn.com, Bush Goes After Terrorists' Assets, Sept. 24. 2001, available at <http://cnn.com/2001/US/09/24/inv.investigation.terrorism.index.htmal> (last visit Sept. 24, 2001) [hereinafter *Bush Goes After Terrorists'Assets*]

(47) See, Michael Barletta, Report: *Chemical Weapons in the Sudan: Allegations and Evidence*. 6 NCNPROLIFERATION REV. 115, 116 (1998)

The acts of September 11th were committed by a group of claimed Muslims, called AlQaeda,(41) which took from Afghanistan a location to plan their activities and train their personnel. AlQaeda is a group of fundamental Muslims. leaded by militant, exiled Saudi millionaire Osama Bin Laden,(42) interpret the humanitarian principles of Islam in a wrongful way to serve their goals. On September 11, 2001. the terrorists committed the worst attacks ever in New Yourk and Washington (D.C.), when four planes hijacked, two of them smashed into New York's World Trade Center (WTC), and the third one rammed into the Pentagon. However, the fourth hijacked plane crashed south of Pittsburgh, Pennsylvania,(43) causing sever human and environmental damage.

Section Two

The human and environmental effects of the September 11th attacks

If killing innocent people considered one of the horrid pictures of terrorism, environmental destruction is considered another malicious picture of terrorism. Therefore, the examination of the environmental effects in this paper will examine both environmental view, which includes humans as part of the environment, and any destruction to the environment is destruction to humans and vice versa. Most of terrorist activities affect in the same time humans and the environment, especially when terrorists

(41) AlQaeda is an Arabic world means the base or the foundation.

(42) Osama Bin Laden is a Saudi-born millionaire and radical Muslim leader suspected of international terrorism. He strongly opposes United States policies in the Middle East, particularly the U.S. support of Israel and the presence of the U.S. troops in Saudi Arabia. *See*. Bin Laden, Osama. *World book Online Americas Edition*.
<http://www.aolsvc.worldbook.aol.com/wbol/wbPage/na/ar/co/749895>(last visit Sep. 24, 2001)

(43) Fowler, *supra* note (4)

prohibited his soldiers from killing, under any circumstances, children when saying" [...]do not betray, do not be excessive, and do not kill a newborn child."[35] Following his steps, the first Muslim Caliph, Abu Baker, prohibited his army commanders[36] from killing women, children, and ederly people.[37]

The environment also accorded a considerable protection by the Islamic rules and principle. For example, the first Muslim Caliph, Abu Baker, prohibited his army from cutting tress that have green leaves, destroying buildings, killing sheeps or camels unless for eating, or burning or flooding palm tress.[38] Even animals are benefiting from Islamic kindness and mercy. For example, the Prophet Mohammed warned the God would punish a person who causes an animal to die of starvation or thirst in the hell.[39] The Prophet Mohammed also provided that "[Muslims], when slaughter an animal, have to sharpen the knife to reduce the animal's sufferign.[40]

All these examples are considered as Islamic rules and principles, which does not backup the acts of September 11th, and Islam cannot in any case be a base for such acts. Persons who committed such acts can only be brains washed, and who defend their acts based on misinterpreted Islamic rules.

---

(35) Narrated in *Saheeh Muslim*, #1731, available at <http://www.islam-guide.com> (last visit Dec. 29, 2001).

(36) The Army Commander is Yazid Ibn Abi Sofian.

(37) AZARGANY, AL-MAWTE'A, 3rd Part, cited in ABOU EID, THE FOREIGN RELATIONS OF KHALIFAH STATE 2003 (in Arabic) (1985, Dar Al Arkam, Kuwait).

(38) Id., At 203.

(39) Hadith of sound authority, related al-Bukhari and Muslim on the authority of 'Abd-Allah ibn 'Umar and Abu-Hurayrah.

(40) Narrated in *Saheeh Muslim*, #1955.

from god forgiveness. The Prophet Mohammed warned "the first to be adjudicated in the day of resurrection will be the bloodshed."[30] And that confirmed the Islamic disapproval of murdering innocent people, under any circumstances, or in other meaning terrorist acts.Since the United States proved, during the last decade, its friendship with Muslim nations, when intervened in 1993, in Somali to assure arrival of food shipments to the right people in the operation of "restore the hope,"[31] in 1991, to liberate Kuwait's from the invader dictator of Iraq, Saddam Hussein, [32] and in 1995, in the former Yugoslavia to protect Muslims from systematic genocide committed by the dictator of Yugoslavia, Slobodan Milosevic. And since most of Muslim nations have signed bilateral conventions of friendship, protection or military cooperation with the United States, Muslims, according to the Islamic rules and principles, are prevented from attacking the United States, its citizens, or interests. The Koran provides that "therefore, if they leave you alone, refrain from fighting you, and offer you peace, then God gives you no excuse to fight them."[33] The Prophet Mohammed himself confirmed this rule when provides that "Whoever has killed a person having a treaty with the Muslims shall not smell the fragrance of Paradise, though its fragrance is found for a span of forty years."[34] The Prophet Muhammad

(29) Narrated in *Saheeh Al-Bukhari*, #6871.

(30) Narrated in *Saheeh Muslim*, #1678.

(31) Rajendra Ramlogan, *Towards a New Vision of World security: The United Nations Security Council and the Lessons of Somalia*, 16 HOUS. J. INT'L L. 213, 215 (1993); Lisa Leila Jama, Note, *Humanitarian Intervention: An Examination of the United Nations' Role in The Modern Age of Civil Conflicts* 521, 526 (2000).

(32) Majid Khadduri, Book Review, *Perspectives on the Gulf War*, 15 MICH. J. INT'L L. 847, 887 - 48 (1994).

(33) Koran, sorat No. 4, verset No. 90.

(34) Narrated in *Saheeh Al-Bukhari*, #3166.

Furthermore, the American President Gerge W. Bush and his Cabinet fought any tentative of connection between Islam and the acts of September 11 th,[22] criminalizes any act of harassment "hate crime,"[23] against Arab or Muslims, and so did the British Prime Minister, Tony Blaire.[24] Similarly, most of the Muslim leaders condemned the attacks, committed in the name of Islam, against the United States, and furthermore, offered their full cooperation to fight the terror.[25]

In fact, Islam is a religion that prohibits killing innocent people, destroying property and requires the protection of the environment as well. Islam clearly stands against terrorism, when providing in the holy Koran that "[Muslims should]not aggress, God dislike aggressors."[26] Moreover, Koran, as a main source of Islamic rules and principles, provides that "God does not forbid you from showing kindness and dealing justly with those who have not fought you about religion and have not driven you out of your homes. God loves just dealers."[27] On the other hand, Prophet Mohammed classified the crime of murdering innocent people as second[28] major sin. [29] People who commit such sin are excluded

(22) Bush: U.S. Muslims should feel safe, Sept. 17, 2001, available at <http://www.cnn.com/2001/US/09/17/gen.bush.muslim.trans/index.htmal> (last visit Oct. 2,2001) [hereinafter Muslim Should feel Safe].

(23) U.S. won't tolerate attacks on Middle Easterners, Sept. 30, 2001, available at <http://cnn.com/2001/US/09/03/hate.crimes/index.html> (last visit Oct. 2, 2001).

(24) British Prime Minister Tony Blair's address at a Labor Party conference in Brighton, England, Oct. 2, 2001, available at <http://www.cnn.com/2001/WORLD/europe/10/02/ret.blair.address/> (last visit Oct. 2, 2001) [hereinafter Blair Speech].

(25) See, Cnn.com, UAE Cuts Ties With Taliban, Sept. 22, 2001, available at <http:// www.cnn.com/2001/WORLD/asiapcf/central/09/22/ret.afghan.taliban/index.html> (last visit Oct. 7, 2001); *Cnn.Com, Saudi Arabia agrees to aid U.S. coalition, Iran refuses*, Sept. 26, 2001, available at <http://www.cnn.com/2001/WORLD/meast/09/26/gen.mideast.eu/ index.html> (last visit Dec. 7 , 2001)

(26) Koran, Sorat No. 5, verset No. 87.

(27) Koran, Sorat No. 6, verset No. 8.

(28) The first sin in Islam is unbelieving in God.

arms that has been exposed in the black market.[16] Terrorists were the frequent customers of this market. And terrorists increasingly became "interested in mass destruction,"[17] which is a real threat to human life and the environment. For long time, the international community neglected the threat of the terrorism, which increase the effect that terrorist groups may cause to human life and the environment. For example, a number of incidents took place in the last few years, and were very fearful, such as the Oklahoma City bombing of 1995, [18] the Tokyo Subway Sarin gas attack in 1995[19] the detonation of the American Navy Warship in Yemen in October 12,2000,[20] the terrorist attacks of the World Trade Center (WTC) in New York and the Petagon in Washington D.C. on September 11, 2001.[21]

Most of the terrorist acts were based on a religious orders' misinterpretation. For instance, the reputation of Islam was affected by the events fof September 11th, and that based on the fact that all the hijackers were proclaimed Muslims. Accordingly, the Muslim nation was subject to acts of harassment in the United States and most of the Western Europe countries. But only a few exceptional Americans and Western Europeans committed such acts, as well as only exceptional Muslims committed acts of terrorism.

(16) Ashton B. Carter, *Reducing the Nuclear Dangers from the Former Soviet Union*, ARMS CONTROL TODAY 22 (January/February 1991): Barry L. Rothberg, *Averting Armageddon: Preventing Nuclear Terrorism in the United States*, 8 DUKE J. COP. & INT'LL. 79, 97 (1997)

(17) See, Stephan H. Leader, *The Rise of Terrorism*, SEC. MGMT., Apr. 1, 1997 WL 9533016.

(18) Gavin Cameron, Nuclear Terrorism: A Real Threat?, JANE'S INTELLIGENCE REV., Sep. 1, 1996, at 422 [hereinafter Cameron].

(19) Timothy Schofield, *The Environment as an Ideological Weapon: A Proposal to Criminalize Environmental Terrorism*, 26 B.C. ENVT'L AFF. L. REV. 619, 623 (1999) [hereinafter Schofield]

(20) Kevin Todd Shook, State Sponsors of Terrorism are Response Too: Flatow Mistake, 61 OHIO ST. L. J. 1301, 1329 (2000).

(21) *The Twin Towers: The Last Moments*, *supra* note (1)

the Islamic Convention on Combating International Terrorism states the "[p]eoples' struggle including armed struggle against foreign occupation, aggression, colonialism, and hegemony, aimed at liberation and self-determination in accordance with the principles of international law shall not be considered a terrorist crime." However, the distinction between self-determination or self-defense and terrorism is subject to disagreement. Some act may be interpreted as terrorism in parts of the world, they may be interpreted as heroism in another parts of the world. To resolve this disagreement, in a first step, an international conference should take place, assemble, not the governmental representatives but, representatives of all the different nations, ethics, religions backgrounds, to discuss and adopt an acceptable international definition of the terrorism. In a second step, this definition has to be examined by the United Nations General Assembly who should require member States to take the necessary procedures in view to adopt such definition in their national laws. If such definition, nationally and internationally, was adopted any future conflict regarding the definition, nationally and internationally, was adopted any future conflict regarding the definition of the terrorism would not take place any more. And if such conflict ever take place the last word would be for the adopted definition.

The need for international efforts to adopt an accepted definition for the terrorism and intensive international procedures to fight the terror was increased after the events of September 11th. These efforts should have had place longtime ago, especially after the collapse of the former Soviet Union, which has a sophisticated

(15) Smith, supra note (7) at 44.

example of "November, 1977, the Federal Bureau of Investigation (FBI) confirmed an extortionist threat to place a deadly botulism poison in the Miami, Florida, water supply unless a demand for a 1.6 million dollar payment was met." (12) Another example is the threats, issued by AlQaeda spokesman after the events of September 11th, of targeting Americans and Jewish, hijacking more planes and the destroying more high buildings, possible using of weapons of mass destruction.(13) These threats can stand alone as acts of terrorism by themselves.

There is no legal difference between committing an act of terrorism and the threat to commit such act, where both are subject to the same rules, produce fearful among the nation and cause considerable economic losses. The preventive measures took by the American authorities coast the budget considerable amounts of money. (14) However, environmentally, the difference between the effective terrorism and the threat of terrorism is that when an act of terrorism is committed, both humans and the evironment are direct victims. But when there is only a threat of terrorist act, the fear and horror only will affect the population, there will be no harm to the environment.

Some times the use of force or the threat of use of force acts can be legal if committed under legal pretexts such as the self-determination or self-defence.(15) For example, Article 2 (a) of

(12) ROBERT A. FRIEDLANDER, TERROR VIOLENCE, ASPECTS OF SOCIAL CONTROL, (Oceana Publication) 1983 at 147 [hereinafter FRIEDLANDER].

(13) Cnn.com, Video Warns of More Terror Attacks, Oct. 10, 2001, available at <http://www.cnn.com/2001/WORLD/asiapcf/central/10/10/gen.alqaeda.video/index.htm> (last visit Dec. 3, 2001).

(14) Before September 11th terrorist acts, the United States used to spend $ 7 billion to fight the terrorism. See, John Diamond, Use of Antiterror Funds Hard to Track, US Auditors Find, BOSTION GLOBE, Sept. 28, 1998, at A3.

In a remarkable step, the OIC, besides defining the terrorism, includes the act or exposing the environment to hazards as act of terrorism. In defining the terrorism in domestic law also does not raise the question of ideological, ethic, or religious differences. The Department of Defense (DoD) defines the terrorism as "the calculated use of violence or the threat of violence to inculcate fear; intended to coerce or to intimidate governments or societies in the pursuit of goals that are generally political, religious, or ideological." (10)

Acts of terrorism can take place by hijacking planes, destroy building by using conventional techniques such as explosions, use arms of mass destruction, killing innocent people, deliberately poluting natural resoureces, or threatening to commit any of these acts. Simply, the terrorism can be defined as violence, or a threat of violence, calculated to create an atmosphere of fear and alarm. (11) It is notable that most of the definitions agree on the same elements to describe an act as terrorism. Both the effective harms and threat to affecting human lives and the environment are considered as acts of terrorism, where a real and effective harm occurred within the U.S., buildings were demolished, human lives were ended, and the natural environment was pollutied. Most terrorists threat to commit their crimes, if they realize their threat then their act can be classified under the previous category. Even if they did not realize their threat they still considered terrorists. The acts ocurred on September 11th are considered as acts of effective terrorism. For

(10) The Terrorism Research Center, *The Basics of Terrorism: Part 1*, 1997, available at <http://www.terorism.com/terrorism/bpart1.html> (last visit Dec. 2, 2001)

(11) See KEVIN J. RILEY & BRUCE HOFFMAN, DOMESTIC TERRORISM: A NATIONAL ASSESSMENT OF STATE & LOVAL PREPAREDNESS 3 (1995, The Rand Corporation).

heroism, meanwhile, Israel and most of the western country consider such acts as terrorism. Similarly, Israeli attacks, under the pretext of self-defense pretext, against Hizbollah Guerrilla basis in South Lebanon is considered by most of the Islamic and Arab nations as acts of terrorism, however, it is interpreted by Israel and most of western countries as a right of self-defense.

This difference can almost disappear if such tentative takes place within regional organization that assembles similar, if not identical, ideologies, ethics and religious backgrounds. Therefore, this type of organizations successfully defined terrorism. For example, Article (2) of the Convention of the Organization of the Islamic Conference (OIC) on Combating International Terrorism of 1999, [9] defines terrorism as

> any act of violence or threat thereof not withstanding its motives or intentions perpetrated to carry out an individual or collective criminal plan with the aim of terrorizing people or threatening to harm them or imperiling their lives, honor, freedoms, security or rights or exposing the environment or any facility or public or private property to hazards or occupying or seizing them, or endangering a national resource, or international facilities, or threatening the stability, territorial integrity, political unity or sovereignty of independent States.

(9) CONVENTION OF THE ORGANIZATION OF THE ISLAMIC CONFERENCE ON COMBATING INTERNATIONAL TERRORISM, Jul. 1999, Ouagadougou, in INTERNATIONAL INSTRUMENTS RELATED TO THE PREVENTION AND SUPPRESSION OF INTERNATIONAL TERRORISM, (United Nations Publication, 2001) Sales No. E.01. V.3, at 187 [hereinafter THE OIC CONVENTION ON COMBATING INTERNATIONAL TERRORISM].

conventions [6] and two draft conventions dealing with various aspects of terrorism-including hijacking, bombing, piracy, assassination, hostage taking, and biological, chemical and uncler warfare-the international community has yet to settle on a single definition of "terrorism"[7]

The absence of such settlement can be attributed to the difference of ideologies, ethics, and religious that member States of the U.N. use as a pretext to oppose any definition affecting their political goals. Based on the culture, background, or the misinterpreted religious orders, the interpretation of the terrorism definition may be varied. In the time that an act may considered as terrorist act in a part of the world it may be interpreted as an act of heroism in another part of the world. Every sovereign state reserves to itself the political and legal authority to define terrorism in the context of domestic and foreign affairs.[8] For example, most of Islamic and Arab nations view suicide bombing in Israel as acts of

(6) League of Nations, Convention for the Prevention and Punishment of Terrorism, O.J. 19 at 23 (1938); League of Nations Doc. C.546(I). M.383 (I) 1937V (1938), International Convention Against the Taking of Hostages, U.N. GA Res. 34/154 (XXXIV),U.N. GARO, 34 Sess., Supp. No. 46 at 245, U.N. Doc. A/34/146 (1979), International Convention for the Suppression of Terrorism bombings, G.A. Res. 165, U.N. GAOR, 52 Sess, U.N. Doc. A/52/164 (1998), Convention of the Prevention and Punishment of Crimes Against Internationally Protected Persons, Including Diplomatic Agents, opened for signature Dec. 14, 1973, 1034 U.N.T.S. 167; Convention on the Safety of Uniited Nations and Associated Personnel, G.A. Res. 59, U.A. GARO, 49th Sess., U.N. Doc. A/49/59 (1994), Convention to Prevent and Punish Acts of Terrorism Taking the Form of Crimes Against Persons and Related Extortion that are of International Significance, O.A.S. Doc. A/6/Doc. 88 rev. 1, corr.1 (Feb. 2, 1971), Draft Convention for the Suppression of Acts of Nuclear Terrorism, U.N. Doc. A/C.6/53/L.4 (1998), and European Council, European Convention on the suppression of Terrorism, Europ. T.S. No. 90, (Jan. 27, 1997).

(7) Cherif Bassiouni interviewed by William C. Smith, Legal Arsenal: *international Law Can Be An Important Element in the United States' Campaign Against Terrorism, 87 ABA J. 42,44 (2001) [hereinafter Smith].*

(8) Yonah Alexander, *Terrorism in the Twenty-First Century: Threats and Responses,* 12 DEPAUL BUS. L.J. 59,61 (1999/2000) [hereinafter Alexander].

Accordingly, terrorist acts are condemned and terrorist groups were fought on the national and international levels.[5] Despite this fight against terrorism, terrorist groups appear as strong and powerful as the States. Some times their act may cause catastrophic damage as destructive as the damage caused during the international armed conflict, which takes place between States.

The traditional failure of the fight against terrorism and the possession of the terrorist groups of harmful powers and techniques raise the questions whether the actual legal system of fighting the terrorism is adequate, and whether the environment is secured enough in the fight against the terrorism? Responding these interrogations requires the examination of the roots of terrorism (Section One), the environmental effects of September 11th events (Section Two), the environmental law rules applicable on the acts (Section Three), the responsibiligy for acts of terrorist (Section Four), and what should be done to avoid any future acts of terrorism (Section Five).

Examining the case of the September 11th attacks, against the United States territory, would not prevent the recall of some other examples that may be useful to clarify the acts of terrorism, our ideas, and proposals.

Section One

The Route of the Terrorism

Efforts to define terrorism under international law been going on for long time. [...] Yet, despite 15 U.N.

(5) Cnn.com, *World Shares U.S. Grief*, Sept. 14,2001, available at <http://www.cnn.com/2001/WORLD/europe/09/13/world.response/index.htm> (last visit Dec. 10, 2001)

The Terrorism Activities of September 11th 2001 as A Transboundary Pollution

Dr. Nada Al Duaij

On September 11th, 2001, horrible terrorist acts took place in the United States, causing sever human casualties and environmental destruction. The American Airlines Flight 11, carrying 92 people from Boston to Los Angeles, crashed into the first World Trade Center's (WTC) tower causing a large explosiv[1] Eighteen minutes later, the United Airlines Flight 175, carrying 65 people flying from Boston to Los Angeles, tore through the second tower with an even larger exlosion. [2] Flight 77 flying from Dulles to Los Angeles, a Boeing 757, carrying 85 passengers, slammed into the West Side of the Pentagon.[3] The fourth plane, United Airlines Flight 93, was carrying forty-five people from Newark to San Francisco, crashed south of Pittsburgh.[4]

Agroup of terrorists, claimed Muslims were behind these acts of evil. There are no legal, religious, or any other bases to backup the killing of innocents and the destruction of civilization. Therefore, the mission of fighting the terrorism faces no opposition in the actual legal system, whether national and international.

---

(1) The Twin Towers: The Last Moments, N.Y. POST, Sept. 12, 2001, available at 2001 WL 26051623, *[hereinafter The Twin Towers: The Last Moments].*

(2) Michael Grunwald, *Terrorists Hijack 4 Airliners, Destroy World Trade Center, Hit pentagon; Hundreds Dead,* THE WASH. POST, Sept. 12, 2001, available at <http:/www.washingtompost.com> (last visit Sept. 24,2001) [hereinafter Grunwald]; *The Twin Towers: The Last Moments, supra note (1).*

(3) David Willman and Alan C. Miller, *'Watch List' Didn't Get to Airline,* L.A. TIMES, Sept. 20,2001, available at <http://www.latimes.com> (last visit Sept. 24,2001)[hereinafter Willman & Miller]; The Twin Towers: *The Last Moments, supra note (1)*

(4) Peter Fowler, *Unprecedented Attack in USA,* <http://www.newsroom.co.nz/story/64516-99999.html> (last visit Sept. 23,2001) [hereinafter Fowler]; *The Twin Towers: The Last Moments, supra* note (1).

الفهـــرس

الموضـــــــوع	الصفحة
تقديم	٥
القسم الأول: الدراسات والبحوث	
• الحقوق الاجتماعية للمرأة بين الشريعة والواقع — أ.د/ سعيد حارب	٩
• الإسلام والتجديد فى عهد النبوة والخلفاء الراشدين — أ.د/ مهدى فضل الله	٣٩
• القيم الإنسانية فى الإسلام — أ.د/ عبد الله بن على بصفر	٦٣
• صورة الإسلام فى الأدب الغربى — أ.د/ بثينة أبو المجد	٨٩
القسم الثانى: المقـالات	
• مدخل إلى فقه الأقليات.. — أ.د/ طه جابر العلوانى	١١٥
• أزمة الخطاب الإسلامى فى علاقة الشرق بالغرب — أ.د/ محمد عبد الصمد مهنا	١٢٩
القسم الثالث: ملف العدد.. الإسلام والغرب.. نحو إقامة جسور للحوار وإزالة الحواجز	
• تقرير الأمين العام عن ندوة "العالم الإسلامى والغرب"	١٣٩
• ثقافة الحوار والتعايش المشترك بين النصارى والمسلمين — أ.د/ جوليو تشيبلونه	١٤٧
• قضايا ومشكلات داخل المجتمعات الإسلامية فى الغرب — أ.د/ جعفر عبد السلام	١٦٥
القسم الرابع: حقائق الإسلام وأباطيل خصومه	
• دراسة فى كتاب بوش الجد "محمد مؤسس الدين الإسلام" — أ.د/ جعفر عبد السلام	١٨٣
القسم الخامس: عروض الكتب	
• قراءة فى كتاب "محمد أعظم عظماء العالم" لأحمد ديدات ومايكل هارت — د. محمود داود	٢٠٧

الموضـــــــوع	الصفحة
• قراءة فى "استراتيجية التقريب بين المذاهب الإسلامية أ/وليد عبد الماجد كساب	٢١٧
القسم السادس: التعريف بالجامعات الأعضاء	
• جامعة دمشق	٢٢٥
• جامعة القاهرة	٢٢٩
القسم السابع: الوثائق	
• البيان الختامى لندوة "الإسلام بين الوسطية والتشدد"	٢٣٥
• البيان الختامى لندوة "العدوان على لبنان والشرعية الدولية"	٢٣٩
القسم الثامن: القسم الإفرنجى	٢٤٥
الفهرس	٣٠٣

رقم الإيداع: ٢٠٠٧/٢١٦٨

المركز العلمى للطباعة والكمبيوتر

ياسر النجار

نسخ كمبيوتر - طباعة (اوفست - ماستر)

كل مـــا يخص الطبـــاعـــة تجـــده بين يديك

الادارة : ٢٠ ش ترعـة الجـلاد - القـصـيـرين الزاوية الحـمـراء

المطابع : ٤ ش محمود الفار من المنياوى القصيرين - الزاوية الحمراء

☎ : ٤٢٤٠٤٦٥ محمول : ٠١٠٢٥١٠٩١١